
الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ٢٠٠ ● شعبان ١٤٠١ هـ ● يونيو ١٩٨١ م

هــدفهــــا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصــدرهــــا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات



الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

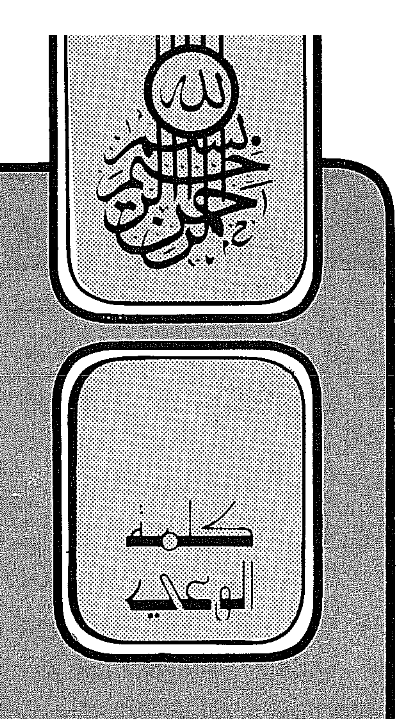
● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

● الثمــن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



ضمان الله بحفظ القرآن على مدى الأزمان

جاء في آيات القرآن الكريم (كذلك يضرب الله الحق بيان أن الله قد كتب للاسلام والباطل فأما الزبد فيذهب البقاء والخلود . ولكتابه جفاء وأما ما ينفع الناس الحفظ والصيانة فقال تعالى : فيمكث في الارض) .. (ألم تر

كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها) .. (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

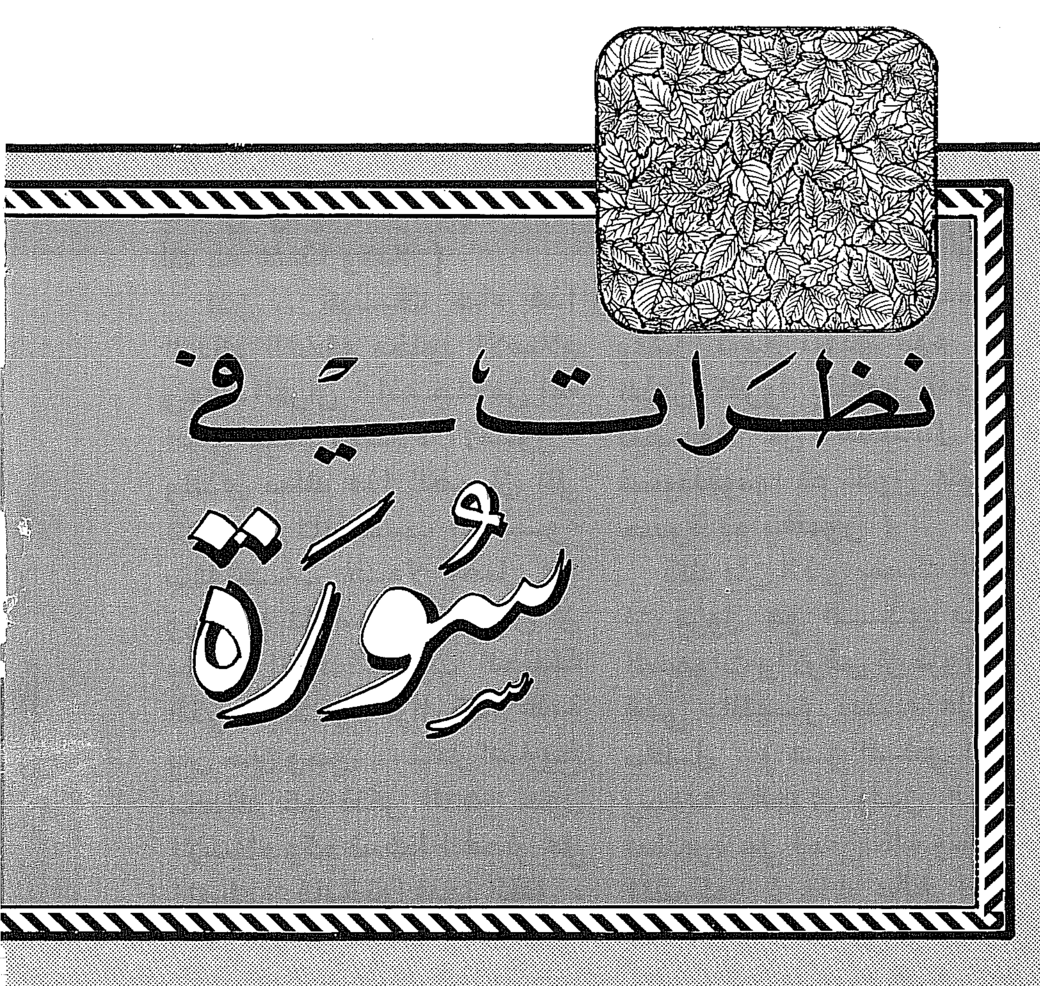
وهذه الآيات ذات الحكم القاطع ببقاء الاسلام وخلوده ، وحفظ القرآن وصيانته آيات نزلت بمكة ، ورسول الله يعاني من اعراض قومه عن الاستماع للقرآن ، وصدهم لغيرهم من الاصغاء اليه ، واضطهادهم وتعذيبهم لمن آمن به ومقاطعتهم له ولعشيرته . وحصرهم في شعب من شعاب مكة مدة غير قصيرة لا يبيعون ولا يبتاع لهم حتى أكلوا ورق الشجر من شدة الجوع ، ثم مؤامرتهم على احباط دعوته .. وقد مكث هذا الليل الحالك يحيط بالدعوة المحمدية في مكة عشر سنوات دون أن تلمح بارقة من الأمل في ظهور الدعوة ونصرها ، واذا استمد رسول الله . صلى الله عليه وسلم ـ من طبيعة دعوته بارقة من الأمل في جوانب نفسه فهل يتفق له مع هذه الظروف القاتمة أن يزيد في نفسه الأمل حتى يصير حكما قاطعا ؟ واذا امتلأ رسول الله رجاء بظهور دعوته في حياته ما دام يتعهدها بنفسه ، فمن يضمن له بعد موته بقاءها وحمايتها وسط أحداث المستقبل ؟ وكيف يوقن رسول الله بذلك وهو يعلم من عبر الأيام ما يفت في عضد هذا اليقين ؟ فكم من مصلح صاح بالاصلاح فما لبثت صيحاته أن ذهبت أدراج الرياح ، وكم من مدينة قامت في التاريخ وازدهرت ثم عفت ودرست آثارها ، وكم من نبي قتل ، وكم من كتاب فقد او انتقص او غير وبدل .. وهل كان رسول الله ممن تستخفه الآمال فينساق مع الخيال ؟ انه ما كان قبل نبوته يطمع في ان يكون نبيا يوحى اليه (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك) ولا كان بعد نبوته يضمن لنفسه أن يبقى هذا الوحي محفوظا لديه (ولئن شئنا لنذهبن

بالذي أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا) ..
اذن .. كيف جاء هذا الحكم القاطع بخلود الاسلام وحفظ القرآن ؟ انه جاء من الله الذي بيده وحده الأمور ، والذي يملك هذا الضمان على الدهر المتقلب المملوء بالمفاجآت فلولا فضل الله ورحمته لما استطاع القرآن أن يصمد لتلك الحروب العنيفة التي اقيمت ولا تزال تقام عليه بين حين وحين .. تأمل التاريخ يحدثك كم تنكر الدهر لدول الاسلام وكم تسلط الفجار على المسلمين فأثخنوا فيهم القتل ، وأحرقوا الكتب وهدموا المساجد واحدثوا من الفساد ما كان يكفي بعضه لضياع هذا القرآن كما ضاعت كتب قبله ولكن عناية الله ابقته في وسط هذه الأحداث العاتية رافعا راياته واعلامه حافظا آياته واحكامه .. وسل صحف الاخبار اليومية كم من النشرات المعادية للاسلام والكتب الحاقدة على القرآن وكم من الأموال تنفق في كل عام لمحو القرآن وصد الناس عن الاسلام بالتضليل والبهتان والخداع والاغراء ثم لا يصل اهلها الا الى حسرة تغمرهم وفشل ذريع يحيط بهم (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) .

ذلك بأن الذي يمسك القرآن ان يزول هو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا وقد قضى باظهار دينه على كل باطل : (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) والله بالغ امره ومتم نوره ، فظهر وسيبقى ظاهرا لا يضره من خالفه حتى يأتي أمر الله . وستظل عناية الله تمد الاسلام وكتابه برجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه يحبهم الله ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم .

رئيس التحرير

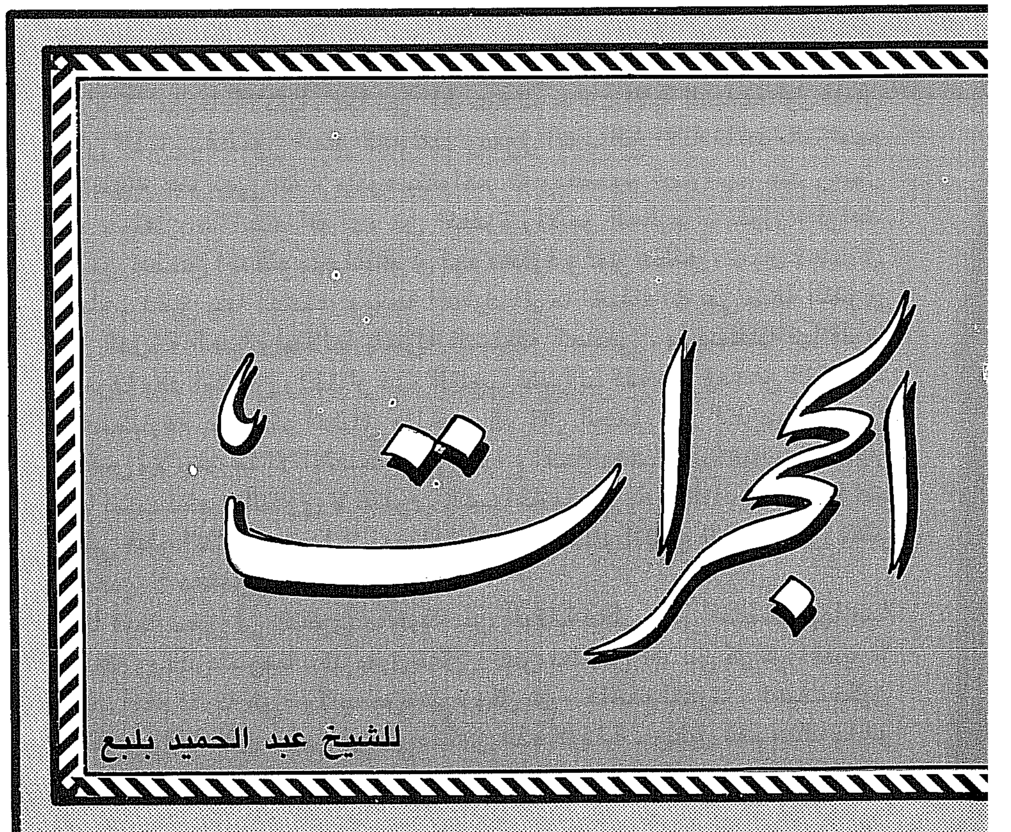
محمد الأباصيري



الحمد لله ، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله - وبعد - فقد قال الله تعالى :

« **ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم . ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون . ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم** » .

(**معنى مفردات الآية**) : « **يغضون اصواتهم** » - اي يخفضون اصواتهم بين يدي رسول الله صلوات الله وسلامه عليه « **امتحن الله قلوبهم للتقوى** » اي اختبر الله قلوبهم ليظهر صلاحيتها لحلول التقوى بها التقوى - مأخوذة من الوقاية - يعني تقي المتصف بها من بأس الله ومن عوادي الزمن - وسيأتي لها مزيد ايضاح ان شاء الله ، **لهم مغفرة وأجر عظيم** - مغفرة مصدر غفر بمعنى ستر يقال غفر الله الذنب اي ستره ولا يعاقب عليه ، الأجر - الثواب - والثواب هو الجزاء على العمل خيرا كان او



شرا . واكثر استعماله في الخير ـ ولا يعلم حقيقته ولا كميته الا الله جل شأنه ، **ينادونك من وراء الحجرات** ـ اي يستدعونك من وراء الحجرات يريدون لقاءك ، الحجرات : جمع حجرة وهي قطعة من الارض محجوزة بحاجز ـ حائط ـ او غيره للمنع من الدخول والمراد بها هنا مساكن امهات المؤمنين ـ رضي الله عنهن زوجات رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ..

(**المعنى العام للآية**) : ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله ، اي يخفضونها في مخاطبته ، او بين يديه في امر ما رعاية للأدب الواجب نحوه ـ تكريما لشخصه وتعظيما لقدره ـ او يخفضونها بين يديه خشية عدم الانتهاء بالنهي عن استعمال ما لا يليق بمنزلته الوارد في قوله تعالى « **يأيها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون** » وقد قلت عن هذه الآية في مقال سبق نشره بالعدد(١٨٠) من مجلة الوعي الاسلامي انها نزلت في مناسبة ما جرى بين سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر بن الخطاب من الخلاف في امر علت فيه اصواتهما بين يديه صلوات الله

وسلامه عليه فنزلت الآية المذكورة وفيها نهي وتحذير من سوء العاقبة ـ لذا التزم كل منهما بالانتهاء عما نهى الله عنه ثم جاءت الآية السابقة اول المقال « **ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله** ـ الخ الآية تشيد بالتزامهم بالانتهاء عما نهى الله ، وتنوه بتقواهم لله وبغضهم اصواتهم عند رسول الله ، وتعلن ما اعده الله لهم من المغفرة والأجر العظيم اذ تقول « **أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم** » تعبير عجيب في اسلوب دقيق ينبه المشاعر ويوجه المدارك الى ما اضفاه الله على صفة التقوى من الدرجة العليا واحلالها بالمنزلة السامقة العظمى ، واصطفائه لها قلوبا تعمرها بعد امتحان واختبار هذه القلوب بضروب المحن ، ومشاق التكاليف واصطبارها على هذه المشاق والمحن وقد قال العلماء ان التقوى كامنة في النفس ولا يظهرها الا الاصطبار على انواع المحن ومشاق التكاليف فالاختبار هنا سبب لظهور التقوى لا للتقوى نفسها فانها فطرية في النفس « **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون** » الروم / ٣٠

قلنا فيما سبق ان التقوى مأخوذة من الوقاية يعني تقي المتصف بها مما يخافه ويحذره ـ وهنا ـ قد يقول قائل : نحن نعلم ان الله على كل شيء قدير لا يقف امام قدرته شيء ولا يعجزه شيء وكل شيء خاضع لقدرته ، فكيف تكون التقوى وقاية اذن : ومن اي شيء تكون هذه الوقاية ـ ونقول نعم هناك ما هو فوق ذلك ، وبه ومنه فكون هذه الوقاية ، لا تعجب يا هذا ، فهو حب الله للعبد ورضاه عنه فان الله اذا احب عبدا وقاه ودافع عنه ـ يعود السائل قائلا ـ وما الدليل على ذلك اولا ثم ما هي الوسيلة للحصول على هذا الحب وهذا الرضا ثانيا ـ ثم من اين نعلم ان الله احب ورضي وهو غيب ولا يعلم الغيب الا الله ثالثا ـ ونقول :

اولا : الدليل على ذلك قول الله تعالى « **ان الله يدافع عن الذين آمنوا** » الحج / ٣٨

ثانيا : الوسيلة للحصول على حب الله ورضاه هي اتباع رسول الله في كل ما جاء به من عند ربه امرا ونهيا والدليل على ذلك قول الله عز وجل « **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** » ال عمران / ٣١

ثالثا : حقيقة ان حب الله ورضاه من العبد غيب ولا يعلم الغيب غيره فمن اين نعلم ونقول/ نعم اعلن الله تعالى عن غيبه هذا في حديث قدسي قال فيه « وما تقرب الى عبدي بشيء احب الي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه » رواه البخاري .

فتقوى العبد لله هي ان يجعل العبد بينه وبين ما يحذره ويخشاه من بأس الله ومن عوادي الزمن وقاية تقيه منه - وخير وقاية هي اداء ما فرض الله ، واجتناب ما نهى الله - ومن هنا عرف العلماء التقوى بانها « امتثال الأوامر واجتناب النواهي - بهذا ايها السائل ثبت ان التقوى حقيقة وقاية للعبد مما يحذره ويخشاه .

والتقوى كلمة جامعة فهي وان قل لفظها لكنها جامعة الكثير من عوامل الخير والبر ، داعية لجلب المصالح ودرء المفاسد عن المتصف بها في مجالات حياته كلها - فبالتقوى ينفث الله عن المتصف بها الكرب ويفك الضوائق ويفتح له باب رزق واسع طيب من حيث لا يحتسب - مصداق ذلك قول الله تعالى « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب** » الطلاق / ٢

وبالتقوى ييسر الله للمتصف بها امره ، ويذلل صعبه ، في هذا يقول الله تعالى « **ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ذلك امر الله انزله اليكم** » الطلاق / ٤

وبالتقوى يمن الله على المتصف بها باصلاح عمله وغفران ذنبه - قال تعالى « **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما** » الأحزاب / ٧٠

وبالتقوى يحفظ الله للمتصف بها ذريته بعد وفاته ، قال تعالى « **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا** » النساء / ٩ وقص الله في القرآن ما جرى بين سيدنا موسى عليه السلام والعبد الصالح اذ اتيا اهل قرية استطعما اهلها فأبوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فأقامه العبد الصالح فقال له موسى - لو شئت لاتخذت عليه اجرا فقال له العبد الصالح هذا فراق بيني وبينك - ثم بين له قصة هذا الجدار بقوله « **واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري** » الكهف / ٨٢

نعم رحمة من ربك بالغلامين اذ امتدت يد القدر لحفظ الكنز من الانقضاض صيانة لما كمن تحته من المال حتى يبلغ الغلامان اشدهما ويستخرجا كنزهما وفاء لصلاح ابيهما وجنيا لثمرة تقواه ولا غرو فان التقوى ذات اثر ضخم في حياة المتصف بها ، وذات غايات نبيلة له يستمتع بها كمحبة الله له وانتفاء الخوف والحزن عنه ، وبشائر بالسعادة في الدنيا تترى عليه ، وبشائر بالنعيم المقيم له في الاخرة تسعى اليه وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة ال

عمران « **بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين** » آية / ٧٦
ويقول « **الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين امنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم** يونس / ٦٢

علمنا مما سبق ان التقوى هي امتثال الاوامر واجتناب النواهي ـ ومن هو المتصف بها ؟ ، هو من لازم الطاعة وجانب المعصية ـ وهذا بطريق الجد والاجتهاد منه لا بطريق العصمة واذا جمحت نفسه يوما وارتكب ذنبا هل تسلب منه صفة التقوى ـ الجواب لا ـ بل هو من المتقين ، ان تاب من ذنبه هذا توبة صادقة مخلصة غير مصر على الذنب ـ لان المذنب اذا تاب كان كمن لم يذنب في استحقاق المنزلة عند الله ـ ودليلنا على ذلك ان الله تعالى ذكر صفات المتقين في مواضع من القرآن وعد منها من فعل فاحشة وتاب غير مصر على الفاحشة اذ يقول « **وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين** » آل عمران / ١٣٣ ـ ١٣٦

وختم الحديث عن التقوى وعن المتصف بها في الاية التي معنا بما اعد لهم فقال « **لهم مغفرة واجر عظيم** » ـ مغفرة ـ قلت عنها فيما سبق انها مصدر غفر بمعنى ستر يقال غفر الله الذنب ـ اي ستره ولا يعاقب عليه ـ واقول هنا ـ للعلماء في هذا الستر رأيان :
اولهما : ستر بمعنى محا ـ اي المحو من الصحيفة بحيث لا يكون له اثر فيها وكأن لم يكن واذن لا عقاب اذ لا عقاب على شي غير موجود في الصحيفة .
وثانيهما :ستر بمعنى عدم العقوبة مع بقاء الذنب في الصحيفة ليذكر صاحبه بفضل الله عليه بعدم مؤاخذته على هذا الذنب وبالعفو عنه ـ والنتيجة في الرأيين واحدة وهي عدم العقوبة ـ وذلك فضل الله والله ذو الفضل العظيم .
وبعد ان انتهى الله من توجيه المؤمنين الى الاداب التي تجب مراعاتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مخاطبته ، في مجالسته في جميع شئونه وظروفه من الحرص كل الحرص على احترام شخصيته فلا ينادونه باسمه المجرد من ايات التكريم وتقديم جلائل التبجيل والتعظيم لمقامه الرفيع امتثالا لقول الله عز وجل « **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم**

بعضا »النور/٦٣ ثم اخذ الله عز وجل يبين ما كانت عليه البيئة العامة في الجزيرة العربية وقت ظهور الدعوة الاسلامية ـ من الجفوة في الطبع ، والغلظة في القول ، والقسوة في التعامل والثورة العارمة لاتفه الاسباب واحقر الشئون ، ومن الجهالة في التخاطب ، لا رعاية فيها لادب ولا اداء الحق ولا امتثال لواجب ، وغير ذلك مما لا تستقر به الحياة ، ولا تنجح معه الدعوة وضرب لذلك مثلا بحادث وقع من وفد بني تميم ، قدم على رسول الله لحاجة لهم عنده وكان الوقت وقت ظهيرة ، فوقفوا خارج الحجرات ، مساكن امهات المؤمنين زوجات الرسول ، واخذوا ينادونه باسمه مجردا من التكريم والتعظيم : يا محمد اخرج الينا ان مدحنا زين وان ذمنا شين باصوات مزعجة وفوضى صاخبة من غير رعاية لحرمة الرسول ولا لحرمة المكان ولا لصفة الوقت فانه وقت قائلة واعتاد الناس ان يأووا الى مضاجعهم فيه طلبا للراحة والرسول صلوات الله عليه كان في خلوته الخاصة في هذا الوقت ولا يليق ان يطلبه احد في هذا الوقت غير المناسب لذا كره منهم هذه الجفوة وهذا الازعاج ونزل عليه قوله تعالى « **ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون . ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم** »

ينادونك من وراء الحجرات ـ قلت فيما سبق ينادونك اي يستدعونك يريدون لقاءك ، من وراء الحجرات ـ قال المفسرون ـ اي من خارجها ولم يحدد مكان المناداة ـ ولفظ وراء قال فيه العلماء انه من الاضداد فيكون من وراء بمعنى خلف وبمعنى قدام وعلى ذلك يحتمل ان تكون المناداة من خلف الحجرات او من قدامها ولكن لفظ من في قوله من وراء الحجرات للابتداء تدل على ان المناداة نشأت من جهة الوراء ـ اشارت هذه الآية الى كثير من النقائض الاخلاقية والاجتماعية الشائعة انذاك ـ منها انهم جاءوا اليه وقت الظهيرة وهو غير مناسب للمقابلة ، بل هو للراحة ومنها انهم وقفوا خلف الحجرات ولم يأتوا البيوت من ابوابها ومنها انهم ينادون باسمه صلوات الله عليه وسلامه مجردا من التكريم والتعظيم وينادون بالفاظ فيها جفوة وغلظة وغير ذلك مما لا يرضى الله عنه ويريد علاجه لتستقر الحياة وتنجح الدعوة وليخلوا المجتمع الاسلامي من هذه النقائض لذا سرد في هذه السورة بعضا منها واردفها بعلاجها فقال

« **يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين . واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون .**

فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم »

معنى مفردات الاية :

إن جاءكم فاسق - فاسق اسم فاعل من فسق بمعنى خرج عن طريق الحق والصواب ، **بنبأ** - النبأ الخبر - والخبر - ما ينقل ويتحدث به ، **فتبينوا** - تبين الشي فحص الشي ليستوضحه ، **لعنتم** - من عنت عنتا اي لقى الشدة وهلك .

(سبب نزول الآية)

ذكر بعض المفسرين ان سبب نزول الآية هو الحادث الذي تضمنته الآية والذي يتلخص في ان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بعث الوليد بن عقبة اخا عثمان بن عفان لامه رضى الله عنهما بعثه الى بني المصطلق يجبي الزكاة وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمعوا به تلقوه فظن انهم يريدون قتله فقفل راجعا من الطريق وقال لرسول الله : انهم ارتدوا ومنعوا الزكاة فغضب الرسول وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فأتوا النبي صلوات الله وسلامه عليه وقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي اليه ما قبلنا من حق الله فبدا له في الرجوع فخشينا انه انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم الرسول وبعث اليهم خالد بن الوليد في عسكره خفية ليتبين حالهم فأن رأى منهم ما يدل على ايمانهم اخذ منهم زكاة اموالهم - وان لم ير ذلك فعل بهم ما يفعل مع الكفار فذهب خالد ووجدهم منادين للصلاة جادين في امتثال ما امر به الله ولم يرمنهم الا الطاعة والخير فاخذ منهم صدقات اموالهم ، وعاد الى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه - واخبره بحالهم وسلم الصدقات ونزلت الاية - واستشكل هذا، بأن الوليد صحابي جليل ولا يليق اطلاق لفظ فاسق عليه واجيب : بان الذي وقع من الوليد توهم وظن فترتب عليه الخطأ - وسماه الله فسقا - وانما سمى الله الخطأ فسقا تنفيرا من هذا الفعل وزجرا عليه - ولكن لم يرق هذا الجواب عند بعض المفسرين ويقول « ان المخطيء لا يسمى فاسقا - وكيف والفاسق يراد به في اكثر المواضع من خرج عن ربقة الايمان - لقوله تعالى « **الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه** » الكهف / ٥٠

وقوله « **واما الذين فسقوا فمأواهم النار** »السجدة / ٢٠ ويرى المفسر ان هذا الحادث ليس سبب نزول هذه الاية كما يرى ان مضمون الاية علاج عام لمرض اجتماعي ان ترك دون علاج استشرى في الامة خطره . وأودى

بالمجتمع ضرره - وهو رأي واضح ولا معقب له اذ ليس في الاية ما يشير الى هذا الحادث لامن قريب ولا من بعيد - والضمير الواعي اليقظ يستريح لهذا الرأي - حفظا لمقام الوليد بن عقبة من هذا التجريح الاليم باطلاق اسم فاسق عليه ، وصيانة لشرف المجتمع الاسلامي وكرامته من اشاعة مثل هذه النقائص عنه وهذا المرض : هو حل الروابط بين الافراد بعضهم مع بعض - وبين الجماعات بعضهم مع بعض - وقطع الصلات بين الاسر والهيئات بعضهم مع بعض .. وذلك بغرس بذور الفتن ، ووضع اسس الاثارات والاحن يقوم اعداء الانسانية بغرسها في نفوس بريئة ، وشخصيات كريمة ، بالفاظ معسولة واساليب خادعة سرعان ما تندلع بها نار العداوة ، ويمتد لهب الخصومة ، وتمتلىء الصدور بالاحقاد ، وتدب الفوضى في كل ناد ، وكلها امراض نهايتها الهلاك ، ومصيرها الخراب والدمار - هذا المرض هو المعروف في مفاهيم الشريعة الاسلامية باسم النميمة الذي بين الرسول مصير القائم به اذ يقول « لا يدخل الجنة نمام - وفي رواية - لا يدخل الجنة قتات » رواه البخاري ومسلم - والنمام والقتات بمعنى واحد - وقيل النمام الذي يكون مع جماعة يتحدثون حديثا فينم عليهم - والقتات هو الذي يتسمع عليهم وهم لا يعلمون ثم ينم عليهم - وتلافيا لاضرار هذا المرض جاءت هذه الاية بعلاجه فتقول « **ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** » خصصت الاية نبأ الفاسق بتبينه ، والتثبت من صدقه وكذبه لانه مظنة الكذب وليس موضع ثقة كغيره من بقية افراد المجتمع الاسلامي فانهم موضع ثقة ، وانباؤهم مصدقة ومأخوذ بها - هذا هو الاصل المفروض ان يكون في جماعة المسلمين تحقيقا لمقتضيات الايمان فيهم من الصدق في القول ، والامانة في النقل والاشاع فيها الشك وعدم الثقة فيختل توازنها وتتعثر مصالحها وتسوء سمعتها وتتفرق وحدتها وتصبح اثرا بعد عين - وما لهذا يدعو الاسلام الذي هو سلم وسلامة وامن وطمأنينة والذي رضيه الله دينا لعباده وهو الهادي الى سواء السبيل - والعلاج الالهي الذي جاءت به الاية مكون من امور ثلاثة .

(١) الحكم : وهو عدم التسرع بما تدعو اليه النفس نحو الموضوع والتريث به لاستجلاء حقيقة النبأ والتثبت منها والتصرف على ضوء ما يظهر وفي هذا تقول الآية « **ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** » .

(٢) علة هذا الحكم : هي خشية الحاق ضرر بقوم حالتهم مجهولة ثم تظهر براءتهم مما نسب اليهم فتندمون على ما فعلتم بهم ولا ينفع الندم حينئذ .

(٣) التوعية والتحذير من التحايل على الحصول على ما ترغبونه نحو الموضوع لانه قد يكون ضارا بكم وانتم لا تعلمون وفي هذا تقول الاية « **واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم** » من العنت وهو الشدة كما قلنا سابقا

« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى **فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** »

معنى مفردات الاية : طائفتان مثنى طائفة ومؤنث طائف ، والطائفة جمع من الناس يجمعهم مذهب او راي واحد يمتازون به عن سواهم ـ جمع طائفات او طوائف . اقتتلوا قتل يعني امات ـ يقال قتل الرجل يعني اماته ، وليس هذا مراداً هنا ـ واقتتل وقاتل يعني حارب ـ يقال اقتتل القوم وقاتلوا اي تحاربوا وقتل بعضهم بعضا ، واقتتل هنا في معنى تشاجر يعني تنازع ـ يقال تشاجر القوم يعني تنازعوا (ناطحوا بالرماح . فاصلحوا بينهما ـ الصلح ازالة ما يثير النزاع والخلف بين الفريقين ، واعادة الوفاق بينهما ، بغت احداهما على الاخرى يقال بغى بغيا وبغاء بضم الباء اي عدل عن الحق وانحرف عن الصواب ـ وبغى عليه اي تعدى واعتدى عليه . **تفيء الى امر الله** ، فاء فيئا اي رجع عن رأيه الى الصواب ـ اي ان رجعت الطائفة الباغية الى امر الله **فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا** ـ العدل اعطاء كل ذي حق حقه ـ اصلحوا واقسطوا اي اعدلوا ـ واما قسط بدون همزة فمعناها جار وظلم وحاد عن الحق فهو قاسط جمعه قساط وقاسطون قال تعالى « **واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا** » . انما المؤمنون اخوة ـ اخوة جمع اخ . والاخ من يجمعك واياه صلب او بطن او دين او غير ذلك ، فيقال اخ النسب او اخ الدين او طالب العلم مثلا ، وقد اثبت الله اخوة الدين بقوله « **انما المؤمنون اخوة** » اذ جمع بينهم الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره ، واثبتها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يحقره ـ بحسب امرى من الشر ان يحقر اخاه كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله »

سبب نزول الآية : للعلماء فيه اراء :

اولا : يرى بعضهم ان الاية نزلت تعقيبا على الامر بالتثبت من خبر الفاسق الوارد في الاية السابقة وهي « **يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** » كأن هذه الاية تقول : انكم اذا اخذتم تتبينون صحة نبأ الفاسق او كذبه وفي هذه الاثناء اتفق ان علت الاصوات واضطربت الاقوال تحت ضغط النزوات والاندفاعات التي تكون عادة في مثل هذه المواقف ينتصر بها كل لرأيه غاضا النظر عن الحق والواقع وقد يؤول الامر الى اقتتال الطائفتين المؤمنتين خروجا

بذلك عن تعاليم الاسلام وادابه وارشاداته وعن النظام القائم في المجتمع الاسلامي من الوحدة والالفة فعلى المؤمنين الاخرين ان يزيلوا ما اثاره نبأ ذلك الفاسق الذي احدث الخلاف والفرقة ويصلحوا بينهم بما يعيد الوحدة والالفة .

ثانيا : ويرى بعض اخر ان الاية نزلت في تشاجر حدث بين الاوس والخزرج على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الشيخان - ويتلخص في ان النبي صلى الله عليه وسلم يوما ركب حمارا ومر على مجلس اخلاط من المسلمين واليهود والمشركين - فيهم من المسلمين - عبد الله بن رواحة - ومن المشركين عبد الله بن ابي بن سلول قبل ان يسلم - وتصادف ان بال الحمار وقت مروره بالمجلس المذكور ، ولما - غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردائه - اي ستره به - وقال : لا تغيروا علينا - اي لا تهجموا علينا - من اغار اغارة عليهم هجم عليهم واوقع بهم - وفي رواية انه قال بعد ان ستر انفه « اليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك » فقال عبد الله ابن رواحة : والله لبول حماره اطيب ريحا من مسك - وهنا نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبد الله بن ابي ابن سلول « ايها المرء انه لا احسن مما تقول » يعني لا شيء احسن منه - ان كان حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا وارجع الى رحلك - فمن جاءك فاقصص عليه . فقال عبد الله بن رواحة : بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فاننا نحب ذلك . وثار المجلس الخليط - سواء اكان سبب هذه الاثارة هذا الكلام الاخير او ماكان في الرواية الاولى ، فالمجلس الخليط ثار ثورة صاخبة حتى كادوا يتحاربون فلم يزل رسول الله صلوات الله وتسليماته عليه يخفضهم حتى سكتوا ونزلت الاية « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما** » الآية . ويبدو انه غير مناسب ليكون سببا لنزول الآية - فان الآية « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** - والمجلس المذكور خليط من المسلمين واليهود والمشركين - وليس معقولا ان يقتتل فيه طائفتان من المؤمنين .

ثالثا : ويرى بعض ثالث في سبب نزول الاية المذكورة ما ياتي : -

ان الاية تشريع خاص قائم بذاته لعلاج ما قد تأتي به الايام من الاحداث التي لم تسبق والسماء كذلك لم تأت بتشريع يتناول مثل هذه الاحداث بعلاج اوببيان احكام تتعلق بالاحداث المذكورة - لذا يمكن ان نقول ان الاية افترضت امكان حدوث خلاف يقع بين طائفتين مؤمنتين يؤدي الى اقتتال بينهما وضربت ذلك مثلا كانموذج يطبق عليه ما اشتملت عليه الاية من احكام وتوجيهات . ففي الاية امر بصلح الطائفتين المتقاتلتين وامر بقتال من تبغي منهما حتى تفي الى امر الله وفيها توجيه الى ما يجب اتخاذه معهما

لازالة ما بينهما من خلاف ونزاع وختمت ذلك بجملة دينية عاطفية تغسل اثار البغض والغضب وترفع لواء المودة والالفة بين الطائفتين فقالت « **انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** » .

المعنى العام للآية :

وايا كان نزول الاية بسبب حادث معين او بغير سبب فالاية قاعدة تشريعية عامة اشتملت على ما يضمن صيانة المجتمع الاسلامي من التفرق والتخاذل ، وعلى ما يدعو الى اتفاق الكلمة والى وحدة الصف ووحدة الهدف كما تدعو الى استصحاب الحق والعدل في كل ما ياتي وما يذر والى استعمال العزم والحزم والقوة لتحقيق ما يحفظ على المجتمع وحدته والفته ورسمت الطريق المؤدي الى ذلك كله فقالت : « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين** » . من هذا القول الحكيم نعلم ان الله عز وجل كلف المؤمنين من غير الطائفتين المتقاتلتين بان يصلحوا بين الطائفتين المؤمنتين المتقاتلتين بالنصح والدعاء الى حكم الله ـ فان نفرت احداهما وتغاضت عن النصيحة الموجهة اليها وابت النزول على حكم الله واعتدت بغيا على الاخرى ، فعلى المؤمنين الاخرين اذن ان يقاتلوا التي تبغي حتى **تفيء** وترجع الى حكم الله ـ وحكم الله هو وضع الخصومة بين المؤمنين وقبول حكم الله في المسائل المتنازع عليها ، فان فاءت الباغية وقبلت حكم الله فيما ـ اختلفوا فيه وادى الى القتال بينهما ـ اذن يقوم المؤمنون بالصلح بينهما صلحا سداه العدل ولحمته الانصاف امتثالا لامر الله وابتغاء مرضاته وطمعا في واسع رحمته وفسيح جناته ، فانه تعالى يحب المقسطين . هذا ـ وفي الاية امور تحتاج الى كشف وايضاح تتميما للفائدة :

اولا : قال الله تعالى في اول الاية « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما** ـ وفي اثناء الاية قال « **فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل** ، فذكر العدل هنا ولم يذكره اول الاية فلم هذا ؟ . واجيب بان الاصلاح المطلوب اول الاية يكون بازالة الاقتتال نفسه وذلك يكون بالنصيحة والدعوة لقبول حكم الله ، او يكون بالتهديد والتعذيب ـ اما الاصلاح في اثناء الاية فيكون بازالة اثار القتل بعد اندفاعه ـ واثار القتل هي ضمان المتلفات وهو حكم والحكم يحتاج الى العدل ـ لذا قال تعالى « **فاصلحوا بينهما بالعدل** » وكأنه يقول واحكموا بينهما بعد تركهما القتال بالحق واصلحوا ما يكون بينهما بالعدل ، لئلا يؤدي الى اثارة الفتنة مرة اخرى .

ثانيا : في الاية نفسها قوله تعالى « **فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل** ، واردف قوله **واقسطوا** بعد بالعدل ومعلوم ان اقسطوا معناها لغة اعدلوا فكأن الاية تقول « فاصلحوا بينهما بالعدل واعدلوا » ، وهو تكرار ليس له ثمرة

تدعو اليه وتجنى من ورائه . واجيب عن ذلك بأنه ليس تكرارا ، فان لكل منهما معنى مستقلا لا يشترك مع الاخر - ذلك ان قوله فاصلحوا بينهما بالعدل خاص بحالة معينة دون غيرها ، وهي الحالة المدلول عليها بقوله « **فان فاءت** » اي رجعت لحكم الله ورضيت بالصلح فاصلحوا بينهما بالعدل في هذه الحالة فالعدل خاص هنا بهذه الحالة - والمطلوب تعميم العدل في كل القضايا وفي كل الازمنة والامكنة ولهذا اردف قوله واقسطوا على بالعدل - اي عمموا العدل حيثما كنتم وفي اي قول او عمل قضيتم فان الله يحب المقسطين .

ثالثا : قد يتوهم قارئ او سامع قوله تعالى « **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما** » يتوهم ان الامر بالاصلاح هنا يطبق في حالتين اثنتين فقط :

الحالة الاولى : اذا كان الاختلاف والنزاع بين جماعتين مؤمنتين كنص الاية ، لا بين فردين اثنين رجلين او امرأتين او رجل وامرأة مثلا ، فلا تعم المفسدة فلا يؤمر بالاصلاح .

الحالة الثانية : ان يؤدي هذا الاختلاف الى الاقتتال ، اما اذا ادى الى اقل من الاقتتال فلا يجب الاصلاح . وملخص رأيه هذا ان الامر بالاصلاح تبع للمفسدة وجودا وعدما فان وجدت وجب الاصلاح ، والا فلا - وهذا وهم ليس له ما يؤيده لذا نفاه الله وارشد الى ما يجب اتباعه بقوله « **انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم** » اي بين فردين اثنين ولو ادى الخلاف بينهما لاقل من الاقتتال كالشتائم مثلا ، فلابد من الاصلاح وازالة هذا الاختلاف حفاظا على وحدة المجتمع الاسلامي وصيانة كيانه - لذا عتب الله على هذا الارشاد الحكيم بالامر بالتقوى والتلويح لهم برحمته التي لا تنال الا بتقواه حفزا لهم على الامتثال والتنفيذ فيقول « **واتقوا الله لعلكم ترحمون** » .

رابعا : في الاية دلالة على ان الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان - يؤيد هذا استيفاء الله وصفه الايمان للطائفتين المؤمنتين المتقاتلتين مع اقتتالهما واحتمال بغي احداهما . ومما تجدر الاشارة اليه ان الامة الاسلامية تعرف في المجتمع العالمي العام - بالوحدة - والالفة ، والاخاء والمودة والسلام والتعاون والمحبة - هذا هو الاصل في اسمها اللامع وصيتها الذائع وذكرها الخالد المرتفع - ولكن الايام قد لا تخلو من خروجها عن هذا الاصل بخلاف ينبت او نزاع يثار او اقتتال تدور رحاه ويجب رد هذا الخلاف الى الاصل قبل تشعبه وذيوعه وايقاف البغاة العادين به ، المؤججين نار فتنته وشيوعه ويباح في سبيل الرجوع الى هذا الاصل ان يقاتل المؤمنون الاخرون المؤمنين الباغين ليردوهم الى الصف وليزيلوا الخروج على الاصل تنفيذا لتوجيه الله تعالى في الاية المذكورة القائل « **فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل**

واقسطوا ان الله يحب المقسطين » .

ومن مقتضيات هذا الاجراء في معارك هذا القتال الا يجهز فيه على جريح والا يقتل اسير والا يتعقب مدبر ترك المعركة واالقى السلاح والا يؤخذ اموال البغاة غنيمة شأن القتال بين المسلمين والكفار لان الغرض من هذا القتال هو القضاء على الكفار ، اما غرض القتال هنا فهو رد البغاة الى حظيرة الاسلام والعودة بهم الى صفوف المؤمنين المعتدلين .

« **يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون** » .

معنى مفردات الاية :

لا يسخر قوم من قوم ـ سخر به ومنه اي هزىءبه وحقره وصغره ولذلك طرائق واساليب قولية وعملية متعددة ـ **قوم من قوم** ـ القوم اسم جمع لانه لا واحد له من لفظه وقيل انه جمع مثل صوم من صائم وزور من زائر وايا كان جمعا او اسم جمع فهو الجماعة من الناس ذكورا واناثا والمراد به هنا جماعة الرجال فقط بدليل مقابلته في الاية بقوله « **ولا نساء من نساء** » قال العلماء وهو الموافق لاصل اللغة :

وسمي الرجال قوما لانهم القوامون على النساء ـ **ولا تلمزوا انفسكم** » لمز ـ اي عاب غيره بالقول او اشار اليه بعينه او نحوها مع كلام خفي ـ اللماز واللمزه ـ العياب للناس ـ او الذي يعيب الانسان في وجهه ـ « **ولا تنابزوا بالالقاب** » النبز ـ اللقب ـ نبزه نبزا ـ ونبزه بكذا ـ لقبه به ـ وهو شائع الالقاب القبيحة ، تنابزوا ـ تعايروا ، ولقب بعضهم بعضا ـ بهذا يظهر ان السخرية واللمز والتنابز بالالقاب خروج عن آداب القرآن واخلاقه وانحراف عن تقاليد كلمة المؤمنين ونهجهم ـ وهو فسق ويسمى فاعله فاسقا . « **بئس الاسم الفسوق بعد الايمان** » اي بئس ان يذكر الشخص بالفسق بعد ان كان مذكورا بالايمان « **ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون** » اي من لم يرجع الى ربه نادما على ما فرط منه من مخالفة الله وما مارس من معصية وعدم طاعة ، فاولئك هم الظالمون لانفسهم بوضع العصيان موضع الطاعة وبتعريض النفس للعذاب والمهانة ـ ولا ينقذه من هذا وذاك الا الرجوع الى الله بالتوبة .

المعنى العام للاية :

لا تزال السورة توالي البشرية بتوجيهاتها البناءة ، وتمدها بنصائحها

الفذة وارشاداتها الخلاقة بهذا وبذاك تهديها الى معالم الحق ، وتسلك بها الصراط السوي ، وتعالج ما ترميها به الايام من انحراف في السلوك وسوء في التعامل ، وتنافر في العلاقات الخاصة والعامة - وها هي في الاية التي معنا تنهى عن امور ثلاثة - هي : السخرية واللمز والنبز - فتقول « **يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم** .. الخ . وقد سبق التعريف بكل منها وتبين انها خروج عن آداب القرآن وان هذا الخروج فسق .. الى اخر ما قلنا هناك وتبين كذلك ان ثلاثتها امراض نفسية واجتماعية لها خطرها وضررها في النفس وفي المجتمع مما يترتب عليها من خلخلة اسس الاخاء وفك روابط الولاء في صفوف المؤمنين ومع هذا فان التعبير القرآني يوحي بالتنفير من ثلاثتها وينهى عن ان يصف المؤمن اخاه المؤمن بها او بأيها ، فان المؤمنين جميعا كنفس واحدة قال تعالى « **ولا تلمزوا انفسكم** » اي عيب الاخ عائد الى الاخ العائب - فاذا عاب عائب نفسا فكأنه عاب نفسه . وقد ذكر الله علة هذا النهي بقوله « **لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم** » الاية اي عسى ان يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر

وفي هذا التعليل دحض لما درج عليه الناس من جعل القيم الظاهرة مقياسا لقيم الناس - وبيان ان هناك قيما اخرى قد تكون خافية على الناس ولكن يعلمها الله ويزن بها قيم العباد ، والمراد بالقيم الظاهرة التفاوت في مظاهر الحياة الدنيا من الغنى والفقر والجاه والانكماش والقوة والضعف ، وليست هذه هي المقياس الذي يوزن به قيمة احد لجواز ان تكون له الخيرية عند الله ، وميزان الله يرفع ويخفض بغير المقياس بالقيم الظاهرة ، الذي لا يرى بأسا من استعمال السخرية وغيرها مما نهى الله عنه لما يترتب عليها من اشاعة الفسوق بدل الايمان في النداء على مؤمن او التعرف عليه اذ يقال له يا فاسق بعد ان كان يقال له يا مؤمن - وهذا ظلم حذر الله المؤمنين منه وطلب التوبة منه بقوله « وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون »

« **يأيها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم** » .

« **معنى مفردات الآية** »

يأيها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ، هذا نداء من المولى جل شأنه لاتباع رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، يناديهم بأرقى الالقاب منزلة ، واجل الصفات مكانة ، وارفع الاعمال ذكرا - اذ وصفهم بالايمان الذي

يحمل صاحبه على استجابة النداء ، وعلى امتثال ما في اطار النداء من امر الله القائل « اجتنبوا كثيرا من الظن - اي كونوا على جانب بعيد عن الظن - ذلك لما يترتب عليه من بلبلة الأفكار وسوء العلائق وحل الروابط بين المسلم والمسلم لذا قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه « اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث » - وقال : « ثلاث لازمات لامتي - الطيرة - الحسد - وسوء الظن - فقال رجل : وما يذهبهن يا رسول الله : ممن هن فيه قال صلى الله عليه وسلم : اذا حسدت فاستغفر الله ، واذا ظننت فلاتحقق ، واذا تطيرت فامض » ثم ما هو الظن المأمور باجتناب الكثير منه - قال العلماء - الظن هو التهمة والتخون للاهل والاقارب والناس في غير محله ولغير سبب ظاهر لان بعض ذلك يكون اثما محضا فليجتنب كثير منه احتياطا » .

وفيما ارى ان الذي يبعث الظن عند الشخص احد امرين او هما معا :احدهما : ان يسمع الشخص من اخيه المسلم كلاما لا يريد به سوءا ، فيظن فيه السوء - ثانيهما : ان يرى اخاه المسلم يدخل مدخلا لا يريد به سوءا فيظن فيه السوء ذلك لان بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحا ولكنه في نفس الامر لا يكون كذلك ، لجواز ان يكون فاعله ساهيا او يكون الرائي مخطئا يتجلى هذا المعنى فيما روي ان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعود ان يدخل بيتا في جوف الليل وحده ، وتكرر ذلك منه - ورآه بعض الصحابة على ذلك فارتاب واراد ان يتحقق من سبب دخول عمر هذا البيت في جوف الليل وحده - فدخل البيت بعد ان خرج منه عمر فوجد به امرأة طاعنة في السن لا تستطيع القيام وهي وحدها في البيت فقال لها لماذا**يجيء** هذا الرجل هنا - قالت اني كما ترى وليس لي من يقوم بشأني ولا بشأن بيتي - وهذا يهي لي الطعام والشراب ويطعمني ويسقيني ، ويقيم البيت**ويعيء** للبيت شأنه ، فرجع الصحابي على نفسه باللائمة - وقال كلمة الندم - ثكلتك امك - وهل تتبع عورات عمر » وقوله « **ان بعض الظن اثم** » تعليل للامر باجتناب الكثير من الظن ، اي انما امر الله باجتناب الكثير لان بعض الظن يكون اثما محضا اي ذنبا محرما - يعني ومثله منهي عنه صراحة كتابا وسنة فلا يدخل في الكثير من الظن المأمور باجتنابه - لذا ابهم الكثير للاحتياط والتأمل في كل ظن خوف ان يقع في ظن منهي عنه - فأنه لا يدري اي ظنونه تكون اثما - وقوله **ولا تجسسوا** - التجسس البحث والتقصي عن الاخبار والامور من جس بمعنى بحث - والمعنى لا تبحثوا عن عورات المسلمين وخفاياهم ففي الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه وسلم « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فأن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته » .

وقوله « **ولا يغتب بعضكم بعضا** » يقال اغتاب الشخص اي عابه وذكره

بما يكره وان كان فيه ومتصفا به ـ وسواء أكان غائبا عن مجلس القول او حاضرا فيه ـ وسيأتي لهذا مزيد ايضاح ان شاء الله قريبا .

« **المعنى الاجمالي للآية** :

ورد انها نزلت في رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتابا رفيقهما ـ وقصتهما معه تتلخص في ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان سفر او غزو ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين ليخدمهما ويهي الطعام والشراب لهما فضم مرة سلمان الى رجلين ـ فتقدم سلمان الى المنزل يوما فغلبته عيناه فنام ولم يهيء لهما شيئا فجاءا فلم يجدا طعاما ولا إداما ، فقالا له انطلق فاطلب لنا من النبي صلى الله عليه وسلم طعاما واداما ـ فذهب فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اذهب الى اسامة بن زيد ، فقل له ان عندك فضل طعام فليعطك وكان اسامة خازن النبي صلى الله عليه وسلم ـ فذهب اليه ـ فقال اسامة ما عندي شي فرجع سلمان اليهما واخبرهما بما كان ـ فقالا ، كان عند اسامة ولكنه بخل ـ ثم بعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا ـ فقالا : لو بعثنا سلمان الى بئر سمحة ـ يعني غزيرة الماء ـ لغاض ماؤها ـ ثم انطلقا يبحثان هل عند اسامة شيء فرآهما النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما ـ فقالا والله يا نبي الله ـ ما اكلنا في يومنا هذا لحما ولا غيره ـ فقال : ولكنكما ظلتما تأكلان لحم سلمان واسامة فنزلت الآية « **يأيها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن** » ـ ومعناه لاتظنوا بأهل الخير سوءا ان كنتم تعلمون من ظاهر امرهم الخير هذا وبالتأمل في احوال البشرية عبر الزمن الطويل ، وبالتدبر في تقلباتها متأثرة بكل تطور جديد نرى انها عرضة لاحداث الزمن ، وهدف لامراض المجتمع ـ ونرى كذلك ان هذه السورة تواليها في كلتا الحالين بما يعود عليها بالخير والبر ، وما يدفع عنها غوائل الضر والشر ـ حيث تواليها في الحال الاولى بالتوجيهات الحكيمة والنصائح الغالية الرشيدة تربية لضمير الفرد وتهذيبا لنفسه وخلقه ـ وبالتالي بناء المجتمع اسلامي مثالي به تكون البشرية مطمح الانظار ومضرب الامثال في نباهة الشأن وقوة البأس ، ووحدة الهدف والصف وتواليها في الحال الثانية بعلاج ما تعاني منه البشرية من عادات سيئة ـ في المجتمع متفشية ومن امراض اجتماعية ونفسية في مستويات الامة شائعة ـ وذلك كسخرية فرد بفرد وحقارة طائفة لطائفة وظن السوء في الغير مما يؤدي لاشاعة الفوضى في الامة ، وتقويض مراسم النظام في المجتمع ـ ودفعا لهذه الاضرار اخذت السورة تعالجها بوسائلها الناجعة ـ وذلك بالنهي عن ممارسة هذه الامراض اذ تقول في اية تقدمت قريبا « **يأيها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن** » الآية وقد تكلمت عنها في موضعها ، ثم تقول السورة تعقيبا على هذه الاية بما يفيد وسائل

اخرى لعلاج هذه الامور غير النهي عن ممارستها الذي في الاية السابقة ـ هو الامر باجتناب بواعث هذه الامراض اذ تقول « **يا أيها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن** »

وباعث هذه الامراض هو الظن اذهو كما تقدم التهمة للغير والتخون للاهل والاقارب والناس وكلها امراض اجتماعية وعلاجها اجتناب الكثير من الظن كنص الآية ـ وقوله « **ولا تجسسوا** ـ نهى عن التجسس على الغير من جس بمعنى بحث ، وتجسس الاخبار والامور بحث عنها ـ والمعنى لا تبحثوا عن ما غاب من شئون المسلمين ، وعليكم بما علم لكم من ظاهر امرهم وسبق ان الرسول ايد هذا المعنى بالحديث المتقدم « يا معشر من امن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه الخ الحديث ـ والتجسس تفعل من الجس لما فيه من معنى التطلب وقرى بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ـ وايا كان هذا او ذاك فهو نهى عن ما يوجب التمادي في الظن ، ومد خيوطه لاعمال اقبح ، وصفات اردأ واشنع من كل ما هو خطر على الفرد والمجتمع ـ وقوله « ولا يغتب بعضكم بعضا ـ نهى عن الغيبة وقد فسرها الرسول ـ الامين صلوات الله عليه في حديث رواه ابو داود عن ابي هريرة رضي الله عنه قال « قيل يا رسول الله ما الغيبة ـ قال صلى الله عليه وسلم : ذكرك اخاك بما يكره ـ قيل افرأيت ان كان في أخي ما أقول ، قال صلى الله عليه وسلم إن كان فيه ما تقول فقد أغتبته ، وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته ـ اي افتريت عليه الكذب والغيبة محرمة بالاجماع ـ وقد ورد فيها الزجر الكبير من الكتاب والسنة ـ اما الكتاب فقد شبهها تشبيها مفزعا تشمئز منه النفس حتى الخبيث منها اذ يقول ايجب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه » فهو تمثيل لما يناله المغتاب من عرض من اغتابه على اقبح وجه ، وانما مثله بهذا لان لحم الميت حرام في الدين ، وقبيح تناوله تعافه النفس في الواقع ، وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه ودمه ومعلوم ان الانسان يتألم قلبه من انتهاك عرضه ، كما يتألم جسمه من قطع لحمه ـ واما السنة ، فقد روى مسدد عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا ـ صفية هي بنت حيي بن اخطب زوج النبي صلى الله عليه وسلم ـ وقال مسدد راوي الحديث ـ تعني عائشة بقولها كذا وكذا ـ تعني انها قصيرة ـ فقال صلى الله عليه وسلم ـ لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته ـ ولما اعترف ماعز بالزنا هو والغامدية وطلبا الى رسول الله في الحاح ان يطهرهما باقامة الحد عليهما ، ونفذ ذلك رسول الله عليهما سمع رجلين يقول احدهما لصاحبه الم تر الى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم حتى مربجيفة حمار فقال اين فلان وفلان انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار ، قالا : غفر الله لك يا رسول

الله ـ وهل يؤكل هذا ـ قال صلى الله عليه وسلم ، فمانلتما من اخيكما انفا اشد اكلا منه والذي نفسي بيده انه الان لفي انهار الجنة ينغمس فيها .

ثم عقب الله على الاية بالتقوى وختمها بالتوبة مما يفيد الاهتمام بما تضمنته من النهي عن الظن والتجسس والغيبة ـ والدلالة على انها من كبائر الذنوب يجب تحاشيها والانصراف عنها والتذرع بالتقوى والتوبة الى الله منها حماية للفرد من الانحراف وصيانة للمجتمع من التفكك والانخذال وهل تحتاج هذه الامور الثلاثة لاستحلال المغتاب ونحوه منها ـ خلاف بين العلماء في ذلك قال فريق عليه استحلال منها ويكفيه التوبة بينه وبين الله منها ـ وقال فريق اخر عليه ان يستغفر لصاحبها لما ورد في الحديث عن الحسن كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبته ـ وقال اخرون عليه الاستحلال ولو اجمالا ـ ومعنى الاستحلال ان يطلب المغتاب العفو والسماح فيما كان منه نحو الاخر ـ اما التوبة فهي الانابة الى الله والرجوع اليه في العفو عنه فيما فعل من المنهي عنه ولا يتحقق هذا المعنى الا يتحقق امور ثلاثة ـ هي :

اولا : الندم على ما كان منه فيما مضى .

ثانيا : الاقلاع عنه فورا .

ثالثا : العزم الاكيد المصمم على ان لايعود اليه مستقبلا ـ وبذلك يطهر من ذنوبه ويصبح كمن ولدته امه من جديد ولم يقترف شيئا والنصوص على ذلك كثيرة :

« **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير** » .

« **معنى مفردات الاية** »

يا أيها الناس نداء من العليم الخبير لجميع الكائنات البشرية من ادم عليه السلام الى يوم يبعثون ـ يناديهم ربهم ليحيطهم علما بانه هو الذي خلقهم واوجدهم من العدم من اصل واحد وهو ذكر وانثى ـ وهما ادم وحواء ولم يتركهم هكذا فوضى كالحيوانات السائمة لا يعرف بعضها بعضا بل جعلهم طوائف متعددة وفرقا متقاربة وجعل لكل منها أسما يميزها عمن سواها بحسب هذه الأسماء لتنظم المصالح وتستقيم شئون الحياة وخلافة الله في الارض عمل كل هذا ليتعارفوا اي ليعرف بعضهم بعضا فيصلوا ارحامهم وينتسبوا الى ابائهم ـ لا ليتفاضلوا او يتفاخروا بعلو النسب بهذه الاسماء كما هو متبع بينهم فان نسبهم جميعا واحد وهو الذكر والانثى الذي خلقهم الله منه فلا يمكن التفاخر به لأن الجميع فيه سواء ـ على ان التفاخر بالتسابق في كل ما هو زينة الدنيا وزخرفها يورث صاحبه اعتزازا بنفسه واحتقارا لغيره ويملؤه اغترارا بما ملكت يمينه منها وصغارا وسخرية لكل من خليت يده من شي منها وليس هذا خلق الاسلام ولا شأن المسلمين وليس كذلك التفاخر بما هو طاعة لله ابتغاء مرضاته فانه يضفي على صاحبه عزة

النفس ويدفعه للنظر لاخوانه نظرة اخاء مخلص صادق وولاء وروح طيبة يدفعها الحب والود والوفاء وهذا جدير ان يفتخر به فانه آية الايمان العظيم » .

المعنى الاجمالي للآية

« **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى** » الخ الاية اختلف في سبب نزول هذه الاية الكريمة على اقوال ـ منها واوضحها ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما كان فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً حتى علا ظهر الكعبة فأذن ـ فقال عتاب بن اسيد بن ابي الفيض : الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم ـ وقال الحارث بن هشام ما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا ـ وقال ابو سفيان : انا لا اقول شيئا اخاف ان يخبره به رب السموات والارض ـ فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بما قالوا فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا فانزل الله الاية لبيان ان هذه الاسماء انما هي للتعارف لا للتفاخر والتفاضل اذ يقول « **وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** ـ ولبيان ان التفاضل انما يكون في التسابق فيما هو طاعة لله ابتغاء مرضاته إذ يقول في الآية : « **ان اكرمكم عند الله اتقاكم** » اي ان اعزكم عند الله اكثركم تقوى له فهي سبب رفعة القدر في الدنيا والاخرة ، لذا قال اتقاكم ولم يقل اكثركم مالا ولا جاها ولا احسنكم صورة ولا غير ذلك من الامور التي تفنى .

ذكر الله في ندائه هذا من الاسماء اثنين فقط هما قوله ـ شعوبا وقبائل ـ الشعوب جمع شعب بفتح الشين ـ وهو الجمع العظيم من الناس المنتسبون لاصل واحد وسمي شعبا لتشعب القبائل منه فهو رأس القبائل والقبائل دون الشعوب .

وقد عد العلماء هذه الاسماء ستة ـ هي الشعب ـ القبيلة ـ العمارة ـ البطن ـ الفخذ ـ الفصيلة وزاد بعضهم العشيرة واطلقوا عليها الانساب بدل الاسماء ـ وكل واحدة منها تدخل فيما قبلها هكذا القبائل تحت الشعوب ـ والعمائر تحت القبائل ـ والبطون تحت العمائر ـ والافخاذ تحت البطون ـ والفصائل تحت الافخاذ والعشائر تحت الفصائل ـ نعم كلها فوارق ولكنها للتعارف بينهم وبيان منازله ودرجاته قربا وبعدا ـ كما اخبر العليم الخبير بذلك في ندائه اذ يقول وجعلتكم شعوبا وقبائل لتعارفوا وكذا الفوارق باللون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني وما يماثلها من شئون الدنيا ليس لها حساب في ميزان التفاضل والتفاخر ولكن لهذا ميزان اخر خاص تتحد به القيم ، وتبين به الفضائل والمكارم والمنن اعلن العليم الخبير في ندائه اذ يقول « **ان اكرمكم عند الله اتقاكم** » وقوله « **ان الله عليم**

خبير » يعني عليم بظواهركم خبير ببواطنكم فلا يخفى عليه شي ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء « **قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم** » .

معنى مفردات الآية :

تطالعنا الاية بكلمتي امنا واسلمنا ومعنى الايمان هنا هو التصديق القلبي لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وحقيقة الاسلام ان تتحول النظرية المستقرة في القلب الى تطبيق عملي ظاهري يلمسه ابناء المجتمع الواحد في السلوك العملي ، ومساق الاية ونزولها قد جاء بعد وفود بني اسد الى النبي صلى الله عليه وسلم يعلنون انهم مؤمنون بيد ان حقيقة الايمان لم تستقر في نفوسهم بعد ، وكانوا قد دخلوا في الاسلام حماية لانفسهم من القتل فابان الله ان هذا الذي فعلوه انما هو امتثال ظاهري لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصلوا الى حقيقة الايمان بعد ، فيجب ان يكونوا ادق في تحرير مفاهيم الالفاظ وهم يعلنون الانتماء والصلة بالنبي صلى الله عليه وسلم .

ويستفاد من هذه الاية ان الايمان اخص من الاسلام كما هو مذهب اهل السنة ، ويدل عليه حديث جبريل الوارد في صحاح السنة حين سأل عن الاسلام ثم عن الايمان ثم عن الاحسان فترقى من الاعم الى الاخص ثم الى الاخص منه واذا كان هؤلاء الاعراب في بداية امرهم قد اعلنوا الاستسلام الى النبي صلى الله عليه وسلم ولم تسبر الحقيقة الايمانية الى نفوسهم بعد فان هذا نوع من العمل لم يذهب عند الله سدى فمن رحمة الله بعباده ان لا يضيع اعمالهم وإن لم يتكامل هذا العمل بعد ، وذلك ما يفيد قوله تعالى « **وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا** » اي لا ينقصكم من اعمالكم شيئا ، ذلك لان الله عز وجل اقرب الى المغفرة والرحمة فيقبل من العبد الخطوات الاولية التي يسير بها الى الحقيقة الايمانية الكاملة ، ويرضى منه بالطاعة والتسليم الى ان تتحول تلك الخطوات الى حقيقة كاملة تخالط بشاشة القلب وتتفاعل مع المجتمع نظرية وتطبيقا .

« **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون . قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شي عليم . يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين . ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون** » .

واذا فقد صحح الله عز وجل لهم تلك المفاهيم في نفوسهم وابان لهم ان الايمان هو تصديق القلب بالله ورسوله ، تصديق لا يعتريه الشك ولا تطرأ عليه الريبة وذلك التصديق الثابت المطمئن الذي لا تزعزعه اعاصير الرياح الهوج مهما اشتدت واستبدت ، والذي يترتب عليه الجهاد بالنفس والمال وكل ما يدخل تحت الملكية في سبيل الله ، ولا يتم ذلك الا اذا وصلت تلك الحقيقة الى القلب وقشرتها واختلطت به وعندئذ تدفع تلك الحقيقة المستقرة في القلب والمستكنة في اعماق الشعور تدفع اصحابها الى تحقيق حقيقة هذا الايمان في دنيا الناس بحيث تستحيل النظرية الكامنة في اعماق الفرد الى واقع عملي في المجتمع لتوحيد الشعور الباطني وتحويله الى سلوك عملي ومن هنا كان الانطلاق الى الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال منهجا حركيا ليحقق ما يستشعره الفرد في باطنه ويراه سلوكا نظيفا ، نظيفا في المشاعر ، ونظيفا في سائر مناحي الحياة الاجتماعية .

ومما يلفت النظر في هذه الاية هو قوله عز وجل « **ثم لم يرتابوا** » ووضعها بين كلمتي آمنوا وجاهدوا ، ان هذه لاشارة واضحة وصريحة على ان هذه الرحلة ليست رحلة على طريق ممهد ميسور وانما هي رحلة تكتنفها الصعوبات والمشقة فلابد للنفس اثناء سيرها في تلك الرحلة ان تصطدم في الحياة بشدائد ونوازل وخطوب تلم بها اثناء سيرها « **أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** » العنكبوت اية ١٢ .

والنفس التي تثبت ولا تتزلزل وتقف كالطود الاشم في مواجهة الذين يريدون ان يعبدوا البشر للبشر هي التي تستحق ان توصف بذلك الوصف الذي جعله الله تتميما للاية وختاما لها وهو قوله « اولئك هم الصادقون » . الصادقون في ايمانهم بربهم الصادقون في مشاعرهم وضمائرهم واحساساتهم ووجداناتهم وهم دائبو العمل على ترجمة هذا الشعور وتحويله الى واقع عملي .

فاذا لم تتحقق تلك المشاعر في القلب ولم تتحقق واقعيا على صعيد التعامل الاجتماعي لم يكن هناك ايمان بالمرة . وبعد ان يكشف عن حقيقة الايمان ويحرر مفهومه تماما حتى لا يبقى معه لبس يعود الى اعراب بني اسد الذين جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلين :

(أتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان) يمنون عليه بذلك . فيبين لهم ان الله يعلم ما تنطوي عليه الصدور والقلوب ويعلم كذلك كل شاردة وواردة بهذا الكون اذ هو خالقها ومالكها وتدين كلها بالخضوع والانقياد له ، لانها صنعته وخالق الشي ادرى بتفاصيل جزئياته وكلياته . قال عز شأنه « **يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء**

وما يعرج فيها وهو معكم اين ما كنتم والله بما تعملون بصير » الحديد ٤ .

ولذا لا يجب ان تخبروه بحقيقة الدين الذي انتم عليه فانما هو يعلمه ايمانا كان ام اسلاما واذا فلا مجال للمن بالاسلام او الايمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما نفع ذلك عائد عليكم فلا تمنوا عليه بذلك ولله المنة على الناس فيه « **بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين** » الحجرات /١٧ . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار يوم حنين اذ قال لهم (يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فالفكم الله بي ، وعالة فاغناكم الله بي ، فكلما قال شيئاً قالوا الله ورسوله امن) .

وعاد النص القرآني من جديد يؤكد هذه الحقيقة ويعمقها في النفس البشرية مبينا ان الذي يستأثر بعلم غيب السموات والارض يعلم غيب النفوس ، وما يستكن فيها ، وما تنطوي عليه ، وما تخفيه في ضمائرها ومشاعرها ، فلا يستمد ذلك العلم من المنطق الظاهري للالفاظ لانه هو الصانع والصانع ادري بتفاصيل صنعته « **الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** » الملك /١٤ « **ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون** » الحجرات /١٨ .

اما بعد ـ فهذه سورة الحجرات التي تضمنت ثماني عشرة اية والتي تكون عالما كبيرا يتجاوز حجم نصوصها بكثير . فلقد تضمنت حقيقة العقيدة والشريعة ، ووظيفة الانسان في الحياة وهي حقائق تثير اللب وتحرك الوجدان وتجعل القلب والعقل البشري غير محجوب ولا مسترق الفكر انما هو حر في البحث والتحري عن الحقيقة الكبرى ـ حقيقة الالوهية والربوبية ليصل من ذلك الى تمحيص العبودية لله عز وجل وفي ذات الوقت تفتح المجال امام الخواطر العميقة والتأملات الهادئة الهادفة في ثنايا هذا الكون المخلوق لله والمربوب له ، وتشتمل كذلك على قواعد التربية والتهذيب ، وبين ثناياها نجد المنهج الكامل لبناء المجتمع الصالح وقد تضمنت السورة الوسائل التي تضمن قيام هذا المجتمع الصالح ، ووضعت الضمانات لكي يسير في طريق مستقيم لا تزيغ ولا تعوج ولا تضطرب .

وخلاصة القول : ان السورة تهدف الى تكوين العالم المسلم الذي يتميز بأدبه مع الله وأدبه مع رسوله وأدبه مع نفسه وادبه مع غيره وأدبه في اعماق ضميره وجوارحه ، وله ايضا شرائعه الخاصة به المنظمة لسلوكه القائمة على تحقيق منهج الله في الارض وربطها بالسماء ربطا محكما ليسير الكون الى غاية محدودة وهي كلمة التوحيد ـ لا إله الا الله محمد رسول الله .

والله ولي التوفيق



للاستاذ : احمد العناني

حتى لا يقهروك يا بني
حتى لا يجعلوا منك عدوا لذاتك لدودا
حتى لا يوقعوك في شباك التناقض وعذاب الحيرة
حتى تظل عارفا عما تدافع ، ومن تدفع عن نفسك
حتى لا تفقد هويتك ، ولكي لا تنشطر ذاتك ، ولكي لا يتنكر يومك لأمسك ، ولكي لا تصبح جبارا على اهلك وذوي رحمك ، وأبناء دينك ...
ولكي لا تصبح حجزا آخر يلقي به أعداء هذا الدين في دروب المسلمين ..
ولكي يبقى فيك سر قوتك ، فلا ينزعوه منك فتصبح ذليلا لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ..
احذر يا بني ان يفتنوك عن بعض دينك ...

ان الله تعالى جعل من المحارم سياجا لحماية الذات المسلمة ، ولحفظ نقاء القلب المؤمن ، وللدفع عن حمى الشخصية الموحدة ..

ان الهام الأهم في ترك الخمر مثلا ليس حفظ العقل من غشاوة الجهل ، ولا حفظ المال من سفه الضياع ولا سقوط الحياء من مباشرة المنكر .

ولكن ترك الخمر سياج يحمي حديقة المؤمن
انه سور يحيط بيقظة المسلم على ذاته ، واتصال همس قلبه وروحه بذكر ربه ، واستمرار الرائع البديع من احساسه بمسئوليته
وصيانة لتجاذبه الدائم مع رب الوجود ، عالم الغيوب مقرر المصائر ، واهب النصر ودافع الخطوب .
صدقني ان حقيقة المسلم ان يكون دائمامع ربه
انه يخرج من صلاة الى ذكر يهيىء لصلاة بعدها ..
ان في اعماقه حارسا لا يغفل ، ولا يصح أن يغفل
انه يحس فورا حين يخرج من هذه الصحبة الربانية بأنه اصبح يتعرض فورا لوساوس المنكر ..
فكيف به حين يشرب الخمر ، وينيم العقل ، ويوقظ كل شهوات الفجور ونوازع الضلالة والضياع ..

ان وجود المسلم ضمن الاسلام على الارض
هو وجود عمل وأمل ، وكفاح ومسئولية ..
هو وجود لصلاح الوجود عبر صلاح الذات ..
وكيف يحس بالفراغ من عليه ولو أبسط قدر من المسئولية عن جوع كل مسلم جائع ، وعن دموع كل أرملة باكية وعن أسى كل يتيم دامع ، وعن فقر كل فقير متجمل وعن كل هزيمة يصاب بها المسلمون ، وكل تأخر يذل حالهم بين العالمين .. وعن كل وطن يهان وأرض تسلب ..
فأين المخمور من هذه المسئوليات يا بني ؟
اين المخدر من هذه الواجبات .. اين ؟

حذار يا بني حذار
تقبل ان تقطع يدك ولا تمدها الى كاس خمر

تصور أن تقع في حفرة او ان تدوسك سيارة او يخترق جسدك عيار نار طائش
ولكن لا تتصور مجلسا تجلس فيه مع مخمورين
ولا يغرنك غمز الغامزين ولا منطق الساقطين ..
ان كل ما يغمزونك به هو المحاولات الكلمى المثلومة .. للتفريج عن احساسهم بالهزيمة والسقوط ..
ومن شرب الخمر نسي الامر واضاع الصلاة ، وهان عليه المحرم وانزلق داريا او غير دار الى اخلاق كل مجرم ..
ايها الولد الميمم شطر الغرب او الشرق ليتعلم !
آه ما اكبر المسئولية التي تتحمل
آه ما اضخم التحدي الذي تواجه ..
ان وراءك امة تنقصها الالوف المؤلفة من الفنيين والاخصائيين والصناعيين والحاسبين الاداريين ، وليس بنافعها منهم احد الا المخلصين المحبين ..
فهل تعود لهم وقد تعلمت الخمر فكرهت الصلاة ، وثقل على لسانك ذكر الله ،
وامحي من وجدانك كتاب الله !
ام تعود لها نفس شطرها الخمر فهانت عليها المحارم وقادها فجور الحانات للاستهانة بمحارم الله ونواهي الله
هل تعود لها زائغ الايمان غريب الشكل والقلب واللسان ؟
عيب والله يا بني وارضنا منهوبة وكرامتنا جريح وخيراتنا سليبة وحالنا متفرقة وبيتنا مضطرب
ايها الولد ، ابحث في خفايا نفسك وفتش في طياتها قبل ان تنقل قدما الى بلاد الله اعرف نفسك وما تريد ..
فان لطلب العلم سبيلا من الوحدة المؤتنسة بالله والغربة التي ينهنه شوقها الهدف السامي ويهدهد سهادها الانجاز والسعي
اما ان كنت تختان نفسك وتهفو الى حرية التبذل واثم الترخص من الواجب ، وعذر الهارب من الحق فبئس الرجل انت ، اضعت نفسك واضعت اباك ومال ابيك ولوثت شرف بلادك ، وعدت لها اذا ما عدت حربا عليها وعلى كل معنى كريم في وجودها وحضارتها ..
ايها الولد هداك الله ورعاك

نحن لا نحتاج من يبيع لنا بضاعة مزجاة عن الخير والحق ، ولا عن الاخوة والعدالة والمساواة
نحن بأيدينا مفاتيح الحجرة التي تحوي اسرار كل المعاني الحسان ..
حيث الحرية التي لا تنتهي الى الظلم ، والدولة التي تنهض بكل قوى الفرد ، والأمة الواحدة التي يلملمها الحب ، وتنسقها حقيقة الاخوة ، والمال الموظف لصالح الخلق ، والمشاركة التي تزكي السعي ، وتغسل الارواح من كدر الكبرياء وغسل الحقد
نحن أهل القرآن يا بني !
نحن اهل البر والتسامح والمرحمة والبذل .. نحن كنا شموع الحق على الدرب .. لولا كتابنا ما انار درب
نحن الذين يجب ان نشرح للناس فيستمعوا
ونقرأ لهم فيصغوا ، وندلهم على جنة القرآن فاذا الدنيا أمان وحق واحسان ، واذا الحياة مرحمة وكرامة وايمان ، واذا الاجواء نقية مطهرة ، والعيش كله روض وروح وريحان .
ايها الولد ..
نحن عندنا الارض والماء والمناخ ، وما حاجتنا الا للوسائل والأدوات ..
نحن نحتاجك لمختبر للدراسة ، ومصنع للانتاج ، وطريقة في التنظيم والتشغيل
نريدها لنعيد للعالم كله يقينا زلزله الكفر
وازاغه الفسق ، واعماه الظلم ، والتمييز والكراهية ،
نريده ليهتدي الناس .. لتكون القوة في خدمة الحق ، والمال في خدمة الرحمة
والعدل ، والعلم في خدمة الناس جميعا ...
ايها الولد هداك الله ورعاك
رسالة القرآن تنتظر عقولا فاهمة ، وقوة مقتدرة
فعد لنا بوسيلة من القوة والقدرة ..
لذلك نتحمل الشوق في غيابك ، والصبر على غربتك
فعد لنا ولا تعد علينا ، والا فانها الخيانة الكبرى
ولقد أذلتنا الخيانة الكبرى



يقول المولى تبارك وتعالى :
(يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير . وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور) الحج ٥ ـ ٧ .
صدق الله العظيم

للدكتور : احمد حسنين القفل

البعث : هو رد الميت إلى الحياة ، او هو تزويج الروح مع ذراتها المادية ليتكون الكائن الحي جسما وروحا من بعد الموت كما كان ، مصداقا لقوله تعالى : (**وإذا النفوس زوجت**) التكوير / ٧ ويشتمل هذا التعريف على تحويل الجماد الذي لا حياة فيه ، إلى كائن حي له كل مميزات الحياة .

واذا نحن رجعنا إلى كتب التفسير ـ وهي كثيرة ـ فاننا نجد أنها تفسر الآيات الكريمة السابقة بعبارات مبهمة وغامضة بحيث لا يستطيع القارىء لها ان يستشف ظاهرة البعث ولا ان يكون صورة حقيقية لها في المثلين السابقين اللذين ضربهما الله للتدليل على البعث ، وهما تطور الانسان أثناء دورة حياته الجنينية وما بعدها وكذلك حياة الأرض بالماء وإنبات الزرع ، وللمفسرين القدامى عذرهم في هذا الصدد ، ذلك ان علوم الحياة المتصلة بالحيوان والنبات لم يطرأ عليها هذا التقدم المذهل في كثير من مجالاتها إلا في السنين الأخيرة ، وخاصة في القرن العشرين .

والدارسون لعلوم الحياة ـ أعني علماء الحيوان وعلماء النبات ـ يمكنهم بسهولة إدراك ما تعنيه ظاهرة « البعث » في المثلين السابقين ، وبالتالي توضيح كل جوانبها وإلقاء الضوء على معانيها حتى يزول الشك والريب وحتى يزول الغموض والابهام .

والمعروف لنا ، والمشاهد لدينا ، يدل على ان كل كائن حي ـ من نبات وحيوان ويدخل في ذلك الانسان ـ عندما ينقضي أجله المسمى له ، فلا بد أن يدركه الموت فالموت هو نهاية كل حي ، طال العمر أو قصر ، وبعد الموت يتحول الكائن الحي الى تراب ، يضاف الى الأرض التي نشأ منها ، وإلى غازات ـ اهمها ثاني اكسيد الكربون ـ والى بخار الماء يضافان الى الأجواء المحيطة به . والتراب والغازات وبخار الماء ، كلها تراكيب جمادية لا حياة فيها . وإذا كان التحويل الى التراكيب السابقة يتم سريعا بالحرق ـ في حالة النبات او الحيوانات التي تحرق ، وحتى في حالة الانسان حين يموت وتحرق جثته ـ فان جسم الانسان (ومثله الحيوانات الأخرى او النباتات) الذي يقبر بعد الموت يتحول الى نفس هذه التراكيب بفعل الميكروبات (البكتريا) ونحوها فهذه تقوم بتحليل الأنسجة رويدا رويدا اي ببطء

قد تطول مدته او تقصر ، فهي تطول مثلا بالنسبة للعظام حتى لتصل الى السنين والقرون ، قصيرة بالنسبة للانسجة الاخرى .
والسؤال الذي يتبادر الى الذهن الآن هو : هل يمكن ان ترد هذه التراكيب الجمادية من تراب وغازات لتكون مواد حية من جديد ؟ او بمعنى آخر هل يمكن أن تنشأ حياة من مثل هذه المكونات ؟ وكيف ان الله سبحانه وتعالى يريد أن يقنع المتشككين في البعث والمرتابين في حدوثه بضرب الامثلة السابقة في الآيات القرآنية التي سجلناها في بداية هذا المقال ؟ .
المتأمل في الآيات الكريمة السابقة يرى أن الله يخاطب الناس كل الناس فيقول سبحانه لهم : **(يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث)** أي ان كنتم تستبعدون او تشكون في قدرتنا على احياء الموتى ، اي بعثهم فاني أثبت لكم قدرتي على ذلك ، بضرب امثلة لكم ، تحسونها بأنفسكم أو تشاهدونها بعيونكم او تثبتونها بأبحاثكم ودراساتكم ، ثم يسوق سبحانه الأدلة على البعث — اي تحويل الجماد الى حي — فيسجل سبحانه هذه الأدلة كما وردت في الآيات السابقة على النحو التالي :
١ — الخلق من التراب .
٢ — مراحل التطور في خلق الانسان منذ بدايته كجنين ، وحتى موته بعد استيفاء أجله المضروب له .
٣ — حياة الأرض بالماء ، وقدرتها بعد ذلك على انبات الزرع على اختلاف انواعه وصنوفه .
٤ — يعقب الله تبارك وتعالى على هذه الأدلة فيقول سبحانه :
أ — ذلك بأن الله هو الحق .
ب — وأنه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير .
جـ — وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور .
وسوف نتناول بشيء من التبسيط مناقشة موضوعية علمية لكل هذه المجالات التي اشارت اليها الآيات الكريمة ، لنتيقن من قدرة الله على البعث ، دون ريبة او شك .
اولا : الخلق من التراب
من الحقائق التي يتفق عليها كل علماء الأحياء Biologists ان الحياة على وجه الأرض بدأت اول ما بدأت من التراب المختلط بالماء (الطين) فهم جميعا يتفقون على هذا المنشأ لكنهم يختلفون في تفسير الطريقة أو الكيفية التي نشأت بها هذه الحياة ، كما انهم يختلفون أيضا من حيث زمان حدوثها ومكانه والثابت أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الكون الجمادي — السماوات والأرض — أولا ليكون مسخرا للانسان وفي خدمته ، اذ لا يمكن للأحياء ان تعيش دون ان تستمد مقومات حياتها من هذا الكون ، شمسه وأرضه ، وما أودع فيهما من طاقات وأقوات وارزاق ، هي عمود الحياة في كل الأحياء يقول سبحانه :
(قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب

العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في اربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) فصلت : ٩ـ١٢ .

وبعد أن خلق الله هذا الكون الجمادي ، وسخره بما فيه لمنفعة الانسان خلق الأحياء بداية من الطين ودليل ذلك ان جميع الأحياء ـ النبات والحيوان بما في ذلك الانسان ـ بلا استثناء يوجد بأجسامها قدر من هذا التراب يدخل في تكوين انسجته الحية ، فكل كائن حي ، يتخلف عن جسمه التراب لو أحرق احراقا تاما .

ويوجد هذا التراب في جسم الكائن الحي بميزان دقيق ، بحيث لو اختلت نسبته ـ وهي تختلف كما ونوعا من حيوان الى آخر ، بل من نسيج الى آخر في الكائن الحي الواحد ـ كثيرا لتأثرت حياته ، واختلت صحته ، بل قد يتعرض للموت اذا لم يسعف علاجيا بالقدر الناقص منه ، واللازم له والقارىء الكريم لا بد قد سمع عن الأمراض التي تعتري الانسان نتيجة لنقص في الكالسيوم او الحديد أو .. الخ .. وهذا المقدار من التراب هو ما يتبقى عند احتراق الكائن الحي كما اسلفنا أو هو حظ الأرض من جسمه بعد موته ، وتحلل انسجته .. يقول المولى تبارك وتعالى عن الانسان بعد موته ، وتحليل جسمه :

(بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب . أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد . قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) سورة ق / ٢ـ٤ .

واذا كان العلماء يختلفون كثيرا عند تفسيرهم « للطريقة او الكيفية » التي بدأت بها الحياة من الطين كما أسلفنا فان مناقشة هذا الموضوع تحتاج الى عرض مفصل ليس هنا مقامه ، ولا يجمل بنا الخوض فيه هنا .. الا ان الخلق من الطين بالنسبة للانسان يسجله القرآن الكريم في كثير من آياته يقول سبحانه :

(ومن أياته أن خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون) الروم / ٢٠ .

(الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين) السجدة / ٧ .

(انا خلقناهم من طين لازب) الصافات / ١١ .

(ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون) الحجر / ٢٦ .

واذا كان القرآن الكريم قد قرر ما سبق بالنسبة لخلق الانسان من الطين ونحوه فانه قد قرر في نفس الوقت أيضا أن الانسان قد خلق من سلالة من طين ، يقول سبحانه :

(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) المؤمنون / ١٢ .

والسلالة هنا لا تكون الا بمعنى « الذرية » مقياسا على قوله تعالى عن الانسان أيضا :

(ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) السجدة / ٨ .
ويتضح من الآيات السابقة جميعها ان موضوع « خلق الانسان » من الطين او من سلالة من طين ، يحتاج إلى مناقشة مفصلة ليس هنا مقام الاسهاب فيها .
لكن ما نريد ان نلفت النظر اليه هنا هو ان التراب ــ وهو جماد ــ يدخل في تكوين جسم أي كائن حي بما فيه الانسان ــ ومما تجدر الاشارة اليه ايضا أن الكائن الحي ــ النبات والحيوان ــ يحتاج ضمن غذائه الى مواد معدنية ــ هي التراب ــ لا بد له من الحصول عليها ولو منع منها لتعرضت حياته للخطر ثم الموت . فالنبات يحصل على هذه المواد المعدنية بواسطة جذوره من التربة التي يعيش فيها ، والحيوان بدوره يحصل على هذه المواد المعدنية ــ كالسيوم ، حديد ، بوتاسيوم ، صوديوم ... الخ ــ من الغذاء النباتي الذي هو في الأصل قوام طعامه ، بل حتى الحيوان المفترس يحصل على هذا القدر من المواد المعدنية من لحم فريسته التي غذيت بدورها على النبات . وتتحول المواد المعدنية في غذاء النبات والحيوان مع مواد الغذاء الاخرى الى انسجة حية في جسم النبات والحيوان كما سنوضحه تفصيليا فيما بعد .
ويتضح مما سبق ان الله سبحانه وتعالى الذي خلق الحياة ابتداء من التراب (الطين) . والذي قدر ان يكون التراب مكونا اساسيا للانسجة الحية في الأحياء ، الله الذي خلق الحياة هكذا ابتداء ، قادر على ان يبعث الحياة في التراب انتهاء عند قيام الساعة ، وحين يحين البعث ، يقول سبحانه :
(وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم) الروم /٢٧ .
(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الآخرة) العنكبوت / ٢٠ .
واستأذن القاريء الكريم في ان ابدأ في مناقشة موضوع احياء الارض بالماء لانتاج الزرع كدليل على البعث ، قبل مناقشة الاطوار الجنينية وما بعدها لسهولة العرض ، وتيسير الفهم ، ذلك لان الله سخر النبات للحيوان بما فيه الانسان ، فلزم ان يكون النبات اقل تعقيدا في أنسجته وحياته عن الحيوان .

ثانيا : والأرض والماء والزرع
لما كنا بصدد الكلام عن البعث اي احياء الميت ، ولما كان الله سبحانه وتعالى قد ساق الدليل على البعث في صورة الماء ينزل على الأرض الهامدة ، فاذا بها تهتز وتربو وتنبت ، فليس المجال اذن هو ان نتكلم مثلا عن مقارنة بين الصحاري وقحولتها ومظاهر الموت والسكون فيها لخلوها من الحياة تقريبا ، وافتقارها الى مقوماتها والأرض المزروعة وما تحمل من نبات وحيوان على سطحها ، ومن حياة كامنة بين حبيباتها ، فليس في هذا كله ما يعطي صورة على البعث لكن المقصود هو ابراز صورة جلية واضحة عن الشيء الميت ينقلب حيا ، لينهض ذلك دليلا على

البعث ، وليكون في حد ذاته حجة ، بل حجة داحضة لمن ينكرون البعث ويتشككون فيه . ولكني اريد ان اوضح في البداية ان الله تبارك وتعالى حين قال : **(وترى الأرض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت)** انه سبحانه قد اشترط للحياة في مثل هذه البيئة ثلاثة أشياء هي : الأرض والماء ، والزرع ، وهي ثلاثة اشياء مهمة جدا للحياة ، فلو لم تكن هناك أرض لما صلح الماء والزرع لاستمرار الحياة ، وبالمثل لو فقد أي من الماء أو الزرع لما كانت هناك حياة وقد يقال : إنه يمكن إنبات البذور في ماء نقي ، وأقول : ان ذلك قد يحدث ولكن الى حين ، او امد قصير ، بعده يقف النمو ، ويتحقق الموت ، لعدم وجود غذاء مستمر للنبات ، اذ ان هذا النمو الاول يكون على حساب ما تختزنه البذرة من غذاء ثم بعدها يفنى ليقف النمو وينتهي النبت بالموت ، لان الماء الصراح ليس به عناصر تغذية للنبات . واذن فالارض كمهاد ، والماء كمذيب للعناصر اللازمة للتغذية ، ثم كمكون اساسي للانسجة (مادة الحياة أو البروتوبلازم) لا بدمن وجودها لانبات الزرع ونضوجه ، وعلى هذا الاساس فالثلاثة معا – ومع غيرها – سوف تدخل حتما في تكوين الحياة ، وتدلل على البعث وسوف نناقش هذه المسألة ونوضحها في الوجه التالي :

١ – هب انك غرست بذرة نبات – اي بذرة لاي نبات – ولنفترض انها بذرة لثمرة توت مثلا في ارض مناسبة ، والمعروف ان بذرة شجرة التوت هي من الضآلة بحيث لا يتعدى وزنها ان يكون بضعة اجزاء من الجرام الواحد –

٢- لوغرست هذه البذرة في ارض شديدة الجفاف – صحراوية – وتركتها دون ماء او رعاية فانها لا تلبث ان تموت دون شك ، واذا ماتت على هذا النحو فان الحياة لن تعاودها مهما حاولت او اجتهدت ، لكنك اذا تعهدت هذه البذرة فغرستها في ارض مناسبة وتعهدتها بالري – الماء – عند اللزوم وبالتسميد اذا اقتضى الامر ذلك ، فان هذه البذرة لا تلبث ان تنمو ، فتبدأ الحياة صغيرة في صورة بادرة ضعيفة ، ثم لا تلبث بمضي الوقت ان تزيد نموا وقوة حتى تصبح في النهاية شجرة كبيرة ، وارفة الظلال كثيرة الاعضاء جمة الأوراق غزيرة الثمار (ان اثمرت) وفي النهاية يكون حجم هذه الشجرة قدر البذرة التي انتجتها بلايين البلايين من المرات ، كل ذلك في سنين معدودات .

٣ – ولو تأملت وتدبرت وسألت نفسك من اين طرأت كل هذه الزيادة الهائلة الضخمة في شجرة التوت الكبيرة تلك التي بدأت حياتها ببذرة قليلة الجرم ضئيلة الوزن . فلا شك انك بعد تفكير ستصل الى الجواب وتفسيره كالآتي :

٤ – العلم يقول : ان البذرة ! اي بذرة – بها جنين اصغر منها – وهو الجزء الحي الذي انبت كل هذه الشجرة الكبيرة واغلب انسجتها حية .

٥-ان الزيادة الكبيرة التي طرأت تباعا على البذرة بعد انباتها وهي ظاهرة تعرف علميا « بالنمو » لها مصدران :

أ – مواد ترابية اي معدنية (من التربة اي من الأرض) اذابها الماء – ولا بد من

وجود الماء لاذابتها ــ فصارت بذلك محلولا مغذيا حول جذور الشجرة المتشعبة بين حبيبات التربة . يحتوي المحلول على المواد المعدنية (الترابية) المذابة ــ وهي جماد ميت ــ وللجذور القدرة على امتصاصها حسب متطلباتها من المواد المذابة ، وقد ثبت علميا ان جذور النبات لها القدرة على الاختيار بحيث تفضل عنصرا على آخر او تمتص عنصرا اكثر من غيره ، والمواد الترابية التي امتصتها الجذور تصل الى خلايا النبات المختلفة في الافرع والاوراق والثمار .. الخ وهناك تمتزج بغيرها فيتحول الجميع الى مواد حية ضمن مادة « البروتوبلازم » التي تكون هذه الخلايا والتي عن طريقها تبني الخلايا نفسها وتنقسم تباعا ليتأتى بذلك نموها .

ومما سبق يتضح جليا ان التراب ــ المواد المعدنية وغير المعدنية ــ المذاب في الماء قد امتصته الجذور حتى اذا ما وصل الى الخلايا حولته هذه من جماد الى مادة حية (مع مواد اخرى ضمن بروتوبلازم الخلية) تبني بها الشجرة انسجتها وتنمو تباعا .

لكن هذه المواد الترابية لا تكون في حقيقة امرها الا جزءا ضئيلا جدا ــ لا يتعدى في الشجرة الكبيرة بضعة جرامات وهي ما تتخلف عند الاحتراق ــ من هذه المادة الحية ، لكنه مع ضآلته يعتبر في نفس الوقت مكونا هاما لا يمكن الاستغناء عنه ، فلو ان احد عناصر التراب هذا غاب وهو لازم للنمو فقد يترتب على غيابه مرض الشجرة ، وذبولها ، وموتها في نهاية الامر او عدم نجاحها في بلوغ حجمها الاصيل او كفها عن الاثمار . ومن هنا كانت اهمية تسميد النباتات ــ بالاسمدة البلدية او الكيماوية ــ اذ الغرض من هذا التسميد هو امداد النبات بالعناصر اللازمة له والتي لا تتواجد في التربة او توجد شحيحة فيها فلا تكون كافية .

ب ــ لكن معظم ما يبنى الشجرة مكونا ساقها وفروعها واوراقها وثمارها ، معظم ما يبنى هذه الانسجة جميعها يأتي نتيجة لعملية حيوية يقوم بها النبات ، وتعرف علميا بالتمثيل الضوئي » او« بالتمثيل اليخضوري » نسبة الى اليخضور « الكلوروفيل » وهو المادة الخضراء ــ ونحوها من المواد الاخرى الملونة لاوراق النباتات ــ وخلاصة هذه العملية ان النبات حين يتنفس نهارا في ضوء الشمس فانه يحتاج إلى ثاني اكسيد الكربون ــ وهو غاز متوفر حوله في الجو ــ ويلفظ الاكسجين اي ان النبات نهارا يتنفس بعكس الحيوان وهذه حكمة الله سبحانه في ان يكون تنفس الحيوان والنبات يكمل احدهما الاخر فزفير الحيوان هو اساس لحياة النبات « كشهيق » « وزفير » النبات هو اساس « لشهيق » الحيوان . وسبحان مدبر الاكوان . وعندما يتنفس النبات نهارا فان ثاني اكسيد الكربون الذي يحصل عليه النبات يتفاعل مع الماء واليخضور الموجودين بالنبات لكن ينجح هذا التفاعل فانه لا يتم الا في وجود ضوء الشمس ، ومن ثم سمى بالتمثيل الضوئي ــ وحصيلة هذه العملية كلها هي بناء الجزء الاكبر والاهم من انسجة النبات الحية ومواصلة النبات حياته ليؤتى ثماره .

وانت ـ ايها القارىء الكريم ـ ترى معي ان كل ما يلزم لعملية التمثيل الضوئي هي تراكيب ميتة (جماد) تحولت في النهاية الى مادة حية ـ هي بروتوبلازم النبات ـ بها يبني النبات كل انسجته الحية اللازمة له أفلا يكون ذلك « بعثا » ؟ أو لسنا نرى « دليل البعث » قائما امامنا في كل لحظة متمثلا في تحويل تراب الأرض وثاني اكسيد الكربون والماء في وجود اليخضور وضوء الشمس في تحويل كل ذلك الى انسجة حية ؟ ان كل نبات حي كبير كالاشجار الباسقة ، او صغير كالحشائش ونحوها يبدأ ـ في العادة ـ ببذور صغيرة تحتوي الاجنة ، لكن معظم حجمه الذي يبلغ اضعاف اضعاف بذرته بل وتكون ثماره بذورا كالاصل ، وكل هذه الاضافات الحية تكون اصلا من تراكيب ميتة ، هي ما اشرنا اليها آنفا .

وثمة شيء آخر وهي ان الآية الكريمة تسجل ان الارض الهامدة تهتز وتربو عندما ينزل الماء عليها ، فماذا عساه يعني ذلك :

١ ـ حبيبات التربة ذاتها مادة ميتة (جماد) وستظل كذلك ما لم تذب اجزاء منها في الماء لتكوين محلول يتغذي عليه النبات كما اشرنا الى ذلك فيما سبق .

٢ ـ اما « الاهتزاز » فمعناه الحركة الموضعية الضئيلة ، وهذا قد يتأتى للحبيبات نتيجة لانزال الماء عليها ، وحركاته بينها ، وذوبان بعض مكوناتها ولو جزئيا .

٣ ـ اما لفظ « ربت » فمعناه زيادة الحجم بعد انزال الماء على الحبيبات عما كان عليه قبل انزال الماء ، اي والأرض هامدة ـ والاهتزاز والزيادة في الحجم يمكن ان يحدثا لاسباب منها ؟

أ ـ حركة الماء في المسافات البينية الكائنة بين حبيبات التربة ثم فوق سطحها ، وتشرب الحبيبات له يجعلها تهتز وتربو ،

ب ـ وجود الماء يخمر المواد العضوية ـ المخلفات النباتية والحيوانية ـ بين حبيبات التربة ، وهذا من شأنه ان يزيد من حجم المادة العضوية حجما ، وهذه الزيادة بالتالي تضغط بدورها على حبيبات التربة فتجعلها تهتز وتربو .

جـ ـ بعد انزال الماء على الأرض فان البذور فيها ـ ان وجدت ـ تبدأ في الانبات ومن ثم تبدأ جذورها صغيرة وسطحية ثم لا تلبث بالنمو ان تزداد تشابكا وتعمقا وحجما ، ويؤدي كل هذا بدوره الى ان تهتز الأرض وتربو .

د ـ قد يوجد بالأرض الهامدة كائنات حية دقيقة ـ نبات وحيوان ـ لكنها لا تكون نشيطة بل تكون في حالة سكون او سبات ـ شبه ميتة ـ وهذه الصورة من السكون او السبات هي ظاهرة يطلق عليها العلماء « التكيس او التحوصل » وعند انزال الماء وذوبان المواد العضوية والمعدنية فيه ، فان ذلك يحدث بيئة اي وسطا مناسبا تجعل هذه الكائنات تبدأ حياتها وانشطتها من جديد بين حبيبات التربة ، وهذا ايضا في حد ذاته « بعث » يؤدي الى اهتزاز التربة وزيادة حجمها ، ومن الغريب او مما يلفت النظر ان القرآن الكريم يشير الى ان الأرض تهتز وتربو كدليل على حيويتها ـ كما سبق أن أوضحنا ـ حتى دون وجود نبات فيها ـ يقول

سبحانه :
(ومن آياته انك ترى الأرض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير) فصلت / ٣٩ .
ولأمر يراد اورد الله في القرآن الكريم آيات قرن فيها حيوية الأرض بتوفر الرطوبة فيها . ودلل بذلك على البعث . يقول سبحانه :
(والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون) الزخرف / ١١ .
(فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى) الروم / ٥٠ .
(والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) فاطر / ٩ .
(وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة) البقرة / ١٦٤ .
(والله انزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها) النحل / ٦٥ .
(ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله) العنكبوت / ٦٣ .
ومن رحمة الله وعجيب صنعه ان الارض بموادها المعدنية وغير المعدنية ، وكذلك الماء وثاني اكسيد الكربون في الجو ، هي كلها مواد ثابتة بالنسبة لكل نبات ، ومع ذلك نجد ان النباتات تختلف اختلافا شاسعا حسب انواعها وتركيبها الوراثي ، ومن ثم فان اشكالها وأحجامها وألوانها وثمارها .. الخ تختلف ، مع أنها تسقى بماءواحد ويسجل الله على الانسان هذه النعمة ويذكره بها فيقول سبحانه :
(وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا اقلت سحا باثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) الأعراف / ٥٧ .
(وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) رعد / ٤ .
(وآية لهم الأرض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمرة وماعملته ايديهم افلا يشكرون . سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون) يس / ٣٣ــ ٣٦ .
(فلينظر الانسان الى طعامه . اناصببنا الماء صبا . ثم شققنا الارض شقا . فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وابا . متاعا لكم ولانعامكم) عبس / ٢٤ ــ ٣٢ .

ثالثا : مراحل خلق الانسان :

فيما سبق ، أحطنا القارىء الكريم علما ، بما يقوم به النبات من تسخير جذوره لامتصاص عناصر التربة المذابة في الماء ، وبما يقوم به النبات الأخضر من تمثيل ضوئي (يخضوري) بواسطة أجزائه الخضراء ، وخاصة الأوراق . ومن تحويل هذه التراكيب الميتة (جماد) من التربة ، وثاني أكسيد الكربون ، إلى مادة حية (بروتوبلازم) يبني بها النبات أنسجته الحية ـ إذا كان القارىء قد ألم بكل هذا ، واتضح له من تحويل التراكيب الميتة إلى أنسجة حية ، أن ذلك ينهض دليلا مقنعا على البعث ، فان ما يحدث من تغذية لجنين الانسان ـ وأي حيوان آخر ـ في رحم الأم ، ثم ما يحدث بعد ذلك من تغذية للوليد منذ مهده وحتى لحده ، ما هو إلا شبيه بتغذية النبات مع اختلاف في طريقة التغذية وتراكيب مواد الطعام ، وفيما يلي مناقشة مفصلة لايضاح ذلك ، ولتوضيح الدليل على البعث في هذا الصدد .

أولا ـ الأطوار الجنينية :

بالنسبة لجنين الانسان ـ وكذلك أجنة الحيوانات الأخرى من الثدييات ـ في رحم الأم ، يمكن مناقشة الموضوع على الوجه التالي :

أ ـ يقول المولى تبارك وتعالى :

(**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم**) البقرة ـ ٢٢٣ .

والحقيقة أن استخدام لفظ « حرث » في الآية الكريمة إن كان مجازيا فيما يبدو ، إلا أنه لا يعدو أن يكون حقيقة ، ذلك لأن رحم الأم هو حقيقة بمثابة الأرض الطيبة ، المهيأة لانبات الزرع ، والفرق هو أن الزرع النابت في الأرض الثابت بجذوره فيها ، يكون معرضا للعوادي المختلفة التي تتصل بالتقلبات المناخية (عواصف ـ حرارة ـ رطوبة .. الخ) أو الحيوانات التي تعبث به ، أو تعتدي عليه (آفات حشرية ـ آكلات العشب من الحيوانات .. الخ) . لكن شاءت حكمة الله أن يتواجد الجنين في الانسان ـ وفي غيره من الثدييات ـ في قرار مكين ، إلى أجل معلوم . يقول الحق تبارك وتعالى :

○ (**ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى**) الحج/ ٥

○ (**ألم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه في قرار مكين . الى قدر معلوم . فقدرنا فنعم القادرون**) المرسلات/ ٢٠ ـ ٢٣ .

والمعروف علميا أن النطفة (الحيوان المنوي) لا يمكنها وحدها أن تبدأ خلق الانسان ، بل لابد لها من أن تلتقي فتندمج مع خلية أخرى هي البويضة ومصدرها مبيض المرأة . ومن المستحيل أن تكون النطفة وحدها خلقا تبدأ به حياة الفرد ، حتى أن الله ـ وهو الله ـ يسخر من الذين ينسبون إليه الولد (الابن) مسجلا سبحانه أن هذا لا يمكن أن يتم إلا بوجود زوجة (صاحبة) . يقول

سبحانه :

○ (**أني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم**) الأنعام ـ ١٠١

○ (**وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا**) الجن/٣

ومع أن ما سبق حقيقة لا مراء فيها ، إلا أن القرآن الكريم يشير دائما إلى بداية خلق الانسان من النطفة ـ حين ذكرها خاصة ـ دون أي إشارة إلى شريكتها : بيضة الأنثى مع أن كلا منهما شريك في تكوين الخلية الأولى (اللاقحة ـ أو البيضة المخصبة) التي يبدأ بها الجنين حياته . يقول سبحانه :

○ (**خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين**) النحل/٤

○ (**أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا**) الكهف/٣٧

○ (**ثم جعلناه نطفة في قرار مكين**) المؤمنون/١٣

○ (**أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين**) يس/٧٧

○ (**وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى . من نطفة إذا تمنى**) النجم/٤٥ ، ٤٦

○ (**ألم يك نطفة من مني يمنى**) القيامة/٣٧

○ (**إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه**) الانسان/٢

○ (**من نطفة خلقه فقدره**) عبس/١٩

والتركيز على النطفة كما يتضح من الآيات الكريمة السابقة له سبب وجيه ، قد لا يفطن إليه البعض ، وهو أن البيضة ـ ولو أنها شريك أساسي وجوهري في تكوين الجنين كما أسلفنا ـ إلا أنها تحتاج دائما ـ في الانسان خاصة وفي كثير من حيوانات أخرى عامة ـ إلى أن تندمج فيها النطفة إلى الحد الذي لو فشلت البيضة في أن تندمج النطفة بها لتلاشت ، وأصبحت كأن لم تكن ، فكأن النطفة إذن هي الأساس الذي لولاه ما انقسمت البيضة ـ بعد الاندماج ـ ولما تكون الجنين (ويلاحظ أن ولادة سيدنا عيسى بدون أب هي معجزة لا يقاس عليها ، كما أن التوالد العذري (البكري) في حيوانات أخرى يتم على نطاق ضيق ولكن في غير الانسان) .

والنطفة خلية (أو هي نصف خلية من الوجهة الوراثية) حية وليست ميتة ، كما يشير إلى ذلك كثير من المفسرين ، معتمدين على أن النطفة تترك « ذيلها » خارج البيضة حين تخصبها ، فلا يدخل في البيضة ولا يندمج معها سوى رأس النطفة ، ولو كانت النطفة ـ أو رأسها ـ ميتة لما تم الخلق ، ولما تكون الجنين في الانسان . ولنبدأ بعد هذه المقدمة قصة الجنين أي تطوراته في الرحم ، كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة التي بدىء بها المقال الأول :

١ ـ تبدأ القصة بعملية يطلق عليها العلماء « الاخصاب » ومعناها وصول النطفة (الحيوان المنوي) إلى البيضة ودخولها واندماجها فيها ـ الرأس دون الذنب ـ وحين تندمج نواة النطفة ـ رأسها تقريبا ـ مع نواة البيضة فان أول خلية كاملة في

الجنين تكون قد تكونت ، وهي التي تعرف علميا باللاقحة (البيضة المخصبة أو الزيجوت) وتشرع هذه الخلية الأولى في تكوين جسم الجنين بالانقسام .

للمرأة مبيضان ، يحتوي كل منهما على بضع مئات من البيضات ، لكن في العادة تنضج بيضة واحدة فقط في كل شهر تقريبا - كل دورة شهرية - من أي من المبيضين بالتبادل - إلا في حالة التوائم غير النموذجية فقد تنضج بيضتان أو أكثر من المبيض الواحد ، أو من المبيضين معا ، في وقت واحد ، أو أوقات متقاربة ، ويتم إخصابها - وتنتقل البيضة من المبيض إلى بداية قناة المبيض - قناة فالوب - بترتيبات وكيفية خاصة شاءها العليم الحكيم . وهناك في قناة فالوب تستطيع البيضة أن تبقى حية لنحو يومين فقط ، تنتظر في أثنائهما وصول حيوان منوي (أي نطفة) ليتم به الاخصاب . والملاحظ بالأبحاث أن عملية التبويض - أي نزول البيضة إلى قناة فالوب ، ومغادرتها للمبيض - تتم قبل نحو أسبوعين من بداية الدورة الشهرية التالية (وإن كانت المدة السابقة تختلف كثيرا من سيدة لأخرى ، وحسب السن ، والحالة الصحية ، وعوامل أخرى كثيرة) .

وللرجل خصيتان يكونان السائل المنوي الذي يشتمل على النطف (الحيوانات المنوية) . وعند المباشرة (اجتماع الرجل بزوجته) فان الرجل يقذف بكمية من السائل المنوي تحتوي - في الظروف الطبيعية - على البلايين من الحيوانات المنوية الطبيعية (في الرجل السليم) وهذه تستقر ابتداء في مهبل الأنثى . وعلى الحيوانات المنوية بعد قذفها أن تسارع لكي تصل إلى حيث توجد البيضة في مقدمة قناة المبيض ، أي قناة فالوب . ومعنى ذلك أن الحيوانات المنوية يتحتم عليها أن تقطع مسافة تعد بالنسبة لها طويلة جدا - تبدأ من نهاية المهبل الداخلي ثم خلال الرحم ثم خلال معظم طول قناة المبيض حتى بدايتها - ويقدرها البعض بنحو سبعة آلاف ضعف طول النطفة أو أكثر . ولهذا ، وللعوائق التي تعتري الحيوانات المنوية أثناء هذه الرحلة الطويلة ، فان البلايين المقذوفة في المهبل لا يصل منها إلى قناة فالوب أي إلى البيضة - حين توجد - إلا نحو مائة نطفة فقط يلزم منها - في العادة - واحد فقط للاخصاب ، فيجتاز جدار البيضة مخلفا ذيله وراءه . ويساعد النطفة على اختراق البيضة قوة اندفاعه فوق ما جهزه به الله من مواد كيماوية (إنزيمات) تساعده كثيرا في الولوج إلى داخل البيضة - ثم تتلاشى الحيوانات المنوية الأخرى - وعندئذ يتم الاخصاب فتتكون اللاقحة . وإذا لم توجد البيضة في قناة فالوب ، فليس في قدرة الحيوان المنوي أن يظل حيا في الجهاز التناسلي للانثى أكثر من يومين ، فاذا لم تتواجد البيضة في غضونهما ، فانه يتلاشى ، ولا يتأتى الحمل إذن .

بيضة المرأة صغيرة الحجم فلا يزيد قطرها على بضع ميكرونات ، فقطرها أصغر بكثير من أي نقطة تسجلها بقلمك على ورقة بيضاء ، أما النطفة فهي أصغر بكثير جدا جدا من البيضة ، إذ هي أقل من جزء واحد من ألف جزء من البيضة . ويتضح من هذه الحقيقة أن تكوين الحيوانات المنوية بالبلايين في القذفة الواحدة

في مني الرجل السليم لا تكون مجهدة له ، كما أن تكوين البيضات باعداد قليلة تعد ببضع مئات لا ينضج منها سوى العشرات لا يجهد الانثى أيضا .

ومع الضآلة المشار إليها آنفا لكل من البيضة والنطفة ، فان النواة في اللاقحة ـ والتي نشأت عند اندماج نواتيهما ـ تكون أكثر ضآلة إذ لا يتعدى وزنها بضعة أجزاء من ملايين ملايين ملايين الأجزاء من الجرام الواحد (تقريبا ٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٦ جم) ومع هذا فانها تعتبر دوسيها كاملا لكل صفات الانسان الخلقية طوال حياته المستقبلة وحتى الموت ، ولو ترجمت شفراتها الوراثية إلى كلمات لامتلأت بها عشرات المجلدات الضخمة .

٢ ـ ما أن يتم الاخصاب وتتكون اللاقحة حتى تبدأ هذه في الانقسام متحركة في نفس الوقت خلال قناة المبيض وتجاه الرحم الذي تصله في اليوم الرابع تقريبا من بداية الاخصاب . وحين تصل اللاقحة المنقسمة (تعرف علميا بالمرولا او الجسم التوتي) إلى الرحم فانها توالي انزلاقها على جداره الداخلي لنحو يومين آخرين ، وكأنها تبحث عن أنسب الأماكن لاستقرارها ، ثم لا تلبث بعد ذلك أن تنغرس في هذا الجدار وتتشبث به بقوة ، بحيث يصعب انتزاعها ـ ومن هنا يسمى الجنين بالعلقة لعلوقه بجدار الرحم بقوة ، وكتب التفاسير تطلق على العلقة « الدم المتجمد » خطأ ، لأن الجنين لا يمكن أن يكون دما متجمدا بأي حال ـ وما أشبه العلقة في هذا الوضع من جدار الرحم بالبذرة تنغرس في الأرض الطيبة فتنمو ، تتغذى العلقة في هذه الفترة على السوائل المحيطة بها في جدار الرحم أو في حيزه .

تأخذ العلقة بعد ذلك في النمو والتطور ، ويكتمل نمو الجنين تباعا حتى ليبلغ طوله في نهاية الشهر الأول من الحمل نحو سنتيمتر واحد ، ويبلغ حجمه نحو نصف حجم البندقة (المضغة) . لكن العلقة في أثناء تطورها شهرا بعد شهر تعد نفسها لتكون مخلوقا مستقلا عن الأم ، رغم كونها تعتمد عليها اساسيا في الحماية والامداد بالغذاء . ولكن كيف يكون ذلك ؟

ألمحنا فيما سبق الى أن العلقة تستمد غذاءها من السوائل المحيطة بها ، والتي يهيئها الرحم لهذه الغاية . وكلما تقدم العمر بالجنين فانه يعمل على احاطة نفسه بأغلفة ثلاث تقيه وتحميه وتمنع عنه آثار الصدمات التي يتعرض لها نتيجة لحجزها سوائل ينتفع بها ، كما أن هذه الأغشية تتيح له درجة الحرارة المناسبة ، وتسهل له حرية الحركة ـ يقول المولى تبارك وتعالى :

○ (**يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث**) الزمر/٦

والأغشية الجنينية الثلاث هي : الرهل والسلي الثاني والغشاء المنباري . ويتحد الغشاء المنباري مع السلي الثاني كما يتصل الأخير اتصالا وثيقا بالغشاء المخاطي المبطن للرحم مكونا خملات إصبعية الشكل تدخل في ثنيات الرحم ، وتعرف مجموعة هذه الأغشية بالمشيمة وهذه تتكون من جزأين :

(١) مشيمة جنينية ، تتصل بالحبل السري في الجنين .
(٢) مشيمة الأم ، في جدار الرحم من أحد جوانبه .

ولغنى الجزأين معا بالأوعية الدموية يسهل تبادل المواد الغذائية ـ من الأم إلى الجنين ـ وكذلك المواد الاخراجية ـ من الجنين إلى الأم ـ ويتم هذا التبادل دون اختلاط دم الأم بدم الجنين .

وخلاصة ما سبق أن الجنين يتكون له ما يعرف بالحبل السري ، وهو بمثابة الساق في النبات ، ذلك لأن هذا الحبل يصل ما بين جسم الجنين ذاته ـ الذي أصبح مستقرا في حيز داخل الأغشية الثلاث المشار إليها آنفا ، وليس في جدار الرحم والذي يزداد حجمه شهرا بعد شهر داخل هذا الحيز ـ وما بين المشيمة ، وهي عبارة عن قرص في نهاية الحبل السري ـ ويخرج من هذه المشيمة أو بالأحرى من جزئها المعروف بالمشيمة الجنينية ـ في نهاية الحبل السري من جهة جدار الرحم ـ بروزات كثيرة ـ أشبه بجذور النبات ـ تنغمس في جدار الرحم المقابل ـ في الجزء الآخر المعروف بمشيمة الأم ـ والتي يصبح بمثابة الأرض الطيبة . وبهذا التركيب المحبوك الدقيق يستطيع الجنين عن طريق بروزات مشيمته ـ أو « جذوره » ـ أن يحصل على كل متطلباته من الغذاء الذي يكون ذائبا في بلازما دم الأم ـ نتيجة لهضمها لمواد غذائها وامتصاصه ، وسريانه في دمها على نحو ما سنوضحه فيما بعد ـ والذي ينقل عن طريق الحبل السري إلى جسم الجنين فيبني بذلك أنسجته ، ويتأتى عن ذلك نموه . وهنا أيضا تتحول المواد الميتة ـ وهي مكونات الطعام التي تغذت عليها الأم ثم هضمت ثم امتصت ثم دارت في دمها ـ الموجودة في دم الأم والتي انتقلت إلى جسم الجنين ـ في دورته الدموية ـ إلى مواد حية تبني جسم الجنين وتسبب نموه رويدا رويدا ، وينهض ذلك دليلا على البعث . أما المواد الاخراجية في جسم الجنين فتمشي أو تسري بطريقة عكسية من جسم الجنين إلى الحبل السري إلى المشيمة لتنساب في دم الأم التي تتخلص منها بدورها عن طريق أجهزتها الاخراجية .

وما يجب أن نلفت إليه نظر القارىء الكريم ، هو أن تغذية الجنين وطرد نفاياته يتمان كما لو كان الجنين كيانا مستقلا عن الأم . رغم ارتباطه الشديد بها ، وإذا كنا قد ألمحنا الى الدورين اللذين تلعبهما المشيمة والحبل السري في هذا الصدد ، فان التغذية من طريق الرحم ، أو دور الرحم في توفير الغذاء يستدعي بعض الايضاح . تأمل قول الله تعالى :

○ (**الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار**) الرعد/٨ .

والمعنى والمعروف علميا وطبيا تشريحيا ، ان جدار الرحم في الأنثى البالغة وبعد انقضاء فترة الطمث (الحيض) مباشرة ، يأخذ في الازدياد ، فيسمك جداره تباعا اذ تتكاثر الخلايا المبطنة له (النسيج الطلائي الداخلي) ويتوارد إليه الدم إلى الحد الذي يقوم بتخزين الكثير منه في فجوات تجعله بذلك نسيجا

اسفنجيا ، وما يتم كل ذلك إلا استعدادا لحمل منتظر ، فاذا لم يتم الحمل ـ لأسباب أهمها فشل عملية الاخصاب ـ انهار كل هذا النسيج المكتظ بالدم (غاض جدار الرحم) ونزل الدم غزيرا مع الخلايا المبطنة لجدار الرحم في صورة الطمث المعروف . وتتكرر هذه العملية هكذا شهرا بعد شهر في صورة ما يعرف عند النساء بالعادة الشهرية (طولها ٢٨ – ٣ يوما) وذلك إذا لم يتم الحمل . أما حين يتم الحمل عقب نجاح عملية الاخصاب فان الطمث يمتنع ذلك لان جدار الرحم المهيأ على هذا النحو بدم غزير والذي انغرست فيه العلقة أولا ثم بعد ذلك بروزات المشيمة (جذوره) المتصلة بالجنين ، أصبح في إمكانه عن طريق الدم المتوارد إليه أن يهيئ الفرصة المناسبة لأن تمتص بروزات المشيمة ما يحتاج اليه الجنين الذي لا تختلط دورته الدموية ابدا مع دورة امه نتيجة لهذا التنسيق الالهي الذي يبلغ الغاية في الابداع والاتقان .

بعد حدوث الحمل يزداد حيز الرحم شهرا بعد شهر نتيجة لنمو الجنين وتحويل المواد الغذائية الميتة ـ من دم الأم ـ في جسمه الى أنسجة حية . ويلاحظ :

● في نهاية الشهر الأول يكتمل نمو الجنين ، ويبلغ طوله نحو سنتيمتر ، وحجمه نحو حجم نصف البندقة ، ويتكون حبله السري البدائي ويبدأ نبض القلب في خلال الاسبوع الاخير من الشهر الأول ، ويدور الدم في جسمه دورة مستقلة تماما عن دورة الأم .

● يأخذ الجنين ملامحه الاساسية في خلال الشهر الثاني من الحمل ، ويزيد طوله إلى أربعة سنتيمترات ، ووزنه إلى ثلث الأوقية .

● يستطيع الجنين أن يتحرك في الشهر الثالث ، وهو دون الأوقية وزنا ، لكن الأم لا تحس بحركته إلا في نهاية الشهر الرابع ، حين يصل طوله إلى نصف طوله عند الولادة .

● يصل طول الجنين في الشهر الخامس إلى نحو قدم ، ووزنه الى نحو رطل ، وتزداد كل مكوناته وضوحا . واذا كانت حركة الجنين تشعر بها الأم في نهاية الشهر الرابع ، فانها تزداد شعورا بها في الشهور التالية ، ويقال : إن هذه الحركة تكون نشاطا بعد نوم .

● قد يولد الجنين في الشهر السادس أو السابع لكنه في العادة يكمل حياته الجنينية حتى الشهر التاسع حين يصل إلى الحجم والوزن الطبيعيين (ويلاحظ أنه قد تحولت اللاقحة وهي الخلية الوحيدة الأولى التي بدأ بها الجنين حياته إلى نحو مائتي مليون خلية ، وتضاعف وزنها إلى أكثر من ستة بلايين مرة) . ومن ثم ، يخرج الجنين إلى حياته الدنيا بانقباضات الرحم ، وتفتق الأغشية الجنينية .

● تلعب المشيمة دورا كبيرا وهاما في حياة الجنين ، فهي الواسطة التي بها يحمل الغذاء إلى الجنين ، وعن طريقها يتخلص الجنين من كل مواده الاخراجية ـ وقد اشرنا إلى ذلك آنفا ـ كما أنها المصدر الأساسي للهرمونات اللازمة للحامل خلال فترة الحمل ، وتلعب هذه الهرمونات دورها الكبير في إعداد الاجهزة اللازمة لانتاج

لبن الرضاعة مستقبلا . كما تلعب المشيمة دورا أساسيا في تحديد التغيرات الهرمونية التي تنهي الحمل ، وتبدأ بها عملية الولادة ـ كما تنتج المشيمة أجساما مضادة لحماية الجنين من العدوى .

وبعد أن يولد الجنين ـ بعد الشهر السادس أو السابع أو بعد الشهر التاسع ـ يتغذى على اللبن فترة ثم يتغذى بعد ذلك ـ أي بعد الفطام ـ على مواد أخرى هي تلك التي يتغذى عليها الانسان طبيعيا . وبالنسبة لفترة الحمل وفترة الرضاع حتى الفصام يقول سبحانه وتعالى :

○ **(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة)** البقرة/ ٢٣٣ .

○ **(ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين)** لقمان/ ١٤

○ **(ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا)** الأحقاف/ ١٥

ويتضح من الآيات الكريمة السابقة أن أقل فترة للحمل يولد بعدها الجنين حيا هي ستة شهور ، على إعتبار أن مدة الرضاعة حولين كاملين (٣٠ ـ ٢٤ = ٦ شهور) .

ومن حيث غذاء الكائن الحي ، فقد أوضحنا أن النبات يبني جسمه الحي من مواد أساسية ميتة ، هي من مواد التربة ، ومن ثاني أكسيد الكربون ، ومن الماء ، كما فصلناه سابقا ، فماذا عن الانسان (وكل الحيوانات الأخرى) ؟

يحصل الانسان على غذائه ـ بعكس النبات ـ من مواد عضوية أساسا هي المواد البروتينية ، والمواد النشوية ، والمواد الدهنية (مصدرها نباتي أو حيواني) مع أملاح وماء ، وكل هذه مواد ميتة ـ وإذا تغذى على أنسجة حيوانية كاللحم فهي ميتة أيضا ـ وعلى هذه المواد تتم عملية الهضم التي تحولها إلى مواد صالحة لأن يستفيد منها الجسم ، ويتم الهضم في الجهاز الهضمي ، ثم يلي ذلك عملية الامتصاص ، وبها يتم نقل المواد الصالحة من الجهاز الهضمي إلى الجهاز الدوري ، حيث تدور فيه لتصل إلى مشارف الخلايا المختلفة . وحتى هذا الدوران في الدم لازالت مكونات الطعام الصالحة التي وصلت إلى الدم ، لا تزال ميتة ، ولكنها حين تصل إلى الخلايا فان كل خلية تنتقي ما يناسبها وما تحتاجه ، وفي الخلايا تتحول المواد الميتة إلى مواد حية تبني بها الخلايا نفسها لتكون جزءا لا يتجزأ من مادتها البروتوبلازمية بعملية تعرف علميا بعملية « التمثيل أو البناء » وبهذا تزداد الخلايا نموا كما تتمكن من الانقسام ، وتأدية وظائفها ، وحصيلة كل ذلك نمو الانسان ، وقيامه بكل الأنشطة الحيوية اللازمة لحياته . ويلازم عملية البناء السابقة عملية اخرى هي عملية « الهدم » وهي عملية أساسية وجوهرية لحياة الانسان ، شأنها في لزومها شأن عملية البناء تماما ، ذلك لأن عملية الهدم تجعل الانسان قادرا على أن يحصل على الطاقة اللازمة لكل حركاته اللازمة

لحياته ـ داخليا في جسمه أو خارجيا في التعامل مع الوسط الخارجي الذي يوجد فيه ـ كما تمكن عملية الهدم كل غدد الجسم من أن تؤدي وظائفها البالغة الأهمية ـ الافرازات كالهرمونات واللعاب والعصارات الهضمية .. الخ ـ ويصحب ذلك كله مواد إخراجية ـ كاليوريا وثاني اكسيد الكربون ـ يتخلص الجسم منها . ولنضرب مثلا بالغدد اللبنية في المرأة ـ أو كل أنثى من الثدييات ـ فنجد أن خلايا هذه الغدة تبنى نفسها من المواد الميتة التي تجرى في الدم ـ ويكتمل نموها وتؤدي وظيفتها عند البلوغ وما بعده ـ لتكون بعد ذلك قادرة على افراز اللبن (الميت) الذي يكون الاساس في غذاء الرضيع بعد ولادته . هذا ، ويلاحظ أن المواد الميتة من الغذاء التي تدور في الدم ، هي أيضا تلك التي تجمعت في جدار الرحم حول بروزات المشيمة الجنينية لتمد الجنين بمتطلباته من الغذاء ..

وهكذا نجد أن النبات قادر بخلاياه على تحويل المواد الميتة في غذائه إلى مواد حية في أنسجته ، وهكذا ، وعلى نفس النمط يفعل الحيوان ومثله الانسان ، مع ملاحظة ان النبات والحيوان يختلفان من حيث مواد غذائهما ، ونواتج الهدم فيهما ، والحقيقة انهما يكملان بعضهما ، فقد شاءت حكمة الله أن يجعل النبات قوام غذاء الحيوان بما فيه الانسان ، وأن يكون هذا التكامل بينهما لتسير دورة الحياة في هذا الكون فنفايات الحيوانات قد يستخدمها النبات غذاء ، وما يبنيه النبات يتخذه الحيوان طعاما . ودورة الحياة هذه تحتاج لتوضيح آخر مفصل ليس هنا مقامه .

والأمل كبير أن يكون قد اتضح للقارىء الكريم الدليل الناهض على « البعث » في كل من الانسان ـ كمثل لكل الحيوانات ـ وفي النبات في صورة تحويل المواد الميتة من التربة والجو الى انسجة نباتية حية ، ثم من مواد الغذاء الميتة التي يحصل عليها الانسان في مراحله الجنينية وما بعدها لبناء أنسجته الحية ـ ويتضح من ذلك ان كل نمو في جسم كائن حي ما هو إلا حصيلة تحويل لمواد ميتة في غذاء إلى مواد حية في خلايا حية ـ وإذا كنا في كل دقيقة من حياتنا نرى من حولنا نباتات وحيوانات تنمو وتنمو بدرجات متفاوتة ، فمعنى ذلك أن الدليل على البعث ينهض أمامنا قائما في كل لحظة ، لكننا نلهو عنه ، أو لا ندركه ، لأننا لا نتدبره .

اتضح فيما سبق أن الله سبحانه وتعالى قد ضرب مثلين للتدليل على البعث ، واحد منهما يتصل بالانسان وتطوره ، والآخر يتصل بحياة الأرض والنبات ، واتضح من الشرح السابق بهذا الخصوص أن أي كائن حي من حيوان أو نبات لا بد لكي ينمو أن تتحول فيه مواد الغذاء الميتة إلى مادة جسمه الحية ، وأن ذلك ينهض دليلا على البعث ، وكأن الله تبارك وتعالى يقول لنا : إن من ينكر حقيقة البعث فلينظر إلى نفسه أو إلى الأحياء كلها من حوله ، فسوف يدرك أن كلا منها وفي كل لحظة من لحظات حياتها ، يمكنها أن تحول الجماد إلى حي في أجسامها ، فاذا كان المولى جلت قدرته قد أهل خلايا الكائنات الحية للقيام بهذه المهمة التي تعرفونها حق المعرفة ، أفلا يكون جل شأنه قادرا على أن يحيي الموتى ؟

١ ـ أما قوله تعالى : (**ذلك بأن الله هو الحق**) فيمكن تفسيره بالآتي :

تشير كلمة الاشارة في لفظ (**ذلك**) إلى حقيقة « الاحياء » في الحيوان ـ ومنه الانسان ـ وفي النبات كدليل على البعث ، وقد تم شرح ذلك فيما سبق ، لكن عبارة (**أن الله هو الحق**) تشير إلى معنى عظيم يجب الالتفات إليه ، والاعتبار به ، ذلك بأن الله وقد خلق الكائن الحي ـ أي كائن حي ـ قد نفخ فيه من روحه فوهبته هذه النفخة الحياة ، وأصبح بها قادرا على مزاولة كل أنشطته الحيوية ، ومنها تحويل المادة الميتة ـ في صورة ما يتعاطاه من غذاء ـ إلى مادته الحية ـ في صورة بناء أنسجته ونماء جسمه ـ ولكن كيف يتم ذلك ؟

كل كائن حي يتكون من خلايا حية (بعضها يتكون من خلية واحدة) ، وما الخلية ـ أي خليته ـ في حقيقتها إلا مصنع إلهي رهيب ، وهبه الله القدرة على تحويل المادة الميتة إلى مادة حية ضمن المادة التي توجد فيه والتي تعرف علميا باسم « البروتوبلازم أو مادة الحياة » . والأنشطة الحيوية التي تجري في داخل ذلك المصنع الالهي ـ الخلية ـ أو تلك التي تجري بين كل مصنع وآخر في جسم الكائن الحي نفسه ، وما يترتب عليه من حياة الكائن الحي برمته ، كلها عمليات تتم في غاية من الدقة والانضباط والتنسيق تجل كلها عن الوصف ، وتجري في إبداع ، إن كان بعضه قد اكتشفه العلماء ، فان كثيرا من أسراره لا تزال في طي الخفاء ، ولا يعلمها إلا العلي القدير ، الذي أحاط بكل شي علما .

والخلية كمصنع إلهي ، لا يمكن للبشر تقليده ، فهو من صنع الله وحده ، والله وحده هو الذي جعله قادرا على أن تتم فيه العمليات الحيوية في سهولة ويسر ، ومن المستحيل أن يتوصل الانسان إلى مصنع مماثل ، أي خلق حياة ، وقد تحدى الله الذين يتخذون له أندادا ، أن يخلقوا ذبابا ، أي أي حياة مهما ضعفت ، فقال سبحانه :

(يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) الحج/ ٧٣ .

وإذا كان اليخضور « الكلوروفيل » في النبات هو المادة التي أودعها الله في خلايا النبات ، وجعلها واسطة في إمكان تحويل المواد الميتة في وسطها ـ الماء وثاني اكسيد الكربون والطاقة الشمسية ـ إلى أنسجة حية نباتية وبالتالي تحضير الغذاء الذي هو قوام حياة الحيوان ، على نحو ما وضحناه سابقا ، فقد حاول العلماء ، ولا زالوا يحاولون إمكان تحضير اليخضور صناعيا ، ليكون واسطة في تحضير مواد غذائية ، في مصانع بشرية ـ بعيدا عن الخلايا الحية ـ ولكن جميع المحاولات في هذا المجال قد باءت كلها بالفشل . ومن السهولة الحصول على اليخضور من النباتات الخضراء بعمليات كيماوية ، ولكنه حين ينفصل عن خليته ـ مكان نشاطه الأصيل والوحيد ـ فانه يفقد قدرته على العمل ، ومن هنا كان فشل العلماء في استخدام مادة اليخضور ـ البلاستيدات الخضراء ـ في تركيب مواد عضوية . ولو

قد نجحوا ـ وهذا موضع شك كبير ـ لحلت مشكلة الغذاء في العالم ، ولأمكن إقامة مصانع بشرية لتصنيع الغذاء من الهواء ـ ثاني أكسيد الكربون ـ وهذا ما أظنه ضربا من المستحيل .

ومما سبق نستطيع أن ندرك تماما قول الحق تبارك وتعالى : (**ذلك بأن الله هو الحق**) أي أن الله سبحانه وتعالى ـ ولا أحد غيره ـ هو الذي يسخر جنوده في مصانعه الآلهية ـ خلايا الحيوان والنبات ـ ليمكنها من تحويل المواد الميتة إلى مواد حية . فهي قدرة فائقة يختص بها العلي القادر وحده دون غيره ، وهذا هو الحق الذي يجب أن ندركه ، وهذا هو الحق الذي يجب أن نعترف به صاغرين ، ونخرله سجدا مخبتين .

ومن عجب أن الذي يقرأ بتدبر الآية الخامسة من سورة الحج ـ وهي التي صدرت بها هذه المقالات ـ يلاحظ أن الله تبارك وتعالى بعد أن ذكر أطوار خلق الانسان ، أنتقل فجأة وفي نفس الآية ، الى الماء والأرض والزرع ، وذلك في معرض التدليل على البعث ، وبذلك يكون المولى ـ جلت حكمته ـ قد جمع في آية واحدة الكائنات من نبات وحيوان ليبين لنا معشر الناس أن النبات إن كان يتغذى على ميت فيبعث في جسمه حيا ، إلا أننا يجب أن نلاحظ شيئا آخر من آلاء الله ، وهو أن ما يبنيه النبات في جسمه هو قوام غذاء الحيوان (ومنه الانسان) بل إن نفاية النبات (الأكسجين) في عملية بناء جسمه (التنفس الضوئي) هي إكسير الحياة بالنسبة للحيوان ـ في تنفسه للهواء ـ كما أن نفايات الحيوان ـ من ثاني اكسيد الكربون وغيره ـ يستخدمها النبات غذاء ، وهكذا تسير عجلة الحياة بين نبات وحيوان يكمل أحدهما الآخر ـ وحكمة الله هي التي اقتضت هذا التكامل ، ذلك بأن الله هو الحق ، وتلك هي الحقيقة التي لا تستقيم الحياة بدونها ، فالله وحده هو القادر على اخراج الحي من الميت ـ في غذاء الكائنات الحية ـ واخراج الميت من الحي ـ نفايات الكائنات الحية ـ ولا أحد غيره يستطيع ذلك . يقول سبحانه :

○ (**يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون**) الروم/ ١٩

٢ ـ أما قوله تعالى : (**وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير**) فيمكن تفسيره على الوجه التالي :

الله الذي أوجد مصانعه في أجسام الكائنات الحية وجعلها ـ دون غيرها ـ قادرة على بعث الحياة في الجماد الميت ، كما برهنا على ذلك سابقا ، قادر بالأولى على إحياء من ماتوا بعد حياة ، وردهم إلى أصلهم . ولقد طلب خليل الله ابراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ، فأجابه إلى طلبه ، كما يحكي القرآن الكريم فيقول :

○ (**وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم**)

البقرة/٢٦٠ .

والملاحظ من الآية الكريمة السابقة ، ان سيدنا ابراهيم الخليل ، لم ينكر قدرة الله على إحياء الموتى ، ولكنه طلب منه أن يعلمه الكيفية وأن يريها إياه . ويروى القرآن أيضا قصة « صاحب الحمار » الذي مر على قرية خاوية على عروشها ، ليس فيها من سمات الحياة شيء ، فاستبعد إحياءها بعد موتها ، وقص القرآن قصته على النحو التالي :

○ (أوكالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أني يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير) البقرة/٢٥٩ .

هذا وقد أنكر المشركون البعث ، واستبعدوا أن يردوا إلى الحياة بعد الموت وسموا الكلام عن البعث من قبل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ سحرا مبينا ، أو أكذوبة عظيمة ، أو وعدا لم يقم عليه برهان يرونه بأعينهم ، بل أمعنوا في ذلك فطالبوا باحياء آبائهم وأجدادهم كبرهان على صدق البعث وإحياء الموتى ، إلى غير ذلك مما سجله القرآن الكريم عليهم في مواضع كثيرة نذكر منها على سبيل المثال ما يأتي :

○ **(.. ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين)** هود/٧

○ **(وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ..)** النحل/٣٨

○ **(وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا)** الاسراء/٩٨

○ **(ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا. أو لا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا)** مريم/٦٦ ـ ٦٧

بل ان القرآن الكريم ، ليسجل حوارا طريفا بين من يكذبون بالبعث ، ومن يوقنون به ، اظهارا لباطل الكافر ، وايضاحا ليقين المؤمن . تأمل قول الله تعالى :

○ **(والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا أساطير الأولين)** الأحقاف/١٧ .

والحقيقة أن الله القادر على أن يبدأ الخلق ـ أي خلق ـ قادر على أن يعيده الى الحياة بعد الموت ، بل ان ذلك أهون عليه سبحانه ، فالذي أوجد من عدم ، قادر على أن يعيد ما كان موجودا يقول سبحانه :

○ **(وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم)** الروم/٢٧

○ **(أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير)** الأحقاف/٣٣

○ (**أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد**) ق/١٥
○ (**أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه . بلى قادرين على أن نسوي بنانه**) القيامة/٣ ، ٤
○ (**أيحسب الانسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من مني يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى**) القيامة/٣٦ ـ ٤٠

٣ ـ أما قوله تعالى : (**وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور**) فيمكن التعليق عليه في المناقشة التالية :

من أوصاف المتقين أنهم يؤمنون بالغيب وبالآخرة وقيام الساعة أي القيامة من الغيبيات التي استأثر بعلمها الله دون غيره . يقول سبحانه عن علمه وحده بها وعن حدوثها فجأة

○ (**يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) الأعراف/١٨٧
○ (**يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا**) الأحزاب/٦٣

● واذا كان الكافرون ينكرون قيام الساعة كما ينكرون البعث ، فان الحقائق التي تتوالى أمام أعيننا تؤكد من وقوع يوم تجزى فيه كل نفس بما كسبت . فالذي نشاهده أن الموت قد كتب على كل كائن حي وليس بمعقول أن يعيش انسان يلتزم بمنهج الله بجانب آخر مضيع له ، ثم يدركهما الموت ولا يكون بعد ذلك حساب ولا جزاء . والا فلماذا كانت الرسالات السماوية ، ولماذا أرسل الله النبيين مبشرين ومنذرين ؟ والله سبحانه وتعالى يؤكد وقوعها في آيات كثيرة من قرآنه . يقول سبحانه :

○ (**وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم**) سبأ/٣
○ (**وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل**) الحجر/٨٥
○ (**وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها**) الكهف/٢١
○ (**ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم**) الحج/٥٥
○ (**ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون**) غافر/٥٩
○ (**هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون**) الزخرف/٦٦

والمنكرون للساعة حين تأتيهم بغتة فتبهتهم ، يندمون ولات ساعة مندم ، ويتحسرون ولا تنفعهم حسراتهم ، ويظنون أنهم ما لبثوا في دنياهم أو في قبورهم ـ

الحياة البرزخية ـ الا ساعة وذلك من شدة هول الساعة ، الهول الذي يجعلهم يتضرعون الى الله أن يصفح عنهم أو يردهم مرة أخرى ليعملوا صالحا ، وكل ذلك لا يقبل منهم . يقول سبحانه :

○ (**قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون**) الأنعام / ٣١

○ (**ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون**) الروم / ٥٥

أما المتقون والمصلون فهم يؤمنون بالآخرة ، ويعلمون أن الساعة آتية لا ريب فيها ، ولذا فانهم يكونون منها على وجل دائم . يقول سبحانه :

○ (**ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين . الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون**) الأنبياء /٤٨ ، ٤٩ .

○ (**إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون.والذين في أموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم.والذين يصدقون بيوم الدين.والذين هم من عذاب ربهم مشفقون.إن عذاب ربهم غير مأمون.**) المعارج /٢٢ ـ ٢٨

وإذا كان العلم لا يناقش إلا المحسوسات ، التي تكون مجالا للبحث والتجربة ، فان الغيبيات لا تدخل في هذا النطاق ، لكن الله الذي خلق البشر ووهبهم العقل ليعرفوه ، وليميزوا بين الخبيث والطيب ، وبين الخير والشر ، لا بد لهم من يوم للجزاء يحاسبون فيه على أعمالهم ، ويجازون على ما اجترحوا من حسنات أو سيئات في حياتهم الدنيا . والله الذي خلق الانسان متميزا على غيره من سائر الكائنات بالعقل ، أرسل له فوق ذلك رسله وأنبياءه مبشرين ومنذرين ، وجعله صالحا لأن يسلك طريق الخير فيعينه عليه ، أو أن يسلك طريق الشر ضاربا بالخير عرض الحائط ، والانسان في كلتا الحالتين محاسب على ما يفعل ، رهين بما يكتسب ، والله سبحانه لا يظلم مثقال ذرة ، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء . والآيات القرآنية التي تشير إلى المعاني السابقة كثيرة جدا ، وحسبنا أن نورد بعضا منها . يقول سبحانه :

○ (**إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا.فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا.وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا** ...) الانسان : ١٠ ـ ١٢

○ (**ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين**) آل عمران : ١٤٥

○ (**إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين.لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين.والذين آمنوا وعملوا**

الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) الأعراف : ٤٠ ـ ٤٢

وهكذا نجد أن الله تبارك وتعالى قد شاءت حكمته أن يخلق الانسان للابتلاء في هذه الحياة الدنيا وأن يخلق الساعة للجزاء على ما قدمت يداه . يقول سبحانه :

○ **(تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شي قدير.الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا)** الملك : ١ ـ ٢ .

○ **(يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شي شهيد)** المجادلة : ٦

أما قوله تعالى : **(وأن الله يبعث من في القبور)** فيمكن أن نعلق عليه كالآتي : الانسان جسد وروح ولا تتضح معالم الحياة ومظاهر أنشطتها المختلفة إلا باجتماع الاثنين معا ، وعند الموت تفارق الروح الجسد ، ويتضح ذلك من قوله تعالى :

○ **(ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون)** الانعام : ٩٣ .

○ **(فلولا إذا بلغت الحلقوم.وأنتم حينئذ تنظرون.ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون.فلولا إن كنتم غير مدينين.ترجعونها إن كنتم صادقين.)** الواقعة : ٨٣ ـ ٨٧

والروح من أمر الله لا يعرف العلم عنها شيئا ، أما الجسد فيقبر إن أمكن ، وقد تتفرق أشتاته كأن يموت إنسان ضالا في فلاة فتأكله سباع الوحوش أو الطير ، وقد يغرق فيكون طعاماً للاسماك ونحوها ، وقد تحرق جثته . والجسد سواء كان مقبورا أو ممزقا إلى أشتات في بطون حيوانات أخرى أو أحرق فالحال في كل هذه الحالات واحد فالمقبور شأنه شأن المحروق يتحلل جسمه ـ الأول بطيئا والثاني سريعا ـ إلى بخار ماء وثاني اكسيد الكربون ـ وهذا هو مآل أغلب الجسد ـ وغازات أخرى وتبقى في الأرض مواد الجسم المعدنية ـ التراب ـ وهذه جزء قليل لا يتعدى بضع جرامات ـ أما الذي أكلته حيوانات أخرى فهو يخرج في نفاياتها أو يدخل في بناء جسمها ، والمصير كما سبق بعد موتها .

والكائنات الحية جميعها من نبات وحيوان حين تموت أو حين تؤكل ، اما أن تتحلل بالموت الى غازات ـ أهمها ثاني اكسيد الكربون ـ وبخار ماء وتراب ، واما أن تؤكل فتتحلل بالهضم الى نفايات أو تدخل في بناء جسم الحيوان الآكل لها . وخلاصة كل هذا أن الذرات التي تبني الأحياء هي في دوران مستمر في هذا الكون ، فالذرات التي تبني جسم نبات يمكن أن تنتقل الى حيوان أو الى نبات آخر ، والذرات التي تبني حيوانا يمكن أن تنتقل الى نبات أو حيوان آخر ، وهكذا تسير عجلة الحياة في هذا الكون ، ولتيسير الفهم نضرب مثلا بثاني اكسيد الكربون الذي يخرج من الانسان حين يتنفس في حياته أو بعد أن يتحلل جسمه

بعد مماته ، فان هذا الغاز يمكن أن يبني جسم نبات ـ التنفس الضوئي كما سبق القول ـ في صورة ثمار أو حبوب ... الخ يعود فيأكلها حيوان ليبني جسما من جديد .. وهكذا دواليك في كل المكونات الأخرى كبخار الماء والتراب . ومعنى ذلك أن كل مكونات جسمك ليست ملكا خالصا لك ، انما هي وديعة الله فيك ، تسلمتها من غيرك ، وستسلمها الى غيرك بعد أجل مسمى ، بل وحتى قبل هذا الأجل المسمى .

والسؤال المطروح الآن هو : كيف يبعث الانسان بعد هذا الضياع ؟ وهو السؤال الذي طرحه الكافرون وأولئك الذين لا يؤمنون بالبعث ، ولا أحد يعرف متى وكيف يتم البعث باليقين . لكننا كمؤمنين نؤمن بقدرة الله عليه ، ويمكن أن نقربه للذهن على الوجه التالي :

١ ـ كل انسان في هذا الكون منذ أن خلق آدم وحتى قيام الساعة له خصائصه ومميزاته التي تجعله متميزا على أي شخص آخر ، ولقد ثبت هذا علميا عن طريق علم الوراثة وغيرها . ومن المعقول والمقبول أيضا أن تكون روح كل فرد ـ مثل جسده ـ متميزة على أرواح الآخرين ، وكأنها بعد أن تغادر الجسد ، هي قالب للجسد طبق الأصل .

٢ ـ عند « النفخة » الأولى كما يقرر القرآن الكريم ـ سوف يتم البعث ، وباشارة ربانية سوف تتزاوج الأرواح مع الذرات ، وسوف تنتظم الذرات في كل روح ليتكون الفرد صاحبها كما كان في الدنيا تماما ، فقد بدأ الله خلقه وهو قادر على اعادته كما كان . وهناك أحاديث نبوية مغزاها أن الانسان سيبعث على ما مات عليه ، واذن ففي المكان الذي استقر فيه جسده بعد الموت ، سيكون تزاوج الروح مع الذرات ، فاذا بصاحب الروح قائم ينظر ، ثم يسرع متجها الى مكان الحشر . تأمل قول الله تعالى في هذه المعاني السابقة :

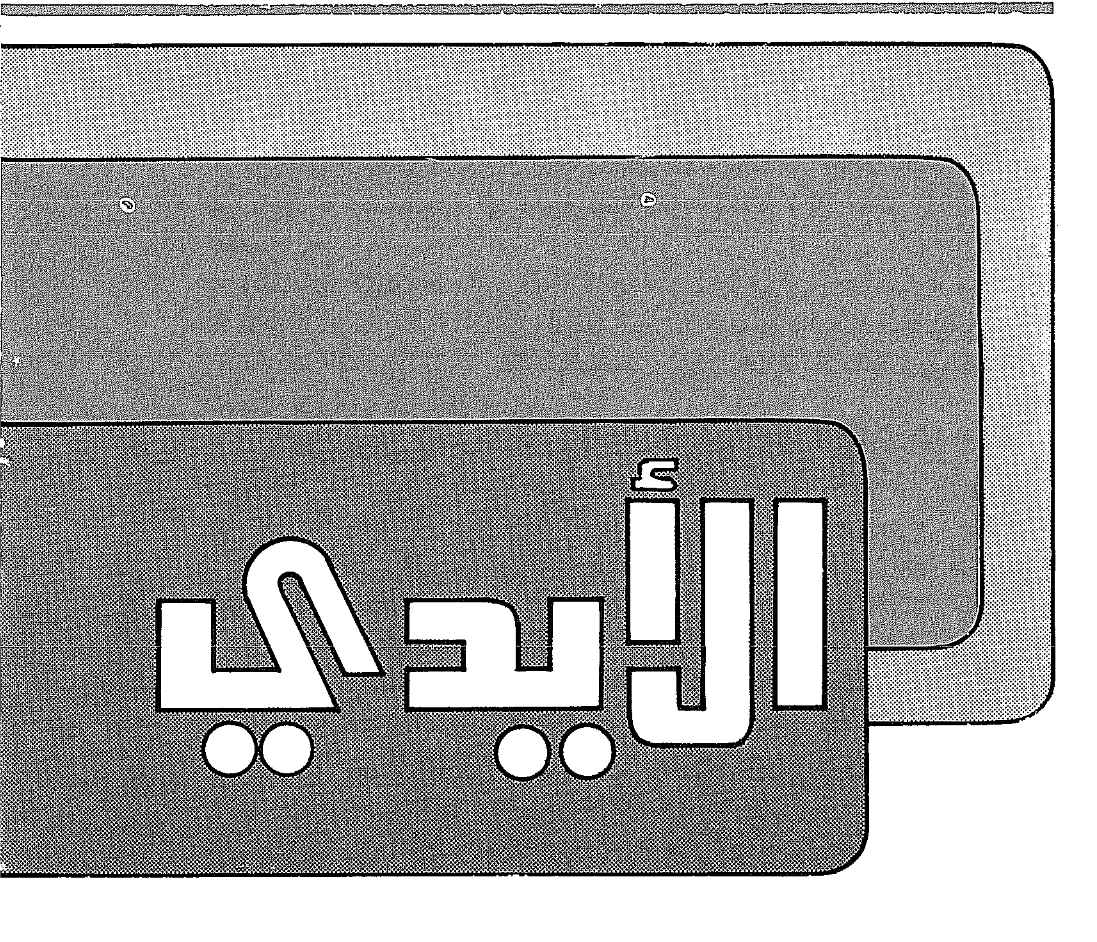
- « **واذا النفوس زوجت** » التكوير : ٧ أي زوجت بذراتها عند البعث .

« (**فانما هي زجرة واحدة . فاذا هم بالساهرة**) النازعات : ١٣ ـ ١٤

- (**ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا ..**) الكهف : ٩٩
- (**ونفخ في الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون**) يسن : ٥١
- (**ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون**) الزمر : ٦٨
- (**يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا**) النبأ : ١٨
- (**فتول عنهم يوم يدعو الداعي الى شيء نكر. خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر**) القمر : ٦ ـ ٧

ومن الغريب أن عبارة « **ينفخ في الصور** » لها قراءة أخرى هي « **ينفخ في الصُوَر** » ويمكن أن يشير ذلك الى صور الأرواح التي تختلف وتتباين فيما بينها .

والله تعالى أعلم



من قبل الاسلام لعبت الأيدي الخفية لعبتها القذرة التي تتكرر كثيرا .. مع اختلاف الأزمان وتغاير الأمكنة .. لكن الجوهر واحد ، والطبيعة الملتوية النكدة واحدة !

تآمروا على دعوة المسيح عليه السلام ..

وقد جاءهم بالانجيل « فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين » .

تآمروا على المسيح نفسه ..

ــ حاولوا أن يرجموه « وهاج الناس كالليوث الكواسر ، وانقضوا عليه يقتلعونه من مكانه ، وأخذوه وخرجوا به من المجمع ، فمشت الرهبة في قلب مريم ، وهرعت تهبط الدرج واجفة ، وهب الحواريون ليخلصوه من أيدي أعدائه ، وراح يوحنا يتدفق بين الجموع .. ولكن هيهات أن يصل اليه ، فقد أطبق الناس عليه



كالأمواج .

انطلقوا في طرقات الناصرة ، والحواريون يجاهدون وما هم ببالغيه ، ومريم في أثرهم مبهورة الأنفاس ، وبلغوا قمة الجبل المنحدر .. وأمسكوا به ليدحرجوه حتى يتمزق على الصخور الناتئة ، فقد كان ذلك نوعا من الرجم الشرعي .

جاءوا ليدفعوا به ، فأحسوا كأنما يغشى عليهم ، وكأن أيديهم عاجزة عن أن تصل إليه ، وإذا به يجتاز بينهم وهم واجمون ، لاح على وجوههم دهش ، وعيسى يسير هادئا سالما ، وقد مالت الشمس للمغيب » .

ـ وفي عهد المسيح تآمروا على يحيى عليه السلام .

وجلس هيرودس إلى جوار هيروديا التي اغتصبها حراما من أخيه .. يفكر كيف يتخلص من يحيى الذي صرح أنها لا تحل له ..

وفي حفل راقص لعب الخمر برأس هيرودس ، ورأى « سالومي » ابنة هيروديا فطلب إليها أن ترقص ، فتمنعت حتى وعدها إن فعلت أن يعطيها ما تريد ،

وفعلت ، وتثنت كالأفعى ، وأثارت الثور الهائج المخمور ، فلما انتهت سألها ان تطلب .. فراحت تسأل أمها .. فدلتها ..

فقالت له : هدية في طست من فضة !

قال : وما هذه ؟

قالت : رأس يحيى !

فأفاق المخمور وارتعد ، لكنها ألحت ، وذكرته بوعده ..

وفعل الجنود .. وجيء برأس يحيى عليه السلام في طست من فضة .

و « ذبح يحيى » ، ذبح من قال عنه عيسى : لم تلد النساء مثله ، ذبح وما اقترف إثما ولا خطيئة ، ذبح طاهر الذيل عفيفا ، ولو كانت دعوى الفناء حقا . لكان ذلك الدم الطاهر ، الذي أهدر بلا جريرة ، أزكى دم يقدم للفناء .

ـ ومرة أخرى رأوا عيسى يحمل سريرا يوم السبت « وجاء رسل اليهود وأمسكوه ، وذهبوا به ليحاكموه لكره السبت المقدس ، واقتيد إلى الكهنة العظام ، فسألوه عن خرقه الناموس في السبت فقال لهم : إن الله يعمل كل يوم ، وأن الله رب الأيام هو رب السبت أيضا ، وراح ينقض لهم اعتقادهم الخاطئ بأن الله خلق العالم في ستة أيام واستراح في يوم السبت ، وقال لهم : إن الله خلق العالم في ستة أيام ولم يمسه تعب ولا لغوب » .

وراح يلقي عليهم المواعظ ..

« وانصرف عيسى والكهنة ينظرون ، يصرفون أسنانهم ، ولا شيء غير الحنق الشديد ، حتى إذا اختفى عن عيونهم هبوا ليمسكوه ويقتلوه ، ولكن كان قد مضى » .

ـ وأخيرا .. تآمروا على قتل المسيح ..

لكن شبيها له يدعى « يهوذا » هو الذي وقع في أيديهم ، فماذا فعلوا فيه بمظنة أنه المسيح ! :

« وقام الجنود الرومانيوم الغلاظ حانقين ، ونظروا فلم يجدوا إلا « يهوذا » واقفا في الظلام وحده ، فهجموا عليه وأمسكوه يحسبونه عيسى ، وأراد يهوذا أن يقاومهم وأن يصرخ بهم أنهم أخطأوه ، ولكنهم انهالوا عليه بالسباب ، وأوسعوه ضربا ، ثم شدوا وثاقه .. »

« خرج الى الردهة بعد أن قرر المجتمعون استحقاقه للقتل ، فقام إليه الخدم والجنود يبصقون في وجهه ، ويلطمونه ويصفعونه ، ويركلونه ، ويسددون اللكمات إلى وجهه ، ويضحكون مستهزئين .. » .

« وبدأ جلد يهوذا ، فخف جميع جنود القصر ينظرون في سرور ... وخلعت عنه ثيابه ، وشد إلى عمود ، فأصبح ظهره العاري مكشوفا ، وجاء جلاد كان وجهه جامدا كأنما نحت من صخر ، وفي يده سوط ذو ثلاث شعب من الجلد ، في نهاياتها قطع من رصاص ، ورفع الجلاد يده ، وهوى بالسوط على ظهر يهوذا يمزقه » .

« وانهالت الضربات ، ويهوذا يئن كوحش جريح ، وفاضت التهليلات في

المكان ، وتبلدت الاحساسات ، وطغت وحشية البشر ، حتى فاقت ضراوة الحيوان » .

« ودارت رأس يهوذا ، وفاضت آلامه ، وزادت حتى غاب عن حسه » .

« وصرخ يهوذا صرخة أخرى ، أعقبها صمت مطبق ، فقد أسلم الروح » .

* وبعد المسيح .. انتقموا من المسيحية :

فحاولوا تشويهها .. ودخل أحدهم المسيحية عمدا ليؤدي هذا الدور ، ومضى شاؤول اليهودي يزعم أنه رأى المسيح ، وأنه آمن به ، وأنه قال له : « قم وكرز بالمسيحية وتسمى « بولس » ، وزعم أنه معلم المسيحية الوحيد ، وصار ينشر تعاليم جديدة يستمدها من مذاهب الهندوس والبوذيين ، وفلسفة الاغريق وبعض تعاليم اليهود ، وادعى أن المسيح « ابن الله » ، وأنه نزل ليضحي بنفسه تكفيرا عن خطيئة البشر ، وأدخل لأول مرة التثليث ليقول النصارى من بعده بالأقانيم الثلاثة ..

كان ذلك في الثامنة والثلاثين ومات في السادسة والستين أو السابعة والسبعين ، بعد أن تولى كبر الاشراك في المسيحية .

وبعد هذه الفتنة

كانت فتنة قسطنطين .. إمبراطور الرومان حين دخل النصرانية ، وأمر بعقد مجمع نيقيه سنة ٣٣٥م فاجتمع له ٢٠٤٨ من الأساقفة مختلفي العقائد والآراء بين توحيد وتثنية ، وتثليث .

وصوت ٣١٨ إلى جانب ألوهية المسيح ، وخالفهم ١٧٣٠

فعقد قسطنطين للأولين مجلسا وصفه ابن البطريق :

« وضع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا مجلسا خاصا عظيما وجلس في وسطهم ، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم ، وقال لهم : قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين . فباركوا الملك وقلدوه سيفه وقالوا له : أظهر دين النصرانية وذب عنه ، ووضعوا له أربعين كتابا فيها السنن والشرائع ، منها ما يصلح للملك أن يعلمه ويعمل به ، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا به .

ومن هذا التاريخ حرمت مخالفة هذا المذهب ، وحورب مخالفوه ، وألغيت رسميا جميع الأناجيل ، عدا الأناجيل الأربعة : متى ، ومرقص ، ولوقا ، ويوحنا .

وعندما بعث محمد صلى الله عليه وسلم :

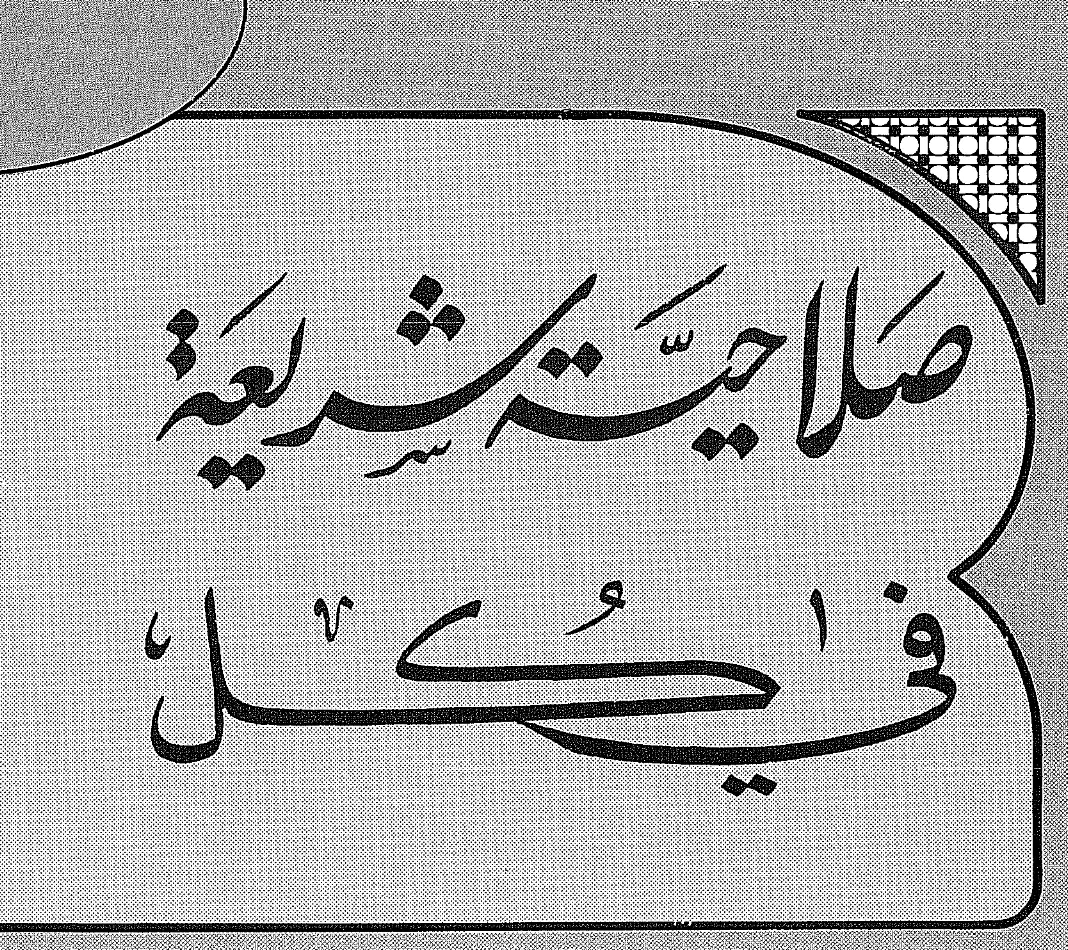
(وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) البقرة/٨٩ .

وكان أول كيد ليهود أن قالوا : **(آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره)** آل عمران/٧٢ .

ومضى كيدهم بعد ذلك وتعددت ألوانه .. حتى بلغ حد التآمر على حياة النبي

صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة ..
مرة بالسم يدسونه ...
ومرة بمحاولة إلقاء الحجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسند ظهره إلى الحائط .. وباء كيدهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ..
وبقى كيدهم للاسلام ...
حتى بلغ في عهد عثمان رضي الله عنه ، حد التآمر على حياته .. ونجحوا .. حتى قتل عثمان رضي الله عنه في بيته ، بين أهله ، وهو صائم ، يتلو القرآن ، وزوجه تحاول أن تدفع عنه حتى يقطع السيف يدها وما يردها ذلك عن إفتداء شريك حياتها .
ويمضي الكيد .. حتى تندلع الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، ويؤججون نارها .
وتزداد الفتن كما وكيفا .
فتنشأ فرق الشيعة ، أكثر تشيعا وادعاء لعلي من علي نفسه ، حتى يبلغ به الأمر حد تحريقهم لما ألهوه .
وتنشأ فرق الخوارج مدعية كلمة حق أريد بها باطل « إن الحكم الا لله » ، زاعمة أن عليا بقبوله التحكيم قد كفر ، وكفر معه كل من قبله .
وهكذا .. إن لم يكونوا قد أنشأوا هذه الفرق ـ جدلا ـ فقد شجعوها ..
ثم امتد التشجيع إلى الفرق التي نشأت بعد ذلك أو أنشئت بعد ذلك من أمثال :
القاديانية .. في باكستان .
البهائية .. في إيران .
وبعض الفرق الصوفية في بعض البلاد .
ومركز القاديانية في حيفا دليل .
ومركز البهائية في شيكاجو دليل آخر .
وحديثهم في البروتوكولات عن الأحزاب والفرق دليل ثالث .
ومع ذلك يطمئن البعض لهم ، ويتعاهدون معهم ، وما وعوا قول الله :
(أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنـون) البقرة/١٠٠ .
(الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون) الأنفال/٥٦ .
وأخيرا **(أفتطمعون أن يؤمنوا لكم)** البقرة/٧٥ .
* لكن اليهود وقد أدركوا ضعفهم ، وأدركوا معها تعاظم الدول المسيحية بعد عهد النهضة .. اتجهوا ـ في تخطيطهم ـ للاستفادة من الظروف ، ووازنوا بين حقدهم على النصرانية ، وحقدهم على الاسلام ...
وكان نصيب الاسلام من الحقد أكبر ..

فهو أولا نزع من بينهم شرف النبوة ، بعد أن لم يعودوا أهلا لها .
وهو ثانيا أخرجهم من ديارهم بعد أن خانوا العهد ونكثوا الوعد . ابتداء من بني قينقاع ، إلى بني النضير ، إلى بني قريظة .
وهو ثالثا فضحهم .. وفضح وسائلهم ..!
ومن هنا افتدوا الحقد الأكبر بالحقد الأصغر .
وبدأ تحالف غير مقدس بين اليهود والنصارى .. ضد الاسلام كان من صوره :
ما حدث إبان الحروب الصليبية .
ما حدث من إصدار الفاتيكان وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح ، وقد كان بعض عقيدة النصارى أن اليهود قتلوا المسيح وصلبوه .
ما حدث لفلسطين ابتداء من مؤتمر بال ١٨٩٧ إلى وعد بلفور ١٩١٧ إلى كامب ديفيد ١٩٧٨ .
ما يحدث اليوم في بنجلاديش ، وفي افريقيا ، وفي الفلبين .
* وشاركت العقلية اليهودية الصليبية في وضع تخطيط احدث لحرب الاسلام .
استفادت فيه من فشل الحروب الصليبية ، التي استهدفت — من خلال كلمات زعمائهم — استئصال شأفة المسلمين .
واستفادت فيه من فشل التبشير .
ومن ثم سار التخطيط في خطين متوازيين : احدهما يتناول الجانب الاجتماعي ، والثاني يتناول الجانب السياسي .. وبين الاثنين ترابط وتعاون .. على الاثم والعدوان .
أما الخط السياسي فقد استهدف تعضيد التغيير الاجتماعي المطلوب بالقوة السياسية . واستبدل بجنود الاحتلال الاجنبي ، جنود الجيش الوطني يصنعون الانقلابات العسكرية ، ثم يتربعون على كراسي الحكم لينفذوا المخطط المطلوب أو على الأقل ليقوموا على حماية تنفيذه .
وصرح منشئ اسرائيل (ابن جوريون) في الكنيسيت الاسرائيلي في أوائل الخمسينات بأن انقلابا عسكريا سيحدث في إحدى الدول العربية الكبرى ، وأن اليهود سوف يكونون أكثر فرحا به من أبناء الوطن نفسه .
وصدق اللعين ... ففي ظل حكم ذلك الانقلاب العسكري تم تحويل مجرى نهر الأردن بعد أن استعصى على اليهود دهرا طويلا .
وفي ظلم حكم ذلك الانقلاب استطاعت اسرائيل أن تضاعف مساحتها إلى سبعة أمثالها ...
كذلك حققت في نهايته اعتراف أصحاب الحق بها وباغتصابها لأرض فلسطين !
وقس على ذلك بقية انقلابات المنطقة .



قضية صلاحية الشريعة الاسلامية للتطبيق في كل زمان ومكان أمر لا يحتاج الى دليل وبرهان ، لأنها صادرة من رب العالمين الذي خلق الانسان ويعلم ما يصلحه ولأنها حين طبقت أثمرت ثمرات طيبة . لكن الصهيونية الظالمة والصليبية الحاقدة كانتا تضعان الشبهات التافهة أمام بعض أحكام الشريعة الاسلامية .. ثم جاء الاستعمار حين سيطر على بلاد المسلمين ، فأتم الدور في التشكيك بشريعة الاسلام ! وقد نجح نجاحا كبيرا حين سيطر على بلاد المسلمين ، فوضع لها منهاجا دقيقا ، ناوش فيه حصون العقيدة وقلاع الايمان حين وضع علامات استفهام كثيرة ، امام شباب لا يعرف شيئا عن صلاحية الشريعة الاسلامية في كل زمان ومكان ، بل لأنه لا يعرف عن دينه أي شيء كان يقول الماسونيون في مجلة « اكلسيا » الماسونية .

« ان النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة » .

وعادت شبهات المستعمرين لترفع رأسها من جديد ولتعلي صوتها مرة اخرى ، ولكن بأسماء منتسبة الى

الإسلام للتطبيق زمان ومكان

للاستاذ ابراهيم النعمة

الاسلام ، متشبعة بالمنهاج الغربي الحاقد في الوقت نفسه .. هذا المنهاج الذي صادف في المسلمين قلبا خاليا فتمكن منه في وقت عمت الجهالة المسلمين وفقدت الأمة كيانها حين فقدت روح الاسلام ـ وما في الاسلام غير اللباب ـ وتمسكت بالقشور وعضت عليها ـ على القشور بالنواجذ ـ

إن في الشريعة الاسلامية من الأنظمة والقوانين والنظريات ما لم تعرفها البشرية من قبل جاء بها الاسلام ، فكانت شامة في جبين الانسانية ، ستظل باقية خالدة الى ان يرث الله الأرض ومن عليها « ومن هذه النظريات نظرية تقييد سلطة الحاكم ، وهي تقوم على ثلاثة مبادىء ، أولها : وضع حدود لسلطة الحاكم ، وثانيها : مسؤوليته عن عدوانه وأخطائه ، وثالثها : تخويل الأمة حق عزله » . ولقد سبق الاسلام في فكرة النيابة كل أنظمة العالم ، بل استحدث ـ فوق ذلك ـ ما لم تعرفه القوانين الرومانية ولا الأنظمة التي اخذت عنها .

كما سبق الاسلام في نظرية تحمل التبعة التي يظنها بعض علماء القانون من مبتكرات هذا العصر كما لو انقلب انسان على مال فأتلفه فانه يضمن ما

أتلفه وكذلك نظرية حوالة الدين « وهي ان يتفق المدين مع شخص يتحمل عنه الدين » ونظرية الظروف الطارئة وهي ان يحصل التعاقد على عين مؤجرة ـ مثلا ـ لكن هذا التعاقد يلحق ضررا فادحا بشخص في ماله او في نفسه ، فقد أجازت الشريعة ـ في هذه الحالة فسخ العقد ونظرية التعسف في استعمال الحق .

كل هذه النظريات قد نص عليها الفقهاء المسلمون ، وليست من مبتكرات هذا العصر بل نستطيع ان نقول : ان الدستور الاسلامي وجد قبل اقدم دستور في العالم بأكثر من الف سنة ذلك ان الدساتير المعهودة ما عرفت الا في القرن الثامن عشر وهذه الدساتير الغربية كان يكتنفها كثير من النقص والقصور والغموض ذلك انها كانت مقصورة على الجانب السياسي فحسب ولم يجعل فيها شيء من المبادىء الاقتصادية والاجتماعية الا بعد فترة ليست بالقصيرة !

لقد اعترف أعضاء مؤتمر (لاهاي) الدولي للقانون المقارن في دورته الاولى سنة ١٩٣٢ من فقهاء الألمان والانكليز والفرنسيين والايطاليين بأن الشريعة الاسلامية مرنة قابلة للتطور .

وفي دورة المؤتمر الثانية عام ١٩٣٧ في مدينة (لاهاي) نفسها ، قرر المؤتمرون باجماع الاراء ما يأتي :

١ ـ اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام .

٢ ـ اعتبارها حية قابلة للتطور

٣ ـ اعتبارها قائمة بذاتها ليست مأخوذة من غيرها .

وقد انعقد مؤتمر المحامين الدولي بمدينة (لاهاي) ـ ايضا سنة ١٩٤٨ وكان من قراراته :

اعترافا بما في التشريع الاسلامي من مرونة وماله من شأن هام ، يجب على جمعية المحامين الدولية ان تقوم بتبني الدراسة المقارنة لهذا التشريع والتشجيع عليها .

وفي سنة ١٩٥١ عقدت شعبة الحقوق الشرقية من المجمع الدولي للحقوق المقارنة مؤتمراً في كلية الحقوق من جامعة باريس ، تحت اسم (اسبوع الفقه الاسلامي) والقيت في المؤتمر خمسة موضوعات هي اثبات الملكية ، والاستملاك للمصلحة العامة ، والمسؤولية الجنائية ، وتأثير المذاهب الاجتهادية بعضها في بعض ، ونظرية الربا في الاسلام .

وفي ختام المؤتمر اتخذت ـ بالاجماع ـ القرارات الاتية :

١ ـ ان مبادىء الفقه الاسلامي لها قيمة حقوقية تشريعية لا يمارى فيها

٢ ـ ان اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات ، ومن الأصول الحقوقية هي مناط الاعجاب ، وبها يستطيع الفقه الاسلامي ان يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة ، والتوفيق بين حاجاتها .

على أنه مما يبعث على الفخر ان نرى اهتماما كبيرا في عصرنا هذا بعلم من اعلام فقهنا من قبل رجال القانون

الدولي ، ذلكم هو الامام محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٩هـ اذ « اسست في عونتجن بالمانيا جمعية الشيباني للحقوق الدولية ضمت كثيرا من علماء القانون الدولي لهدف التعريف بالشيباني واظهار آرائه في القانون الدولي الاسلامي ونشر مؤلفاته المتعلقة بذلك حتى قالوا عنه : انه خليق بان يأخذ مكانه الحق بين رواد القانون الدولي العالميين .

وفوق ذلك كله فان الشريعة الاسلامية ربت الانسان المسلم تربية عالية وجعلته يعرف ما له من حقوق فياخذها وما عليه من واجبات فيقوم بها بل كان اهتمامها بالواجبات اكثر من اهتمامها بالحقوق كما راعت تزكية النفس بالعبادة ودعت الى العمل للدنيا والآخرة :

(وابتغ فيما أتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) القصص / ٧٧ .

ولم يقف سلفنا الصالح ـ رضي الله عنهم ـ تجاه الفقه الاسلامي موقفا جامدا ، بل كانوا يجتهدون فيما يطرأ على المجتمع من احداث مراعين علل تلك الاحكام فمن آراء سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ان أراضي الفيء تكون ملكا للدولة لينتفع المسلمون كلهم منها فابقى الاراضي بايدي اهلها بعد ان طرح عليها ضريبة الخراج ، لانه رأى ان ذلك اكثر نفعا للمسلمين وغيرهم !

وقد استنبط سلفنا الصالح احكاما لم تكن موجودة من قبل ، معللين ذلك بأنها توافق العلل التي تؤخذ من النصوص وذلك كحكم ميراث الجد والحكم بالدية بعد عفو احد اولياء الدم !

وقد ذهب سلفنا الصالح الى اكثر من ذلك حين غيروا بعض الاحكام التي ثبتت بنص قرآن او سنة ، وذلك لتغير عللها كتقدير الدية نقدا بدل الابل ، واجازة التقاط الابل الضالة !! وفوق ذلك فان بعضا من كبار التابعين تركوا العمل بالنصوص المطلقة او العامة لان العمل بها ينافي المصلحة كاجازتهم التسعير ولكن الذي يحرم على الدولة الاسلامية مثلا ان تتبع هواها وتعرض عما انزل الله ورسوله وتخرج عن القواعد الشرعية القطعية او تخالف النصوص الصحيحة في ثبوتها الصريحة في دلالتها .

وفوق ذلك ايضا فان الفقهاء المعاصرين يستطيعون ان يجتهدوا في فهم بعض النصوص اجتهادا جديدا ويأتوا بآراء لم يذكرها السابقون ما دام ذلك في دائرة الحدود والاصول المجمع عليها في فهم النصوص وتفسيرها !

ان الفقه الاسلامي اطلق يد القاضي ، ومنحه من الصلاحية ما لم يمنحه اي قانون كان من قوانين الدنيا ليقدر القاضي الظروف عند تطبيق القانون . وقاعدة (درء الحد بالشبهة) مبدأ عام مرن يعطي القاضي صلاحية كبيرة في دراسة نفسية المحدود واوضاعه الاجتماعية والاقتصادية ولذلك اسقط سيدنا عمر بن الخطاب الحد عام المجاعة عملا بحديث ادرءوا الحدود بالشبهات ، و ذلك ان الاسلام لم

يحرم السرقة الا بعد ان تكفل بايجاد العمل للقادر عليه ومساعدة العاجز ولم يحرم الزنا الا بعد ان تكفل بستر العورات وتيسير الزواج الحلال ولم يحرم الربا الا بعد ان دعا الى التعاون ومساعدة المحتاج ونظم شؤون القرض . وقد عقب القرآن الحكيم على أيات تحريم الربا بقوله عز شأنه :
(وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون . واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) البقرة / ٢٨٠ و٢٨١ .
ان الفقه الاسلامي تبدو روعته في قرونه المتطاولة التي هي - الى الان - اربعة عشر قرنا . وفي كل قرن من هذه القرون نبغ مئات بل آلاف من الفقهاء استنبطوا احكاما كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - واستطاعوا ان يقننوا الشريعة الاسلامية تقنينا رائعا . اما القوانين الأوروبية والأمريكية فلم يمض عليها إلا قرن وبعض القرن ، وأين الروحية التي كتب بها المسلمون من الروحية التي كتب بها الغربيون ؟!
على أن الفقه الاسلامي لم ينحصر في منطقة أو منطقتين بل طوف في أرجاء الدنيا كلها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وطاف في جميع البيئات ، وعايش مختلف العادات والتقاليد وهذه الآراء الفقهية الكثيرة الجائزة الوجوه ، التي زخرت بها شريعتنا الغراء » قد أعطي فيها ولي الأمر الحق ان يختار منها ما يناسب العصر الذي يعيش فيه ، على ان يراعي في ذلك مصلحة المسلمين !
ان هذه المزايا الناصعة للفقه الاسلامي ، هي التي حملت القانوني الكبير الدكتور عبدالرزاق السنهوري ، أن يدلي بهذه الشهادة القيمة فيقول « اما جعل الشريعة الاسلامية هي الأساس الأول الذي يبني عليه تشريعنا المدني ، فلا يزال أمنية من أعز الأماني التي تختلج في الصدور وتنطوي عليها الجوانح » .
ويقول العلامة الاستاذ شبرل عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا في مؤتمر الحقوقيين سنة ١٩٢٧ .
« **ان البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد** - صلى الله عليه وسلم - **اليها ، اذ انه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنا ان يأتي بتشريع سنكون - نحن الاوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة** » ويقول المؤرخ الانكليزي (ويلز) .
« **ان اوربا مدينة للاسلام بالجانب الأكبر من قوانيننا الادارية والتجارية** » ويقول الفيلسوف (برناردشو) :
« **إنني دائما احترم الدين الاسلامي غاية الاحترام لما فيه من القوة والحيوية ، فهو - وحده - الدين الذي يظهر لي انه يملك (القوة المحولة) ويتمشى مع مصلحة البشر في كل زمان** » .
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب .



للشيخ / عبد الحميد السائح

مما لا ريب فيه أنه يجب على المسلمين ـ أفرادا وجماعات ـ أن يعملوا بما أنزل الله في كتابه ، أو بلغه رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته ، وإن التخلف عما ذكر ، مناف للاسلام ، ومخالف لشريعة سيد الأنام ، وذلك لأن القرآن انما أنزل

لهداية البشر وانقاذهم ، من الضلال الى الرشاد والسداد ، والشريعة لم تأت الا رحمة للعالمين ، تخطط لهم وسائل السعادة ليسلكوها ، وطرق الغواية ليتجنبوها ، ولذلك كان في القرآن والسنة حملات شديدة ، على أولئك الذين يقولون مالا يفعلون ، أو يفعلون ما عنه ينهون ، من ذلك قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون)** الصف/ ٢ ، ٣ ، وقوله سبحانه : **(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب افلا تعقلون)** البقرة/ ٤٤ .

ولم ينزل القرآن للتبرك به ، وحمل نسخة منه في الجيب ، أو تعليقها في الرقاب ، أو في البيوت ، دون أن يكون لآياته وأحكامه ، أثر في التطبيق والعمل ، ودون أن يكون لأهدافه تحقيق في المجتمع ، مع أن هذا وذاك هو السبيل الصحيح ، لتقويم المعوج ، وتصحيح المحتوى ، وتغيير الهزيمة بالنصر ، والتخلف بالتقدم ، وذلك هو المقصود بقوله سبحانه : **(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم)** الرعد/ ١١ .

ولذلك يجب على المسلمين ان يمارسوا عمليا تنفيذ حكم ما أنزل الله ، في مجتمعاتهم ، الخاصة والعامة ، وفي شئونهم الشخصية ، وتصرفاتهم ، كما يجب على ولاة الامور ـ الدولة ـ أن يتقيدوا في قوانينهم وسائر تشاريعهم ، بأن تكون مطابقة ، لما نص عليه في أصول الاسلام الاولى المشار اليها ، واذا لم يكن نص فيها ، يصار الى سائر المصادر التشريعية ، وقواعد الاسلام الأخرى ، التى بينها أئمة الفقه والاجتهاد ، وهي الاجماع ، والقياس ، والاستحسان والمصالح المرسلة ، وسد الذرائع ونحوها ، مما كان مرجعا للتشريع ، من قبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتابعيهم ، وسائر أئمة الفقه والاجتهاد بعد ذلك .

موقف الاسلام ممن لم يحكم بما أنزل الله ؟

في سورة المائدة من القرآن الكريم ، آيات ثلاث ، كانت موضع الاهتمام والدراسة ، من قبل المعنيين بالشؤون الاسلامية ، من مفسرين وغيرهم ، ويستشهد بها كثير من العلماء في هذا الموضوع وهي :ـ

١ ـ قوله تعالى :ـ **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** المائدة/ ٤٤ .

٢ ـ وقوله سبحانه : **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)** المائدة/ ٤٥

٣ ـ وقوله عز شأنه : **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)** المائدة/ ٤٧

وكان البحث يدور حول ما يقصد بهذه الآيات ، وهل تعني أن من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين يخرج من جماعة المسلمين ، ويكون

من الكافرين ، ومن الظالمين ، ومن الفاسقين ، ويخلد في نار جهنم ؟ أو أن هذه الآيات تتعلق بغير المسلمين ، من اليهود والنصارى ، واذن لا علاقة لحكمها بالمسلمين ؟ ، أو هي تتعلق بالمسلمين ، باعتبار أن حكمها عام ، والعبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب كما هو مقرر ومعروف .

واننا نستعرض ما جاء في بعض التفاسير المشهورة في هذا البحث ، ثم نقضي على ذلك ، بما نراه متفقا مع عبارتها وسياقها ونراه أقرب الى الصواب .

١ ــ قال ابن كثير ــ اختلف العلماء في تفسير الآية الاولى منها ، فروى الشعبي أنها في المسلمين ، وروى عنه أيضا أنها في اليهود ، وروى طاووس أنها في المسلمين ، وأن المراد بالكفر بها كفر دون كفر ، وانه ليس الكفر المخرج عن الملة ، وروى ابن أبي حاتم ، والحاكم ، وقال ــ صحيح على شرط الشيخين ، أنه ليس الكفر الذي تذهبون اليه .

٢ ــ وقال القرطبي ــ إن الآيات الثلاث نزلت كلها في الكفار ، وثبت ذلك في صحيح مسلم ، من حديث البراء .

أما المسلم فلا يكفر وان ارتكب كبيرة ، وقال ابن مسعود والحسن ، هي عامة ، في كل من لم يحكم بما أنزل الله ، من المسلمين والنصارى واليهود ، أي معتقدا ما أقدم عليه ، ومستحلا له ، وأما من فعل ذلك وهو معتقد أنه مرتكب المحرم ، فهو من فساق المسلمين ، وأمره الى الله .

وقيل ــ من لم يحكم بجميع ما أنزل الله فهو كافر ، وأما من حكم التوحيد ولم يحكم ببعض الشرائع ، فلا يدخل في هذه الآيات .

ويروي أن حذيفة سئل عن هذه الآيات فقال ــ هي في بني اسرائيل .

٣ ــ وقال في أضواء البيان ــ الظاهر المتبادر أن الأولى في المسلمين ، والثانية في اليهود ، وأن الثالثة في النصارى الخ .

الرأي الذي أتجه اليه ، وأراه الصواب إن شاءالله

وأنت ترى أن المفسرين والعلماء اختلفوا في المقصود بتلك الآيات ، ولكنهم حين أبدوا آراءهم ، لم يتجهوا في التفسير اتجاها واحدا ، وربما يتلاقون في أكثر من نقطة واحدة ، فمنهم من نظر الى من يحكم بغير ما أنزل الله ، نظرته الى من ارتكب معصية ، ومرتكب المعصية ، ولو كبيرة ، لا يكفر ، عند جميع أهل السنة ، ومنهم من نظر اليه نظر من يستحل المحرمات ، ولا شك أن من يستحل المحرمات القطعية ، يعتبر مخالفا لجماعة المسلمين ، وسالكا طريقا غير طريقهم ، ومنهم من فصل بين من يحكم بما ينافي التوحيد وبين من يحكم بغير ما يتعلق بذلك الخ .

ونحن اذا تأملنا جميع الآيات المذكورة ، نجد أنها مسبوقة ، بآيات أخرى ، تبدأ بتسلية الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، بقوله سبحانه : **(يا أيها الرسول لا يحزنك الذين**

يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا) المائدة/٤١ ــ ثم اخذت الآيات تبين بعض صفات اليهود بأنهم **(سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك)** الخ .. المائدة/٤١ ــ وبانهم ــ **(سماعون للكذب اكالون للسحت)** المائدة/٤٢ .

ثم استمرت الآيات في فضح أساليب اليهود ، بأنهم يريدون أن يحكموك ، رجاء أن يتوصلوا منك الى حكم أخف ، مما يعلمون من حكم الله في التوراة ، وخيرت الآيات الرسول ، بين أن يعرض عنهم ، وبين أن يحكم بينهم بالقسط ، ثم استغربت الآيات أن يلجأ اليهود ، الى تحكيم الرسول ، وعندهم التوراة فيها حكم الله ، وبعدئذ بينت صفة التوراة ، وأن فيها الهدى والنور الخ .. **(وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله)** المائدة /٤٣ **(انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور)** المائدة/٤٤ **(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالانف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص)** المائدة/٤٥

اذن فالحديث من أساسه موجه للرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، والتعرض للتوراة ، وما فيها من أحكام ، جاء في سياق فضح أساليب اليهود ومخاتلتهم ، مع أن التوراة الاصلية ، قبل تحريفها ــ كان فيها حكم الله ــ وحكم الله لا يجوز لاحد تجاوزه في أية حادثة ؛ اذ أورد الحكم في كتاب الله ، سواء كان قرآناً ام غيره .

نعم ان الآية الثالثة ٤٧ من السورة ، جاءت نصا في ان على اهل الانجيل ، ان يحكموا بما انزل الله فيه ، ولكنها لم تخرج عن سياق الآيات التى قبلها .

وعلى هذا فالذي يتجه أن الآيات وان نزلت في بيان حكم التوراة ، وحكم الانجيل ، المنزلين من قبل الله ، قبل تحريفهما ، الا أن ما ورد في الآيات من قواعد وأحكام يجب أن تبقى على عمومها .

فاذا كان اليهود لا يجوز لهم أن يحكموا بغير ما أنزل الله ، في التوراة ، قبل تحريفها ، واذا كان النصارى لا يجوز لهم أن يحكموا بغير ما أنزل الله في الانجيل ، قبل تبديله ، فكذلك ، لا يجوز للمسلمين أن يحكموا بغير ما أنزل الله في قرآنه ، وهو المصون المختص ، بحفظ الله له ، أو بلغه رسوله في سنته الصحيحة المعول عليها . ويؤيد ذلك ويزيده وضوحا ، ما جاء في الآيات القرآنية بعد ذلك ، وهو قوله تعالى : **(وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم)** المائدة /٤٨

وقوله بعدئذ : **(أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)** المائدة/٥٠ وأن أهل

السنة متفقون على أن مرتكب المعصية ، مهما عظمت ، عدا الاشراك بالله ، لا يخرج به عن جماعة المسلمين ، ولا يكفر بذلك ، ولا يخلد في النار ، خلافا للمعتزلة والخوارج ، على خلاف في التعبير بينهما .

نعم ان مجرد ارتكاب الكبيرة ، والفاعل يعتقد الحرمة ، واستحقاقه العقاب ، مثل من يقدم على شرب الخمر ، أو أكل الربا ، فان ذلك لا يخرج صاحبه عن الاسلام ، وان كان يستحق العقوبة المقررة على ذلك ، في الدنيا أو الآخرة .

رأي شارح العقيدة الطحاوية

وفي شرح العقيدة الطحاوية ، أن الحكم بغير ما أنزل الله ، قد يكون كفرا وقد لا يكون ، وان هناك حالات ثلاثا :

١ ــ ان يعتقد الحاكم ، بأن الحكم بما أنزل الله غير واجب ، وأنه مخير فيه ، أو أنه استهان به ، مع معرفته وتيقنه أنه حكم الله ، فهذا الاعتقاد ، يخرجه عن جماعة المسلمين .

٢ ــ أن يعتقد أن حكم الله واجب الانفاذ ، وعلمه في واقعة معينة ، وعدل عن ذلك ، مع اعترافه أنه مستحق للعقوبة ، فهو عاص ، واذا سمى كافرا ، فانما يقصد به أنه الكفر الاصغر ، أو الكفر المجازي ، الذي يطلق عليه احيانا ، كفر النعمة .

٣ ــ اذا جهل الحاكم حكم الله ، في الحادثة وبذل جهده واستفرغ وسعه ، في معرفة حكم الله ، فلم يتوصل اليه ، وحكم بغير ما انزل الله ، خطأ ، فهذا له اجر على اجتهاده ، وخطؤه مغفور له .

ما المراد بما أنزل الله ؟

المراد بما أنزل الله ، ما ورد في القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويجب الاذعان لكل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سواء ثبت هذا بطريق التواتر ، أو بطريق الآحاد ، غير أنه في مجال التكفير ، يحتاط فيه كل الاحتياط ، لان الايمان ثبت بيقين ، فلا يرتفع الا بما ينقضه بيقين ، فلا نحكم بكفر أحد ، وخروجه من جماعة المسلمين ، الا اذا استباح المحرمات القطعية ، أو حرم الحلال القطعي ، لانه في هذه الحالة يكون مكذبا لله ورسوله ، وذلك موجب للتكفير قطعا ، وقال صلى الله عليه وسلم : (اذا قال الرجل لاخيه ــ يا كافر ، فقد باء بها احدهما) ، رواه البخاري ، يعني انها قد ترتد على قائلها اذا لم يكن الآخر كذلك .

وان العلامة ابن نجيم ، من أئمة الحنفية ، وصاحب البحر الرائق ، أكثر من فتاوي التكفير ، في كتابه « الفتاوي » بناء على تخريجات الفقهاء ، ثم أدرك خطأه ، وعدل عن ذلك ، واتخذ لنفسه سبيل الحيطة ، فلا يحكم بكفر أحد ، يمكن أن يكون لعمله أو قوله ، وجه صحيح شرعي ، ولو كان ضعيفا ، وقال الفقهاء ــ لو

كان للعمل أو التصرف ، تسعة وتسعون وجها ، تقضي بالتكفير ، وكان يوجد وجه واحد يقتضى الاسلام ، رجح الواحد ، على التسعة والتسعين ، في مثل هذا المقام .

الادلة الشرعية

والأدلة الشرعية أربعة أنواع كما يتضح من الاستقراء ، ومما ذكره أئمة أصول الفقه في التحرير وشرحه ومسلم الثبوت وشرحه ، وباقي كتب الاصول

١ ــ قطعي الثبوت ــ قطعي الدلالة

٢ ــ قطعي الثبوت ــ ظني الدلالة

٣ ــ ظني الثبوت ــ قطعي الدلالة

٤ ــ ظني الثبوت ــ ظني الدلالة

فلا يكون التكفير الا في انكار القسم الاول ، وهو قسم من القرآن الكريم والسنة المتواترة ، وذلك مثل قوله تعالى :ــ **(وأقيموا الصلاة)** البقرة/٤٣ ، وقوله سبحانه : **(ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا)** النساء/١٠٣ ــ مع ما ورد في السنة من بيان لذلك .

ومثل قوله صلى الله عليه وسلم (من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) رواه البخاري ــ اما قطعي الثبوت ظني الدلالة مثل قوله تعالى **(وامسحوا برءوسكم)** المائدة/٦ ــ وهل المراد بها مسح جميع الرأس ، أو ربعه أو بعضه ، فاذا اعترف المسلم بالآية ، وضرورة المسح بالرأس ، وأنكر بعض تلك الوجوه ، فلا يدخل في بحثنا هذا .

ومثل ما ذكر القسمان الآخران ، ويشمل أنواع الأحاديث الاحادية ، وذلك لأن القرآن كله قطعي الثبوت وان كان بعضه ظني الدلالة .

ولا يعني هذا الدعوة أو التشجيع ، على اهمال الأحاديث الاحادية ، أو عدم العمل بها ، فان ذلك سبيل أهل البدع ، والضلال ، ومخالف لقوله سبحانه ــ **(وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا)** الحشر/٧

غير أننا انما نذكر ذلك ، حتى لا يشمله حكم **(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** ونحن نعلم أن الأئمة الاثبات ، يختلفون في كثير من الاحاديث ، اما لعدم صحة سندها عندهم ، أو لاطلاعهم على معنى لغوي يحتمله لفظها ، فيأخذ بحكم آخر ، غير الحكم الذي اختاره امام غيره ، كما يعرف من الاطلاع على اسباب اختلاف الائمة .

حتى ان الامام الذي يتجه له رأي يخالف الرأي الذي كان يعرفه ويعمل به ، سواء لقوة الدليل او لاي سبب شرعي آخر ، لا يدخل في اطار هذا البحث .

وان الالتزام بقول امام معين ، في مجال التشريع ، وعدم جواز العدول عنه الى قول امام آخر ، أوجد حرجا ، أدى الى حالة سيئة جعلت الكثير من المثقفين ، يعرضون عن دراسة الفقه الاسلامي ، واستجلاء ما فيه ، من كنز ثمين ، وثروة دفينة ، وحضارة يعتز بها ، وقد قدرها كثيرون من

الغربيين في مؤتمرات الفقه في باريس وغيرها .

وقد ذكر لنا بعض اساتذتنا ، في مدرسة القضاء الشرعي ، في مصر ، ان المرحوم الشيخ المهدي العباسي ، صاحب الفتاوي المهدية ، لو قبل اقتراح الخديوي ، حينئذ ، ان يضع قانونا اسلاميا عاما ، مختاراً من اقوال ائمة الفقه الاسلامي ، على اختلاف مذاهبهم ، لكانت سابقة ، يتعسر على اي احد تجاوزها ، ولكان القانون العام ، في مصر ، منذ ذلك الوقت اسلاميا .

ونحن نعتقد ، أن فكرة التزام مذهب معين من مذاهب أئمة الفقه ، لا يستند الى دليل شرعي يصح الاعتماد عليه ، خصوصا في مجال التشريع العام للامة في اية ناحية ، وأن صاحب جوهرة التوحيد ، الشيخ ابراهيم اللقائي في قوله

ومالك وسائر الأئمة
كذا أبو القاسم هداة الأمة
وواجب تقليد حبر منهم
كذا حكى القوم بلفظ يفهم

انتقد حتى من ابنه الشيخ عبد السلام ، في شرحه على الجوهرة ، ومثل هذه الأقوال ما ذكره المتأخرون من الأحناف والشافعية وغيرهم ، من ضرورة التقييد ، مع أن علماء الاصول ، حينما يتعرضون لهذه المسألة ، لا يمنعون من الاخذ بمذهب أو رأي آخر ، اذا لم يكن الباعث على ذلك هوى أو تشهيا ، ونحن حينما نسيغ العدول ، عن أقوال معينة لامام أو أئمة ، فانما نفترض ظهور الدليل الأقوى ، أو المصلحة الراجحة ، أو أي سبب شرعي آخر .

ومن واجب امام المسلمين أن يسوس الرعية ، بما فيه خيرهم ومصلحتهم ، وان يحول دون استغلال الأغنياء للفقراء ، أو تحكم الأقوياء بالضعفاء ، أو يمكن المخادعين والمحتالين ، من سلوك الطرق ، التى تخفي مقاصدهم ، أو توقع الآخرين في حبائلهم ، ويختار ، في التشريع من أقوال الائمة ، وقواعد الشريعة واصولها ، ما يحقق كل ذلك ، وحتى نقطع الطريق على أولئك الذين لا يرون الخير ، الا من طريق الاغيار ، وكأن البلاد الاسلامية وان زال عنها معظم مظاهر الاستعمار السياسي ، يجب ان تبقى في ظلال التشريع الأجنبي ومستعمرة له .

وبعد

فان الاسلام هو ما شرعه الله للناس ، واوحى ، الى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو تلك النظم والاحكام التى شرع أصولها ، وثبت قواعدها وأسسها ، وكلف الناس اياها ، ليأخذوا انفسهم بها ، في علاقتهم بربهم ، وعلاقتهم ببعضهم ، أفرادا وجماعات ، وعلاقتهم بالكون وعلاقتهم بالحياة ، على وفق ما أفاد القرآن بصريح آياته ، او تضمنه بعموم قواعده وكلياته او اشار اليه من أهداف وحكم بضروب دلالاته ، أو جاء به

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغه للناس من بيان ، أو صدر عنه من قول ، أو باشره من عمل ، أو دل عليه باجتهاده وتطبيقه .

وذلك ما يرجع الى :ـ

١ ـ العقائد

٢ ـ الاحكام العملية التطبيقية

اما العقائد فتتناول الايمان بالله ، ووحدانيته ، والايمان برسالة الرسل والانبياء ، والملائكة ، والكتب السماوية واليوم الآخر ، بما فيه من بعث وجزاء وجنة ونار الخ .

واما الأحكام فهي نوعان :ـ

فضائل وشرائع :

أما الفضائل فهي تلك الأخلاق والفضائل التى أمر الله بها في كتابه وحض عليها رسوله في حديثه ، وهي فضائل تنعم بها الحياة ، وتزول معها شقاوتها ، بل يعمهم الاخاء ، ويظلهم العدل والمساواة .

وأما الشرائع ، فهي نوعان :

١ ـ نوع يتمثل فيما كلف الناس به من أعمال يتقربون بها الى ربهم ، ويستحضرون بها عظمة الله وألوهيته ، لتكون وسيلة الى صلاح نفوسهم ، وعنوانا على صدق ايمانهم ، وهذا ما يسمى بالعبادات .

٢ ـ ونوع يتمثل في الأحكام التى شرعت لتكون وسيلة الى حفظ مصالح الناس ، ودفع المضار عنهم ، وتحديد الصلات بينهم ، على وجه تندفع به المظالم ، وتصان به الحقوق ، وينتشر العدل ، ويسود الأمن ، وهذا ما يعرف بشرائع المعاملة .

والاسلام باعتباره خاتم الاديان ، احكامه صالحة لكل زمان ومكان ، فقواعده الكلية كوجوب العدل ، والشورى ، ورفع الحرج ، ودفع الضرر ، صالحة للتطبيق ، في كل عصر ، بما يناسب أهله ، وأحكامه الجزئية ، الثابتة الدائمة ، فيها مصلحة للناس ، في جميع الازمان والامكنة ، كاحكام الميراث والزواج والطلاق ، واحكام المعاملات المنصوص عليها ، مثل تحريم الربا ، وتحريم القمار ، وتحريم العقود التى فيها غرر فاحش .

أما الاحكام التى روعيت فيها مصالح الناس ، وعرفهم وعاداتهم ، فهذه لا تعتبر قانونا دائما ، بل يختلف الحكم فيها ، تبعا لاختلاف الظروف والاحوال ، والحوادث التى تجد ، ولا نص فيها ، يجب وضع حكم لها ، في ضوء القواعد الكلية ، التى جاءت بها احكام الشريعة الاسلامية ، فاذا وضع كان حكما اسلاميا ، وهذا النوع من الاحكام ، هو الذي يخضع لقاعدة ـ لا ينكر تغير الاحكام بتغير الازمان .

اما الاحكام المنصوص عليها صراحة في القرآن الكريم ، فلا يجوز تغييرها ولا تبديلها ولا تعديلها .

وعلى هذا فالقوانين التى تساس بها الامة في كل مناجى الحياة يجب أن يكون أساسها أصول الاسلام ، وقواعده الكلية ، للشريعة الاسلامية ، وبذلك يتحقق نفع الامة في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

هذه كانت رسالة النبي صلى الله

عليه وسلم ، وهي ما يجب ان يكون عليه اولياء امور المسلمين ، من بعده .

وعلى هذا لا يجوز ان يشرع في ديار الاسلام قانون يتعارض ، مع القرآن الكريم ، أو سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو ما اجمع المسلمون عليه ، خلفا عن سلف ، في اية ناحية ، من نواحي الاسلام ، سواء في العقيدة ، أم في الاخلاق ، أم في الزواج ، أم في الطلاق ، أم في الوصية ، والميراث ، أم في النسب والتبني ، أم في المعاملات الاخرى .

لكن لو أن ولي أمر المسلمين ، اختار لجماعة المسلمين ، قانونا يسيرون عليه ، ليس فيه معارضة لنص قرآني قاطع ، أو لسنة متبعة صريحة ، وكان ما اختاره يدخل في اطار الاجتهاد المقبول ، كان هذا القانون قانونا اسلاميا ، ولا يصح ان يوصف بانه حكم بغير ما انزل الله ، وصدق الله العظيم بقوله سبحانه : **(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)** التوبة/٣٣ ، وقوله عز سلطانه : **(اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)** المائدة /٣

وأخيرا

هذا نداء أوجهه لكل المسئولين ، في البلاد الاسلامية والعربية ، ليتعرفوا الاخطار التى تحيق بهم من كل جانب ، وفي كل النواحي ، وليعلموا أن البعد عن الاسلام في التشريع ، ومجانبته في القوانين ، عامل أساسي ، في غربة الاسلام ، في ديار الاسلام ، وعامل مهم في تلك الحواجز الوهمية القائمة بين ناشئتنا وشبابنا ومثقفينا ، وبين الاسلام ، فلا يعلمون عنه الكثير الكثير ، وهم ان تجردوا ، عن اهوائهم وشهواتهم ، ومطامعهم ، فانهم سيتمسكون بالاسلام ، قاعدة صلبة متينة ، لتشريعهم وقوانينهم ، وسوف يجدون ويشعرون برابطة العزة والفخار ، بانتسابهم ، الى هذا الدين الحنيف ، وسيرون فيه ما رأى اسلافهم ، وما رأى المنصفون من علماء الغرب ، انه الوسيلة الوحيدة ، لانقاذ هذا العالم ، من شروره ، واضطرابه ، وان معظم ما في الغرب من نظريات قانونية سليمة ، مأخوذة عن الفقه الاسلامي ، أو مستنبطة منه ، واذا حدثت احداث مستجدة ، فليس ما يمنعنا ان نأخذ ما فيه مصلحتنا ، وفق القواعد العامة المشار اليها . وقبل ان اختم كلمتي – ارجو من اولياء امور المسلمين – بالمعنى الشامل – ان يتحملوا مسئولياتهم ، ويثبتوا وجودهم ، ويتعرفوا معنى وهدف قول الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم – » « كلكم راع ، وكل راع مسئول عن رعيته » .

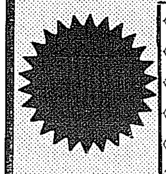
والله ولي التوفيق وهو الهادي لأقوم طريق ،،،

أصول علوم الحيوان

يعتبر الحيوان وحدة من وحدات هذا الكون الذي تشير آياته الى وجود الله وتؤكد وحدانيته .. ولذلك فقد اهتم القرآن الكريم بعالم الحيوان لما فيه من آيات ولما تعرضه من شاهدات .. ومن شواهد هذا الاهتمام أنه أطلق اسماء بعض أصنافه على بعض سوره الشريفة وهي :

سورة البقرة .. وهي أولى سور المصحف الشريف بعد سورة الفاتحة وأطول سور القرآن الكريم .
سورة الأنعام .. والأنعام هي الابل والبقر والأغنام
سورة النحل .
سورة النمل .
سورة العنكبوت .
سورة العلق . والعلق حيوان سواء كان للبعوضة أو منى الذكر أو الدودة .
سورة العاديات . والعاديات هي جياد العدو أي الجري وخيول القتال .
سورة الفيل .

وايضا فقد تكرر ذكر الدابة والدواب ثماني عشرة مرة في القرآن الكريم ، وتكرر ذكر الأنعام اثنين وثلاثين مرة وبهيمة الانعام تكررت ثلاث مرات ، بل ذكرت الحيوانات بأسماء أصنافها ، فذكر العجل والبقر والناقة والحمير والخنزير والخيل والكلب والنعجة ، والقردة والذئب والغنم والابل والبغال والجمل والفيل والسبع والضأن والطير والغراب والهدهد ، ومن الحشرات النمل والذباب والجراد والثعبان والعنكبوت والقمل والضفادع والحية والنحل





والسمك والحوت .

ولا يقتصر اهتمام القرآن الكريم بعالم الحيوان على مجرد ذكر اصنافه وانواعه .. بل انه قد أورد أصول علوم الحيوان سابقاً العلم بأربعة عشر قرنا من الزمان . ففي الوصف الظاهري للحيوان والاعتماد عليه للوقوف على مدى سلامته أو درجة اصابته فلقد أورد الوصف العلمي التفصيلي للمشاهدة البصرية للحيوان ممثلا في البقرة اذ تقول آياته الشريفة :

(قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون . قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون) ٦٩ ـ ٧١ / البقرة .

وقد قررت علوم صحة الحيوان أن خير الابقار وأفضلها ما كان مطابقا لهذه الأوصاف التي حددتها الآيات الشريفة من اللون الشديد الصفرة في صفاء .. وأن قدر الصفاء يتمثل في قدر ما يثير اللون في نفس الانسان المتعة والسرور .. وكذلك من قوة جسمها وعضلاتها باثارة الغبار على الأرض من حوافرها عند سيرها .. واسباب هذه القوة أنها لم تجهد في الزراعة بالحرث أو بسقي الأرض .. وأن تكون مسلمة .. من كل العيوب الظاهرة ..

وايضا فلقد أورد القرآن الكريم الفحص العلمي للخيول سابقا العلم

بعشرات المئات من السنين اذ تقول آياته الشريفة :

(ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب . إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد . فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب . ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق) ٣٠ - ٣٣/ص .

وتقرر أصول علم الطب البيطري بالنسبة لاختيار صلاحية الخيل انه يجب أولا فحصها فحصا ظاهريا للوقوف على مدى سلامتها وصلاحيتها شكلا ومنظرا . ثم تجبر على العدو لشوط كبير على قدر الاستطاعة ومراقبتها أثناء العدو ، حتى يمكن للمراقب أن يتبين مدى سلامة أجزاء الحصان لا سيما سيقانه وأرجله . وتناسقها مع باقي أجزاء الجسم .. ثم يقاس نبض الخيل بعد شوط العدو ، وذلك عن طريق الشريان تحت الفكي والصدغي والكعبري الموجود بعنق الحصان مع فحص ساقه بعد هذا المجهود ، ليعرف ما وصل الحصان اليه بعد العدو .. وطاقة الساق عليه ، وهذا ما يقرره القرآن الكريم اذ قام سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام بفحص خيوله التي أعدها للدفاع عن دين الله ، فاستعرضها أولا . استعراضا طويلا متأنيا لشدة حبه لها لما تحققه للدعوة من أهداف ، ثم أمر ان تجري الى ابعد شوط ممكن والى ان توارت بالحجاب ، أي نهاية ما يمكن للانسان أن يراه في الأفق . فلم تعد رؤيتها مستطاعة بعد ذلك . وبعدها طلب ردها مباشرة بعد هذا الشوط الطويل ، فكأنه ضاعف من قدر الشوط وبوصولها قام اليها يتحسس سيقانها ، ويفحص شرايينها للوقوف على نبضها بعد هذا المجهود .

ومن أصول علوم الحيوان في الوصف الظاهري له ، وما سبق القرآن الكريم العلم به ، ما قرره من أن الكلب دائما يلهث . إنما يتنفس بصوت عالي بفتح فمه واندلاع لسانه الى اقصى حد الى الخارج سواء زجرته أو تركته وذلك بالنص الشريف :**(ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون)** ١٧٦ الاعراف .

ويصل العلم بعد أربعة عشر قرنا من الزمان من قول القرآن الكريم وبعد أن استخدم الأجهزة القياسية والتحاليل الكيماوية الى أن الكلب لا توجد له غدد عرقية الا القليل في باطن اقدامه مما لا تكفيه حتى تخفض درجة حرارته ، اذ ان عمل الغدد العرقية بما تفرزه من عرق هو لتلطيف درجة حرارة سطح الكائن والجو المحيط به ، ولذلك فان الكلب يستعيض عن عدم وجود الغدد العرقية كغيره من الحيوانات ، فيحاول تخفيض حرارته عن طريق اللهث الذي يعرض فيه أكبر مساحة

من فراغ الفم واللسان للهواء، ودائما ما يفعل الكلب ذلك. سواء أكان مجهدا أم مسترخيا، وقد اورد القرآن الكريم هذه الملاحظة، كعلامة مميزة لحياة الكلب.

وقد أجمل القرآن الكريم كل حقائق حياة النحل وما تتضمنه من أصول علمية أثبت العلم الحديث في ايامنا المعاصرة سبق القرآن الكريم له بها اذ تقول آياته الشريفة: **(وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلي من كل الثمرات فأسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)**٦٨، ٦٩ النحل.

فالعلم يقرر ان تاريخ حياة النحل على الأرض كما أثبتته الآثار التاريخية، وكما يقرره الواقع المعاصر أن النحل أول ما اتخذ بيوته اتخذها في الجبل. ولا زالت هناك بعض انواع النحل تعيش في الجبال حتى الآن، ثم نزل النحل الى الشجر ليسكن فيها.. وما زال بعضه يعيش في الاشجار حتى الآن، ثم سكن فيما يتخذه الانسان من أعراش وضمنها الخلايا الصناعية التي يصنعها له الانسان.. ثم يقرر العلم ان النحل بما يسلكه بحثا عما يتغذى به من قيام رواد للنحل كل صباح لاستكشاف المنطقة. ثم تحديد الزهور المناسبة ذات الكميات الكافية، ثم رحلات النحل الدورية المستمرة للحصول على رحيق الازهار وحبوب اللقاح، كل ذلك قد يسره الله سبحانه وتعالى لها، وبه يخرج من بطونها شراب مختلف الألوان فيه شفاء للناس، وحرص القرآن الكريم الا يذكر العسل في الآية الشريفة حتى لا يتحدد الشراب بالعسل فقط وحتى لا يقتصر بحث الانسان ودراسته في هذا الشراب على العسل رغم ان العسل قد ورد بنصه في القرآن الكريم في النص الشريف: **(مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم)**١٥/محمد

ثم يثبت علميا ان شراب العسل الذي يخرج من بطن النحل مختلف في الوانه من الشفاف الابيض الى الاصفر بدرجاته والاحمر وغيره، وان شرابا اخر مختلفا في هيئته عن العسل وهو سم النحل يخرج أيضا من بطونه وفيه شفاء للناس، وتقوم المصحات العالمية حاليا بالعلاج الطبيعي والمباشر بتعريض المريض للنحل، ليقرصه ويفرز فيه سمه فيشفى، كما ثبت أيضا انه يخرج من بطن النحل الغذاء الملكي الذي تتغذى به النحلة فتصبح ملكة، ويطول عمرها بذلك أربعة أضعاف عمر النحلة العادية، ويخرج أيضا من بطون النحل لبن النحل، وهو أخر ما يبحث فيه العلم حاليا، اذ يقول بان هذا اللبن له القدرة على إخفاء كل الميكروبات

والجراثيم الضارة بالانسان تماما . وهذه كلها أشربة مختلفة اللون وفيها شفاء للناس .

وقد أجمل القرآن الكريم كذلك كل علوم النمل في آية واحدة هي :

(حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) ١٨ النمل

ويعلن العلم الحديث أخيرا ان العالم « لورنتس النمسوي » قد تأكد من أن للنمل لغة مسموعة يتخاطب بها وأنه قام بتسجيلها على أشرطة يجري اعدادها لعرضها على معاهد وكليات علوم الحيوان ، كما يقرر علم الحيوان ان للنمل مستعمراته . وأن لكل مستعمرة .. قلاعها .. ومساكنها .. وأن النملة تعتبر من أسخى وأجود الكائنات الحية وأنها حسنة الظن حتى بأعدائها . اذ ان لها الكيس الاجتماعي وهو كيس على شكل معدة فوق معدتها تملؤه بالغذاء المهضوم ، لتمد به كل من تلقاه من نمل قد يكون جائعا ، بل إن النملة عندما تضطر للحرب ، فانها تتحسس أولا معدة عدوتها ، حتى لا تجرحها بالسؤال عن جوعها وشبعها ، فاذا وجدتها جائعة اخرجت لها كيسها الاجتماعي لتأكل منه حتى تشبع ثم تحاربها ، حتى تكون هي وعدوتها على قدر واحد من الشبع ، ولذلك فقد أحسنت النملة الظن بسليمان وجنوده ، اذ لو حطموا النمل ، فليس عن قصد بل وهم لا يشعرون .

ووجه القرآن الكريم نظر الانسان الى الاهداف من خلق الحيوان للانسان وذلك في النص الكريم :

(والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) ٥ ـ ٨ النحل

إذ يحقق الحيوان للانسان الدفء بأوبارها وشعرها وجلدها بل وشحمها وينتفع الانسان بعظامها وبكل اجزائها علاوة على اكله لحومها ، وكما يستعملها الانسان في ركوب وحمل متاعه والانتقال بها من مكانه الى حيث يريد الرحلة والارتحال . وكذلك توجه الآية نظر الانسان الى ما في مشاهدة الحيوان من متعة وجمال ، وهذه الدعوة سبقت العلم بأربعة عشر قرنا من الزمان ، حيثما اتجه العلم الى اقامة حدائق الحيوان نشرا للمتعة والسعادة والجمال للانسان في مختلف أعماره .

ومن ضمن ما وصل العلم إليه أخيرا ما ورد من أن الحيوان كل حيوان وأي حيوان له حياة جماعية ومعيشة اجتماعية ، وأنه يعيش في جماعات وأمم كالانسان . وقبل ذلك بأربعة عشر قرنا من الزمان يقول القرآن الكريم :

(وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون) ٣٨ الانعام .



للأستاذ محمود شاور ربيع

أهديك شعري وأنغامي وألحاني ... ياليلة النصف من أيام شعبان
أقبلت للأرض بالبشرى لصفوته ... من خيرة الخلق من أبناء عدنان
هو النبي وخير الخلق كلهمو ... أهداه رب الورى آيات فرقان
صلى الى القدس والأصحاب تتبعه ... صفوا الصفوف على حب وإيمان
قضى الشهور وعين الحق شاهدة ... ما في القلوب وما يسري بوجدان
قلبت وجهك نحو « البيت » في وله ... والطرف طوف في ستر وأركان
ترجو وتأمل آمالا محببة ... والروح سابحة تهفو بتحنان
جاء الأمين وقد صليت متجها ... نحو الشآم ونحو المسجد الثاني
ناداك : حول إلى « أم القرى » جسدا ... يرنو لطلعتها من دون بلدان
فيها على الكون شمس الهدى قد طلعت ... تهدي الخلائق من إنس ومن جان
حولت وجهك في بشر وفي جذل ... والصحب قد حولت تشدو بألحان
ياليلة النصف قد حققت أمنية ... ونال « أحمد » مجدا عالي الشان
ردي على العرب أوطانا قد استلبت ... باللؤم والغدر من اعوان شيطان
ردي على القدس أياما به ازدهرت ... فوق الجليل وفي اعطاف كثبان
ردي الى الدار أهل الدار إنهمو ... تحت الخيام على هون وأحزان
اني دعوت وكل العرب قد جأروا ... مدوا الأكف إلى أعتاب رحمان
فاقبل الهي دعاء العرب وانصرهم ... في ليلة النصف من أيام شعبان



مما يلفت النظر في أمتنا الأسلامية أن كثرت فروع الحياة دون تأصيل لهذه الفروع ، وبدون تنقيب عن القدر المشترك بين الفروع وبعضها ، ولقد ترتب على ذلك أن تراكمت أتربة الغفلة فوارت جوهراً ، وأعلت من قدر عرض حكم الله عليه بأنه سوف يذهب جفاء لاغناء فيه ، ولن يبقى إلا ما يصلح به أمر الدنيا والناس : (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) .

ولقد ترتب على ذلك أيضا أن افتعلت الخلافات اللفظية بين أصول الدين ومنهج العلم في الدرس الحديث ، مما أوجد قدرا من الضباب يحجب رؤية الناشئة ، ويضللهم عن لب الرؤية فيما خلف الضباب الذي افتعلوا وجوده ليشغلوا به عقولا خربة لا تريد أن تمتثل لأمر الله قرآنا : (**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون**) البقرة/ ١٦٤ فالله يدعو عباده للتدبر والتفكر فيما حولهم ، وهو يعلم أن عقولهم ستسلمهم إلى الأصول التي تحرك حياتهم ، والمنهج الكفيل بانعتاق أيديهم من أغلالها التي زينتها لهم المناهج الحديثة فاستسهلوها ، لأنهم لا يريدون أن يجهدوا أنفسهم في استخراج الكنوز من مصدرها الصحيح .

وليس من اللازم أن نجد اللفظ في منهجنا وتراثنا ، فقد يكون الحديث قائما واللفظ أو المصطلح لم يوجد بعد ، أو لم تستخدمه طائفة ، أو استقر في بيئة ولم يستقر في أخرى ، فان الشيء قد يوجد قبل اسمه الخاص سواء وجد تحت اسم آخر ، أو وجد ولم تكن هناك الحاجة لتسميته .

والعبرة دائما ليست بأن نسمي

الأشياء بل العبرة بأن نغير أسلوب فهمها ، لنجد أن الموقف الذي يتصارع الناس إلى التمسك به هو نفسه ، الموقف الذي يريدون هدمه والتخلي عنه ، وكل الفرق في استعمال المصطلحات ، وتبقى وصمة الجهل وجريرة التقصير في حق الأصيل والثابت ، نقول ما سبق لأن هناك افتعالا لمنهجية علمية ظنوها تفترق في شيء عن روح الأسلام ودقته في التخطيط لأمور الدنيا والدين ، وللمواقف التي تقع على ظهر الأرض ، وهذا الافتعال راجع إلى أمرين لا ثالث لهما :

أولهما : الرغبة من البعض الحاقد في أن يلفت الأنظار إلى شيء يظن به أنه سوف يحول الفطرة الانسانية عن صفائها وبراءتها ، وهذا هو صلب العمل الذي يقوم به أعداء الدين عندما يتشدقون بالعلمية والمنهجية والتخطيط .

ثانيهما : إن السلوك الذي يسلكه المسلمون لا يعكس القيم الأصيلة والمباديء التي أرساها الله لعباده مما جعل بعض الموتورين يسارعون في الحكم على روح الدين من سلوك المنتسبين اليها وهذه « شنشنة نعرفها من أخذم » وهو سلاح مردود عليهم إذ هناك فرق بين مفهوم « الرأسمالية » أو الأشتراكية » وبين سلوك المنتسبين إلى كليهما مع كل الفوارق بين مذاهب الوضع ومذهب الله سبحانه ومنهاجه ولكننا لا نملك إلا أن نتجه إلى الله أن يوفق السالكين إلى تجسيد المبدأ في السلوك حتى تتضح أمام الناس الرؤية ويهتدوا لعل الله يخرج من أصلابهم من يشهد أن لا اله إلا الله » ولعل « شوقيا » قد لحظ الغيب بعين الصقر اذ قال :

واذا فرق الرعاة اختلاف
علموا هارب الذئاب التجري !

نعم نحن — العالم الاسلامي — في واقع مليء بالثغرات التي أوجدتها الشكليةواللفظية وعلى الجانب الآخر فالرقعة الانسانية بها خروق شاسعة من تكدس الثروة في جانب وانعدامها في جانب آخر ، الأمر الذي إن تحملته البشرية الآن أو لأعوام قادمة فلن تستطيع عليه صبرا بعد ذلك ، لأن الخطى تعود بأوضاع الأرض ونفوس الناس إلى نفس الاوضاع والنفوس التي سبقت نزول الاسلام ، ونفس الظروف هي التي جعلت كثيرا من الناس يسارعون إلى الأنضواء تحت راية الاسلام خلاصا وتحررا من التفاوتات ، ورغبة في الانسجام مع إنسانيتهم ، وغيرهم من آحاد الناس لا يفرقون بين أنفسهم إلا بالتقوى وليس بنظم الأقتصاد المستغلة والسياسة التي تبرجت وخلعت حجاب الأخلاق .

وهكذا تمضي القرون وتظهر الفوارق التي أتى الاسلام ليهدمها وليزيحها من طريق إبداع البشر ، كي تظهر الطاقات الكامنة ، ويعود الانسجام لحركة الأحياء مع حركة الكون .

تمر القرون وتتلبد النفوس بنفس موجات القلق التي خيمت على جزيرة العرب قبل الاسلام والتي أطبقت على

فارس وبيزنطة ، ويقوم في النفوس عين الترقب ، وذات اللهفة ، وتحتبس الأنفاس انتظارا لصحوة أخرى ولنظام ، تراه جديدا ، وليس بجديد ، يجب ما عداه ويعيد صياغة القوى بعد أن هيمنت على مقدرات البشر طواغيت الفقر ولذات الجسد وماديات العقول ، وهي أمور توجب كما في القديم ، أوجبت ضرورة إعادة المبادىء الى مجال الفعل والقوة ، كي تحمي الانسان في فرديته وفي جماعيته ولتضمن المستقبل الأكثر أمنا والحاضر الأكثر هدوءا .

في ظل تلك التحديات التي واجهت الأسلام شق جبريل أطوار السماء ونزل على قلب رجل من مكة ، ومن بين أهلها بل من أشرفهم نسبا وصهرا . نزل على الأخ الكريم وابن الأخ الكريم بشهادة المكيين أنفسهم : (**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن الجاهلين**) الحجر/ ٩٤ .

ولا بد هنا أن نلتفت إلى وقع كلمة « اصدع » لأن فيها كل الجمال وكل الخطورة التي تناط بمبادىء الدين في هذا السياق فهي أبلغ من « بلغ » لأن تاثير الصدع أبلغ من تأثير التبليغ فقد لا يؤثر التبليغ وقد يذهب أدراج الرياح ، أما الصدع ـ كسر الزجاجة ـ فهو لا بد مؤثر .

وهكذا شاء الله أن يحدث الرسول هزة في الأرض ، وفي ضمائر الناس ببعثه ، وهزة بحلمه ، وهزة بهجرته ، وهزة بارساء الدين ، كي لا يستشري الأنفصام في كيان البشرية ، يمزق جوهرها ، ويبعدها عن حقيقة كينونتها .

كان على الرسول أن يجاهد بنفسه ، وبغيره أولئك الذين آمنوا به وعزروه وصدقوه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ليوقف زحف الشر ، وليحد من طغيان الكفر .

ومن هذا المنطلق كان صبره على جهامتهم ، وحلمه على جهالتهم قبل هجرته ، فمشى بينهم يعرض عليهم أمره ، ويدعوهم لما يهديهم ويصلح بالهم . ولو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قاس الصفقة بظاهرها لما صبر ، ولما تحمل ولما انفطر قلبه خوفا على أهل مكة ، ولكنه قاس الصفقة بنتائجها التي أقرها الله ، وأيدها بجنوده : (**وما يعلم جنود ربك إلا هو**) المدثر/ ٣١

لم تكن الفترة المكية الأولى عبثا ، ولكنها كانت نفشا في ارض القوم يعرضها لشمس الحقيقة يقتل أدرانها ، ويصطفي بارادة الله نفرا هم النواة للأيام التالية ، وللأحداث العظام وكان لابد من دخول ام المؤمنين خديجة في الأسلام لتظل نموذجا للوفاء والتضحية ، وكان لا بد من أن يتفرد الصديق بما هو أهل له .

كان حتما أن يعلن حمزة وعمر إسلامهما ، ليكونا صدعاً وفق ما أمر الله به في بنيان المشركين ، وكان لموقف أهل الطائف أن يحدث ، وللعنت أن يزداد ، ويكتمل جبروته ، في الارض إيذانا بانهياره ، مصداقا لقول الله سبحانه :(**وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا**

فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) الاسراء/١٦ وهكذا تفرس الشاعر اذ قال :

اذا تم شيء بدا نقصه
توقع زوالا إذا قيل تم

لقد تحمل المسلمون الأوائل فوق ما يتحمل البشر ، ولكنهم عضوا على مبادئهم بالنواجز ، وضربوا أروع أمثلة الصبر والثقة في الهدف ، وبقدر ما صبروا كان عنت الكفار واشتداد جبروتهم . وما تزال كلمات الكفار لصهيب الرومي ترن في الآذان : « اتيتنا صعلوكا فكثر مالك وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك وبنفسك . والله لا يكون ذلك » .

ولكن صهيبا قيم الصفقة التي يعقدها مع ربه فيقول لهم : « أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟ » وهم جماع مال وعرض فقالوا : نعم

ويتنازل الرجل عن كدحه وماله ابتغاء مرضاة الله : « فاني قد جعلت لكم مالي » ، ويبارك الرسول صلى الله عليه وسلم الصفقة ، ويضع في صكها شهادة تظل عنوانا على منة الله لعباده فقال عندما بلغه امر صهيب مع كفار مكة : « ربح صهيب ، ربح صهيب »

ولم تكن الهجرة للحبشة إلا تسكينا لروع المسلمين لكي لا يفتنوا في دينهم ، ولكي لا تنبتر الصلة بينهم وبين السماء إذا ما استقروا طيلة المدة في مكة ، كما كانت علاجا موقوتا للأوضاع النفسية التي ما برح الكفار يوقعونها في نفوس المجاهدين .

وليس لما يقوله « وليم مور » في كتابه « حياة محمد » منفذ للتكهن أو لوضع صورة لم تحدث ، ولسنا نقول معه : « لو لم يتوافر للاسلام مهاجر ، في المدينة لربما هاجر النبي الى الحبشة وهنا كان من المنتظر أن ينزوي الاسلام ويتحول إلى مذهب مسيحي قصير العمر مآله الانقراض » لأن ذلك خبط بليل وتكهنات لا تعكس إلا حسرة تجليها الكلمات والألفاظ ، ولكن لنا أن ننظر إلى هجرة المدينة نظرة اخرى نستخرج منها قيمة التوقيت ، ودقته ، وكيفية تعبئة القوى لابرام الأمر بشكل يستلفت نظر المخططين وأولي المنهجية الدقيقة ، التي لا تسمح بنسبة ضئيلة من معاملات الخطأ .

ننظر اليها في ضوء قول الرسول لصاحبه الصديق عندما سأله أن يهاجر : انتظر لعل الله يجعل لك صاحبا والانتظار في قاموس الدين يعني ما يقوله القرآن : **(إنا كل شيء خلقناه بقدر)** القمر/ ٤٩ وهو نفس المغزى الذي قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لمن قالوا له : « يا رسول الله ، والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى ، من المشركين غدا بأسيافنا » . وهم الذين منعوه عندما قالوا : « نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك .. فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر » .

وماذا يريد المظلوم إلا أن ينتصر ؟ وهل من أمل لمهضوم الحق إلا أن يعود حقه ؟ ولكن الرسول منفذ

لتخطيط ربه وتدبيره يقول لأولئك النفر : « لم نؤمر بذلك لكن ارجعوا إلى رحالكم » كل ذلك لكي لا تحدث الهجرة بغتة أو بدون سابق تمهيد ، ضاربة المثل بذلك ، إلى ضرورة أن تكون النظرة ثاقبة في فهمها للواقع وفي رصد الامكانيات المتاحة ، ومراعاة الهدف الأخير ، وحشد الطاقات ، على تفاوت بينها ، قال تعالى:(**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**) البقرة/٢٨٦ . ننظر إلى الهجرة من زاوية بيعتي العقبة ومكان هاتين البيعتين وأثرهما في الهجرة الكبرى كما ننظر اليها من فلسفة ذهاب مصعب بن عمير إلى المدينة يمهد النفوس العطشى للنور وللري .

لقد كان مقدرا لهجرة المدينة ، بكل مقاصد دلالتها ولواحقها أن تكون تخطيطا للمستقبل وبذرة للحضارة الاسلامية تحتوي في لفائفها حسبان أنواع المستقبل المختلفة الحالية والقريبة ومستقبل الجيل الواحد والأجيال المتعاقبة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فقد كانت الهجرة انتشارا في الأرض يعمرها ويقيم منهارها ويقوم منآدها ، ويؤسس ابتغاء الأفضل والأجدر اعتماداً على أن القليل إلى القليل كثير واللبنة على اللبنة بناء وأن « يد الله فوق أيديهم » ، وأنه « غالب على أمره » وهو « عند ظن عبده به » . كانت الهجرة نقلة كبيرة في جميع الاتجاهات بدءا من اللفظ وانتهاء بدخول مكة واستقرار أمر الدين فقد شرع الرسول يغير كثيرا من الأسماء منها البلدان والأعلام فلقد غير من « يثرب » إلى « المدينة » ويأتيه رجل فيسأله الرسول : من أنت ؟ قال : أنا زيد الخيل بن مهلهل فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : بل أنت زيد الخير وقد تسمى أحد صحابته « بالمضطجع » فغيره الرسول الى « المنبعث » وأبو العباس سهل بن سعد بن مالك الخزرجي الساعدي الأنصاري كان اسمه « حزنا » فسماه الرسول « سهلا »!. وهكذا بات التغير متوقعا من الرسول حتى أن الصحابة ظنوا تغييرا عندما سألهم : أي يوم هذا ؟ فسكت الصحابة حتى ظنوا أنه سيسميه سوى اسمه قال : أليس يوم النحر قال الصحابة بلى قال فأي شهر هذا ؟ فسكتوا حتى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه فقال : أليس بذي الحجة . وهذا التغيير له دلالات واعتبارات :

١ ـ فهو يحدد الشيء وامتلاكه .

٢ ـ يخلع الصبغة اللغوية التي تترجم الدين الجديد في اصطلاح جديد .

٣ ـ يحمل تجدد الحياة ونماءها وينسخ ماضيا ولى بجديد ترسيه له بعض الدلالات التي تميز أمة ومنهجا وحضارة .

والهجرة النبوية لم تكن ابتعادا عن مجرى الأحداث في مكة ، ولكنها كانت بداية العودة اليها ، وهي البلد الحرام التي أراد الله أن يحفظ لها

حرمتها ، وللبيت العتيق سكينة حيث قدر الله أن يتطاول المكيون ، ويخرجون من مكة إلى حيث يلتقي الفريقان ، وتحدث الملحمة الأولى في تاريخ الاسلام وهي غزوة بدر .

وكان لا بد من مركز إشعاع يتجمع فيه المريدون حول الرائد الذي جاءهم بما يحييهم ، فكان المسجد اول ما بدأ به الرسول فبناه وهو يحمل نصيبه من العمل وهذا ما يصوره شاعر المدينة :

لئن قعدنا والرسول يعمل
فذاك منا العمل المضلل

وتنافس المهاجرون والأنصار في بناء المسجد بما تنال أيديهم من لبن وجريد وليف وبعض الحجارة والخشب ، يشاركهم المصطفى يقودهم ويحمسهم وينفض الغبار عن لحى البعض داعيا للمهاجرين والأنصار فيجيبوه رجزا :

« لا عيش إلا عيش الآخرة
اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة »

ويقوم بنيان المسجد رمزا للوحدة وللتنازل عن الأهواء الذاتية ، والتسليم بمشيئة الله ورسوله .

واعتمادا على بيعة العقبة ، وموادعة الاسلام لليهود والمنافقين في المدينة حيث أعطاهم الرسول أمانا على عقيدتهم وأنفسهم « وإن من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة غير مظلومين ، ولا متناصرين عليهم » ، « ... وإنه لا يجير مشرك ـ من أهل المدينة وما حولها ـ مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن » ، « ... وانه لا تجار قريش ولا من نصرها » ، « ... وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم الامن ظلم فانه لا يوتغ ـ يهلك ـ الا نفسه واهل بيته » ، « ... وان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وإنه لا تجار حرمة إلا باذن أهلها ».

هذا هو المنهج والتخطيط الدقيق الذي يعود القرن الهجري الجديد لنا به ، لنعلي من ذكره شعرا ، ونثرا ، ورجزا ، فلقد كفاه ، وانما لنعرض انفسنا عليه كمحك لسلوك العالم الاسلامي في ايامنا :

لمن القيادة ؟ وهل نفضنا عنا كل ما لا يمت للاسلام ؟

واين السبيل ؟ ومتى نعض على الدين بالنواجز ؟ والى متى تنتهك الاشهر الحرم بين بني الدين الواحد ؟

هل نصرنا الله ورسوله كما نصره الذين تركو ديارهم واموالهم وتحملوا اللطم والعنت والايذاء :

(إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) التوبة/ ٤٠

فهل يحق لنا ان نكتفي من المنهج بالقشور دون اللباب وان ندعو الله بعدها ونريد ان يستجاب لنا : **(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)** الرعد/ ١١

مائدة القارئ

الرفق بالحيوان

من تقوى الله أن يرفق المؤمن بالحيوان المملوك له ، أو المستأنس به ، سواء باطعامه ، أو بتفقد ما فيه صلاح بدنه ، وابعاد الأذى عنه .

أقبل على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفد من الصحابة المجاهدين أيام الفتوح ، يستبقون اليه بخبر فتح عظيم يبشرونه به ، فترك عمر الكلام عن الفتح وبادرهم بقوله : أين نزلتم بركابكم ، .. فقالوا له .. فقام معهم حتى انتهوا الى مبرك الابل التي جاءوا عليها ، وقد أعياها كلال السفر ، وأجهدها طول السير ، وهي مقيدة في مبركها تتململ من الجهد والجوع ..

وأمام هذه الابل المجاهدة ، والمجهدة بغير رعاية ، قال لهم عمر يلومهم على اهمالها حقها المفروض بتقوى الله : « هلا اتقيتم الله في ركابكم هذه ؟ .. أما علمتم أن لها عليكم حقا ؟ .. هلا أرحتموها فأكلت من نبات الأرض ؟ » .

وهكذا الى اليوم ، يبقى الرفق بالحيوان في طعامه ، وراحته ، ورعايته .. حقا على المؤمنين مفروضا له بتقوى الله .

العيد

سئل أحد الصالحين : متى عيدكم ؟ فقال :

١) يوم لا نعصي الله فذلك عيدنا .

٢) يوم يتحقق نصر الله للمؤمنين فهذا عيدنا .

٣) يوم نعود الى رحاب الله فنصلح من شأننا فهو عيدنا .

٤) وليس العيد لمن لبس الملابس الفاخرة ، انما العيد لمن أمن عذاب الآخرة .

تعريفات ..

الشرف : اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة .

اللؤم : احراز المرء ماله وبذل عرضه .

الجبن : الجرأة على الصديق والنكول عن العدو .

الغنى : رضا النفس بما قسم الله لها وان قل .

الذل : الفزع عند الصدمة .

الكلفة : كلامك فيما لا يعنيك .

(الحسن بن علي)

مائدة القارئ

رحلة العمر للامام ابن القيم
- رحمه الله -

قال ابن القيم رحمه الله : العبد من حيث استقرت قدمه في هذه الدار فهو مسافر فيها الى ربه ومدة سفره هي عمره ، والأيام والليالي مراحل فلا يزال يطويها حتى ينتهي السفر ، فالكيس لا يزال مهتما بقطع المراحل فيما يقربه الى الله ليجد ما قدم محضرا ثم الناس منقسمون الى أقسام ، منهم من قطعها متزودا بما يقربه إلى دار الشقاء من الكفر وأنواع المعاصي ، ومنهم من قطعها سائرا فيها الى الله والى دار السلام ، وهم ثلاثة أقسام : سابقون أدوا الفرائض وأكثروا من النوافل بأنواعها ، وترك المحارم ، والمكروهات وفضول المباحات ، ومقتصدون : أدوا الفرائض وتركوا المحارم ، ومنهم الظالم لنفسه الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا وهم في ذلك درجات متفاوتون تفاوتا عظيما ..

دعاء

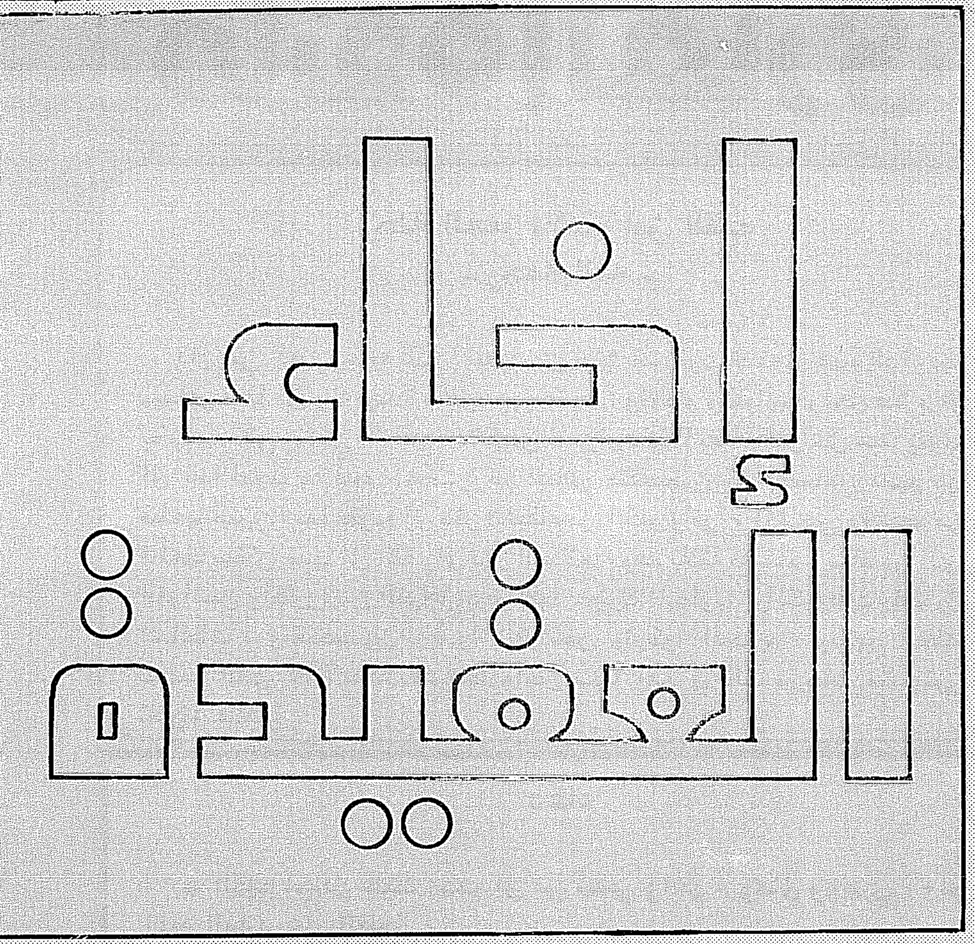
*** اللهم اجعل حبك أحب الى من نفسي وأهلي ، ومالي وولدي ، ومن الماء البارد على الظمأ .**

*** اللهم متعني بسمعي وبصري ، وانصرني على من ظلمني ، وخذ منه بثأري .**

*** اللهم اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم لقائك .**

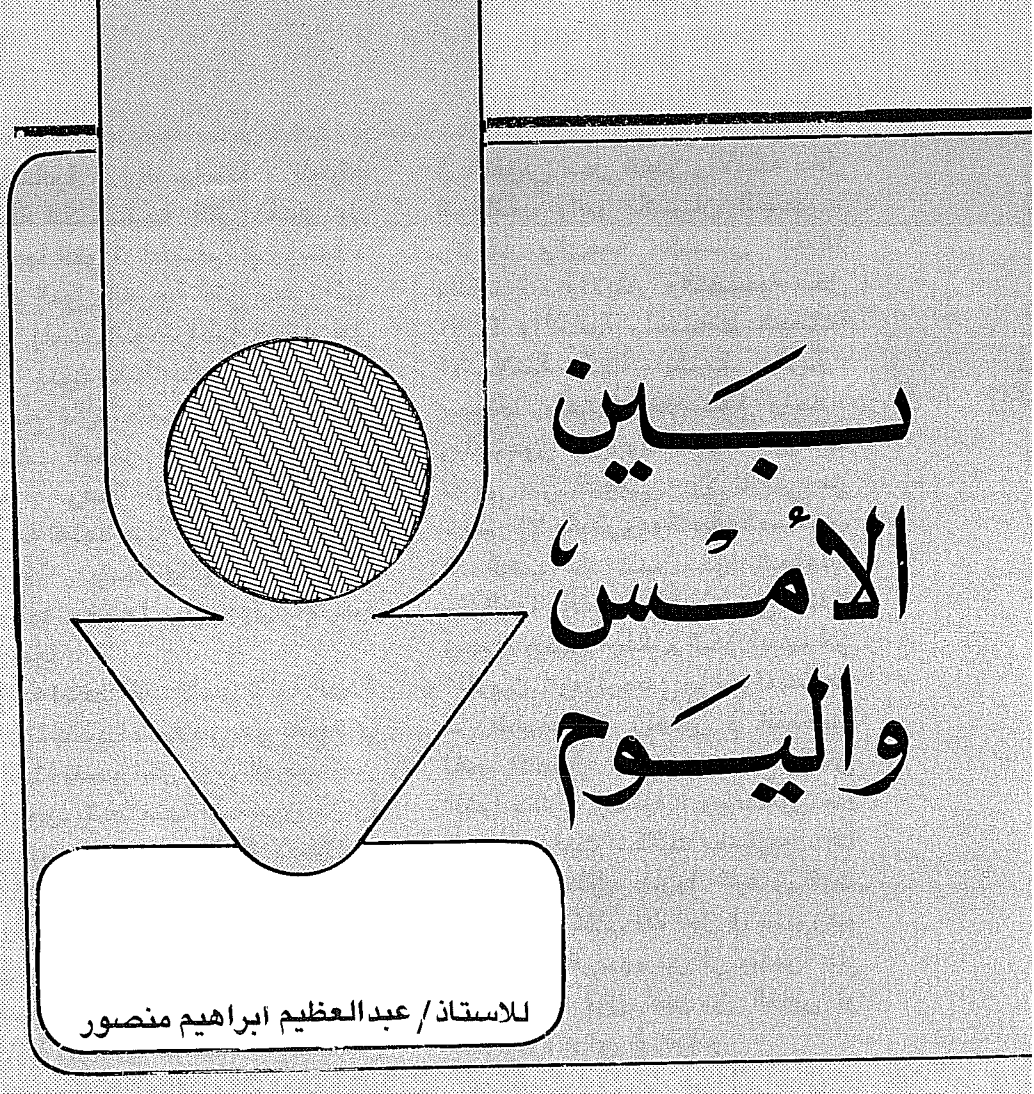
التوكل على الله

عن عمر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا » . رواه الترمذي وقال حديث حسن .. « تغدو خماصا » - أي تذهب أول النهار ضامرة البطون من الجوع .. « وتروح بطانا » - أي ترجع آخر النهار ممتلئة البطون ..



كان العالم قبل مجيء الاسلام آحادا متفرقة دولا وقبائل وجماعات وأفرادا ، وكان العرب خاصة أصعب الامم انقيادا بعضهم لبعض ، فقلما كانت تجتمع أهواؤهم ، وتتحد وجهتهم فلما جاء الاسلام بما جاءهم به أذهب عنهم جهلهم وجاهليتهم واصبح الوازع لهم من انفسهم ، فسهل انقيادهم وائتلافهم طواعية منهم واختيارا ، فأصبحوا اسرع الناس قبولا للحق والهدى ، وتجلى الاخاء الاسلامي بناء شامخا لا تتطاول اليه الأعناق ، وتوارت العصبية العمياء وأصبح المسلمون كتلة متراصة كأنها جسد واحد في نظام اجتماعي متوازن لم يكن أكثر الناس تفاؤلا يتوقعه في وقت اختلفت فيه المـــوازين وسقطت فيه جميع القيم . ولم تترك الأوضاع التي كانت سائدة أي احتمال للتلاقي بين الأوضاع المتنافرة والمتنابذة .

لقد أدى الرسول مهمته في مكة



بين الأمس واليوم

للاستاذ/ عبدالعظيم ابراهيم منصور

داعيا إلى الله كأفضل ما يكون أداء المهمات في جو متوتر مشحون بالأهواء والأغراض المضادة للحق المنفرة من كل ما هو بر وخير ، ولكنه لم ييأس ولم يفتر حتى أذن الله له بالهجرة إلى حيث القلوب المستعدة لحمل أعباء الدين الجديد وتكاليفه . فكان أول ما قام به هو المؤاخاة بين المهاجرين معه من أهل مكة والانصار من أهل المـدينة ـ نواة المجتمع الاسلامي الجديد .

ولم يعتمد الاسلام في تكوين الدولة الاسلامية وبناء المجتمع الاسلامي على عامل من العوامل الارضية التي رأتها البشرية وعهدتها الانظمة المختلفة التي تتابعت على البشرية . ومن أمثلة تلك الأنظمة النظام الفاشستي الذي قام في إيطاليا قبل الحرب العالمية الثانية واستند في إقامته إلى الفكرة النقابية وفكـرة الجنس التي استهوت بها النازية الشعب الألمـاني ، ووحدة المصالح

الاقتصادية والسياسية للطبقة العاملة الكادحة التي قامت على أساسها الثورة البلشفية في روسيا . وهناك الدول الغربية التي تدعى انها قامت باسم الديمقراطية تعتمد على عامل جديد نشأ عندهم وهو الميل الصريح لان يعتبروا أنفسهم أنهم أصحاب الفضل في كل تفوق أدركه البشر ، وهذا النوع من الخيلاء الفارغة تعتمد عليه تلك الدول في بناء أنظمتها ومجتمعاتها ، وتحديد علاقاتها بغيرها من دول الارض وشعوبها .

إنما اعتمد الاسلام في إقامة الدولة وبناء المجتمع الاسلامي على عقيدة في الله ثابتة تتسع لكل ما في الوجود ومن في الوجود يتخذ منها المسلمون مركزا لوحدتهم وتجمعهم ونقطة لانطلاقهم وانتشارهم ومثلا أعلى يتطلعون إليه حيث تختفي تحت لوائها المصالح الاقتصادية والسياسية فردية كانت أو جماعية وعندها تتلاشى نعرة الوطنية ونزعات الجنسية ، وتتضاءل أمامها جميع العوامل الأرضية التي تتخذ منها الدول أساسا لقيام أنظمتها وبناء مجتمعاتها .

ولقد كان لقيام الدولة الاسلامية على أساس العقيدة ، أن نشأت بين المسلمين صلة قوية عميقة بعيدة الأثر في حياتهم وفي مستقبل الدعوة الاسلامية ، وتلك الصلة هي صلة الاخاء المقام على عقيدة التوحيد المشدود بروح الاخلاص ، فألف الله به بين أمم متفرقة وقلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة وسرعان ما حل الوفاء في النفوس محل الغدر والأمانة محل الخيانة ، والبر مكان الجحود ، والرأفة والرحمة مكان الغلظة والقسوة ، والايثار والتضحية محل الاثرة والأنانية وأصبحت الجماعة الاسلامية كتلة بشرية متزنة ، وجهتها واحدة ومقصدها واحد ، والمسلمون أسرة واحدة لا فضل فيها لعربي على أعجمي ، ولا لقرشي على حبشي إلا بالتقوى والعمل الصالح ، قد أذهب الله عنهم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء . أشداء على الكفار رحماء بينهم ، طالب الحق لديهم من المقربين ، ومؤثره على ما سواه عندهم من الصادقين ، زاهدين في التعصب لغير الاعمال ، يسيرون مع الحق أينما سارت ركائبه ، ويستقلون مع الصواب حيث استقلت مضاربه ، إذا بدا لهم الدليل طاروا اليه زرافات ووحدانا ، كتاب الله أجل في صدورهم وأعظم في نفوسهم من أن يقدموا على أحكامه قول أحد من الناس أو يعارضوه برأي أو قياس .

ونظرا لما للاخاء من أثر فعال في بناء الدولة وربط المجتمع برباط قوي ، فقد جاء الدين يركز عليه لا باعتباره فضيلة من الفضائل ، وخصلة من الخصال ، ولكن باعتباره مبدأ تأسيسيا يقتضيه الدين وتمليه البشرية الواحدة الكريمة على الله ، فقد ضم القرآن والسنة دستورا كاملا للاخاء فقال تعالى :

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم

فأصبحتم بنعمته إخوانا) .آل عمران/١٠٣

(**هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين . وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم)** . الانفال/٦٢ ، ٦٣

ولقد صور الاسلام الوحدة القوية التي جمعت المسلمين وسيطرت على سلوكهم وتصرفاتهم فاضطرت الجاهلية أمام قوتها أن تخلي لها الطريق وأن تذهب إلى غير رجعة بكل ما صحبها من علل وأمراض عانت منها البشرية الخسف والهوان فقال تعالى :

(**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما)** . الفتح/٢٩

والأخوة الاسلامية ليست عصبية ولا هي بقية من جاهلية ، فالمرء المسلم ينصر أخاه المسلم ان كان مظلوما ، ويرده عن الظلم ويحجزه عنه إن كان ظالما ، ويلفت النبي صلى الله عليه وسلم نظر المسلمين إلى هذا المعنى ، وغرسه في نفوسهم ، ويدعوهم اليه فيقول النبي عليه الصلاة والسلام :

« انصر أخاك ظالما او مظلوما ، فقال رجل يا رسول الله أنصره اذا كان مظلوما أفرأيت إن كان ظالما كيف أنصره . قال تحجزه أو تمنعه من الظلم فان ذلك نصره » الدارمي وابن عساكر .

لذلك اعتبر الاسلام أي خروج عن هذا المسلك خروجا صريحا على تعاليم الاسلام وتوجيهاته فتنزل أمر الله بقتال الفئة المسلمة الباغية حتى يحفظ للمسلمين وحدتهم وللاخاء قوته فقال تعالى :

« **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم)** .الحجرات/٩ ، ١٠

والتاريخ الاسلامي مشحون بمواقف الحب والايثار وجميع الفضائل التي ولدها الاخاء الاسلامي في نفوس المسلمين في أوقات سلمهم وفي أوقات حربهم فقد كانوا في حياتهم السلمية يتحرون الحق ويذعنون للانصاف والعدل .

فقد تحدثت عنهم أم سلمة رضي الله عنها ــ فيما رواه عنها الامام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه ــ قالت « جاء رجلان يختصمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواريث قد درست ليس بينهما بينة ، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنكم تختصمون إلي ، وإنما أنا بشر ،

ولعل بعضكم ألحن – أقوى – بحجته من بعض وإنما أقضي بينكم على نحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فانما اقطع له قطعة من النار يأتي بها في عنقه يوم القيامة . فبكى الرجلان ، وقال كل واحد منهما ، حقي لأخي – فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « أما إذا قلتما ذلك فاذهبا ، فاقتسما ثم توخيا الحق – ثم استهما « أي اعملا قرعة على القسمين بعد قسمهما » ، ثم ليحل كل واحد منكما صاحبه » .

وهذا الخلق الذي ولده الاخاء قد شاع في الخاصة والعامة من أبناء الاسلام فطمس رسوم الاختلاف بينهم ومحا الأهواء والأغراض من نفوسهم ، حتى كان الواحد منهم إذا سمع صيحة من صيحات الحق انحاز إليه في جد وإخلاص ، فكان ذلك بلا ريب أروع منظر لسلطان الدين على النفوس ، رأى فيه المسلمون عزتهم ومنعتهم وسلطانهم وسيادتهم .

ويروي ابن كثير أن أبا عبيدة لما فرغ من دمشق كتب إلى أهل ايليا يدعوهم إلى الله وإلى الاسلام ، أو يبذلون الجزية أو يؤذنون بحرب ، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه فركب إليهم في جنوده واستخلف على دمشق سعيد بن زيد ، ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ..فكتب إليه أبو عبيدة ، بذلك ، فاستشار عمر الناس في ذلك فأشار عثمان بن عفان بألا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم . وأشار علي بن أبي طالب بالمسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم ، فهوى ما قال علي ولم يهو ما قال عثمان . وسار بالجيوش نحوهم واستخلف على المدينة علي بن ابي طالب ، وسار العباس بن عبد المطلب على مقدمته فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورءوس الامراء ، فترجل أبو عبيدة وترجل عمر فهم أبو عبيدة ليقبل يد عمر فهم عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة ، فكف أبو عبيدة فكف عمر .

وهكذا كان اللقاء بين الحاكم والمحكوم ، لم تفرق بينهما المناصب والولايات ، ولم تفصل بينهما حواجز الرياسة والامارة ، فالشريف والمشروف ، والحاكم والمحكوم بفضل الاخاء سواء .

وفي يوم اليرموك يروي ابن كثير أن المسلمين لما صرعوا من الجراح استسقوا ماء فجيء إليهم بشربة ماء ، فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال ، ادفعها إليه فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر فقال : ادفعها إليه ، فتدافعوا كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعا ولم يشربها احد منهم .

ولما رأى أسقف دمشق أن أبا عبيدة قد قارب دخول المدينة بدر إلى خالد فصالحه وفتح له الباب الشرقي فدخل والاسقف معه ناشرا كتابه الذي كتبه له ، فقال بعض المسلمين : والله ما خالد بأمير فكيف يجوز صلحه ، فقال أبو عبيدة : أنه يجيز

على المسلمين أدناهم وأجاز صلحه وأمضاه .

فالمسلمون يسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم .

وفي هذا يقول أبو عبيدة يسعى بذمتهم ادناهم : هو العهد الذي إذا اعطاه رجل من المسلمين احدا من اهل الشرك جاز على جميع المسلمين ، ليس لأحد منهم نقضه ولا رده ، حتى جاءت سنة النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في النساء .

فقد جاءت أم هانىء بنت أبي طالب يوم الفتح إلى النبي صلى الله عليه وسلم في شأن رجل أجارته . فقال لها « قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء » . ابن هشام .

ويروي ابن هشام أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شهد أحدا مع الرسول قال « شهدت أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخ لي ، فرجعنا جريحين فلما أذن مؤذن رسول الله بالخروج في طلب العدو وقلت لأخي — أو قال لي — : أتفوتنا غزوة مع رسول الله ؟ والله ما لنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله وكنت أيسر جراحا ، فكان إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

واذا كان الاخ يحمل اخاه حبا لله ولرسوله ، فان الابن قتل اباه يوم بدر وأتى برأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة لله ولرسوله . حين بقى الاب على ضلاله وانهمك في طغيانه على المسلمين ، فلم يعطف الابن على أبيه رحمة ولا كف عنه شفقة وهو من أبر الابناء : تغليبا للدين على النسب ، ولطاعة الله على طاعة الأب ، وصاحب هذا الموقف هو أبو عبيدة صاحب المنزلة العالية والأثر المشهور في الاسلام ، وفيه أنزل الله تعالى :

(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) المجادلة/٢٢ .

ولما انتقلت إمرة الشام من خالد ابن الوليد إلى أبي عبيدة بن الجراح بعد ان بويع عمر بن الخطاب بالخلافة تجلى الاخاء الاسلامي بروعته وجلاله في نفس القائدين العظيمين فأبو عبيدة يكتم الخبر خشية ان يؤثر ذلك في سير الحرب المستعرة ، حتى إذا فتحت دمشق وبعد عشرين يوما يخبر خالدا ، ويقول له « إني كرهت أن أكسر عليك حربك ، وما سلطان الدنيا أريد ، ولا للدنيا أعمل وما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع ، وإنما نحن أخوان وما يضر الرجل أن يليه أخوه في دينه ودنياه » .

وإذا كان المسلمون في سلمهم على ما وصفتهم أم سلمة رضي الله عنها ، فانهم في حربهم مع بعضهم البعض التزموا مبادىء الفضائل الانسانية

العالية .

ومن أمثلة ذلك الحرب الانسانية الاولى في التاريخ التي جرى فيها المتحاربون معا على مبادىء الفضائل التي يتمنى حكماء الغرب لو يعملوا بها في حروبهم ولو في القرن الحادي والعشرين . وإن كثيرا من فقه الحرب في الاسلام لم تكن لتعلم وتدون لولا وقوع هذه الحرب ولله في كل أمر حكمة ، ونعني بذلك ما وقع بين المسلمين في حرب صفين . فقد كانوا عربا يعرف بعضهم بعضا في الجاهلية فالتقوا في الاسلام معهم على الحمية وسنة الاسلام ، فتصابروا واستحيوا من الفرار ، وكانوا إذا تحاجزوا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء ، وهؤلاء في عسكر هؤلاء فيستخرجون قتلاهم فيدفنونهم ، قال الشعبي : هم أهل الجنة لقى بعضهم بعضا فلم يفر أحد من أحد .

هذا هو الاخاء المؤزر بمنطق العقائد ويمثل أحد المواقف التي وقفها الاسلام من الانسان ، يشيع الرحمة والألفة والمودة والتساند والتكافل ويمحو الانانية والاثرة ، ويغرس في نفوس المسلمين الايثار والتضحية والرحمة .

لذلك كان الاخاء الاسلامي ركيزة قوية من الركائز التي عول عليها الاسلام شريعة من عند الله في بناء الدولة الاسلامية وفي ربط المجتمع برباط قوي على اختلاف طبقاته وأجناسه ، فشهدت البشرية أسعد مجتمع انساني رآه التاريخ ، تعامل فيه الولاة والرعية بالايثار . الحاكم فيه كولي اليتيم ان استغنى استعفف ، وإن جاع أكل بالمعروف والمحكومون مؤتلفون متفقون متحابون متوادون معتصمون بحبل الله جميعا ، يتحرون للحق ، ويذعنون للانصاف .

وكفى بالاخاء رفعة عند الله أن يكون هو المثل الأعلى لنعيم الأبرار في الآخرة **(ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين)** الحجر/٤٧ كما هو المثل الاعلى للمجتمع الذي يريده الاسلام في الدنيا

(إنما المؤمنون أخوة) .الحجرات/١٠

واذا كنت قد اشرت إلى واقع الاخاء في حياة المسلمين الأولى ، يوم أن كان الاسلام يسيطر على تصرفات المسلمين وينطبع به سلوكهم ، ويرفرف على اتجاهاتهم وميولهم ، فانه لا احد يستطيع ان يقول كلمة او حتى حرفا ، يحمد به الأخوة الاسلامية اليوم ، او يدعي ان لها بقية في واقع الحياة على الأرض الاسلامية ، أو أنها مرجع من المراجع التي تثير في النفوس الحمية كلما حزب المسلمين أمر ، أو نزلت بهم مصيبة ؛ أو حلت عليهم نقمة .

إنها لمأساة محزنة في كل جوانبها وظواهرها ان يبدو المسلمون اليوم وفي هذا الوقت بالذات ، وقد أصبحوا وليسوا حتى مجرد اصدقاء لبعض ، لقد كشفوا انفسهم بأكثر مما يستطيع الأخرون ان يكشفوهم به ،

وهزموا بعضهم بعضا بأكثر مما يستطيع الغير أن يهزمهم به ، والنتيجة معروفة ، إنها هزيمة لكل المسلمين في شتى أنحاء الأرض .

وقد ثبت ذلك على وجه القطع واليقين أمام الأزمات التي تواجه المسلمين اليوم بقسوة وعنف وفي مواجهتها ، فلم نشاهد حتى الآن من كثير من الدول الاسلامية أي تقدم لتكون الواحدة منها طرفا مباشرا فيما يدهم المسلمين من خطر ، أن تهدد بعضها ، فان البعض الآخر إن عاجلا أو آجلا سيصيبه نصيب موفور من هذا الخطر ، فقد اكتفت بعض الدول الاسلامية في مواجهتها لتلك الأزمات برنين الكلمات والدوران حول النفس ، كنوع من إبراء الذمة ، لا يحسب لها الأعداء أي حساب لأنها في الواقع كدخان في الهواء ، وكل دولة من تلك الدول المترددة المتخاذلة بتصرفاتها السلبية تتوهم انها تشتري امنها ، وهي في الواقع تبيع شرفها وكرامتها لأن العدو الخارج قد عاهد الشيطان على تمزيق شمل المسلمين وانتقاص أرض الاسلام ، إن لم يكن اليوم فان غدا لناظره قريب .

وإن كانت هناك صرخات من بعض الدول الاسلامية المخلصة تدعو إلى جمع الشمل وصرف القوى في مواجهة الأزمات ، فقد عودتنا الأيام انها صرخات في واد ، ليس لها من سامع ولا مجيب ، وتبقى بعد ذلك الدول المخلصة في مواجهة اعصار النيران ، محاصرة وسط الحريق ، وغيرها من الدول الاسلامية التي أوصدت أبوابها لا يسمع لها صوت ولا حس ولا نبض ولا همس ، إلا رنين الكلمات في بعض الأحيان ، وصمت القبور في اغلب الأحيان وهي تشهد وترى وتعاين قتل إرادة المسلمين على ايدي الاعداء الخارجين المخالفين .

إن موقف المسلمين اليوم كما هو ظاهر ملموس حقيقة يجب ان يتدبرها المخلصون من حكام المسلمين ، كما يجب ان يتدبرها باحتمالاتها المتوقعة في مجالها الواسع غدا كما يجب ان يتدبرها بعد رجعة إلى الوراء ليست بالبعيدة ، يرقبون تاريخهم وما حققه الاخاء الاسلامي في كل عصور التاريخ ولا زال الزمان يشير إليه بأصابع الأجيال ، وليعلم الجميع ان مسؤولية المسلمين اليوم هي امتداد لمسؤولية اسلافهم ، سيحاسبون عليها امام الله إن أفلتوا من حساب الدنيا .

إن الدول الاسلامية اليوم اصبحت لعبة يتسلى الطغاة بآلام تعذيبها ، ومن العار في الدنيا والأخرة ، ألا تمتد كل الأيدي المسلمة مجددة البيعة ، ومعاهدة الله ورسوله على مواجهة الطغيان العالمي ، وقتل النشوة الخسيسة في نفوس الطغاة ، والتصدي لتلك الجبلات الجاحدة الشريرة المجرمة اللئيمة ، ويقيني أن الأمم الاسلامية الجادة المخلصة لديها من قوة الروح وقوة المادة ما تستطيع به ان تواجه وتؤثر وتنتصر في مجال المعارك الطاحنة التي تدور الآن بين المسلمين وغير المسلمين ، بين

الخير والشر ، والحق والباطل والهدى والضلال ، والايمان والطغيان .

إن المعركـة الطاحنة التي تدور رحاها الآن في صميمها وجوهرها معركة بين المؤمنين وخصومهم ، إنها معركة عقيدة ، وليست شيئا آخر على الاطلاق ، إنها ليست معركة سياسية وليست معركة اقتصادية ولا معركة عنصرية ، ولو كانت شيئا من هذا لسهل وقفها ، ولتيسرت السيطرة عليها ، ومن هنا فان واجب المسلمين اليوم ألا يخدعهم أحد ، وألا يطمئنوا لأحد تحت ستار الصداقة ، او بدافع من المصلحة ، وما الحروب الصليبية واحداثها المروعة عنا ببعيدة ، إن الاستعمار الذي تلا الحروب الصليبية ، ونعيش مأساته اليوم ليس ولم يكـن إلا ستارا للروح الصليبية التي لم تعد قادرة على السفور .

وصدق الله العظيم :

(وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) . البروج/٨

هل آن أن يدرك المسلمون طبيعة الصراع على مدى قرون بينهم وبين المخالفين ؟ انه صراع بين الايمان والطغيان ، بين الايمان الذي حمل امانته نبي الاسلام لا لشيء ، الا لتحرير الانسان عن طريق مخاطبة النفس البشرية والضمير الانساني في كل مكـان ، يهيب بهما رفض الخضوع لقيم الحياة المـادية والمعنوية ، ويحررهما من عبودية للعباد لتبقى العبودية لله وحده ، وهذا هو الخطر الداهم على الأنظمة البشرية ، وعلى العواهل والسادة المتحكمين في رقاب العباد .

وما أحرى المسلمين اليوم أن يمحصوا ويدبروا ويقرروا ويواجهوا ، ليفرضوا احترامهم إزاء أنفسهم أولا وإزاء المعاندين المكابرين ثانيا ، دون أن يحاولوا الهروب من تاريخهم وأمجادهم ، وإلا ضاع مستقبلهم ، مستقبلهم جميعا افرادا ودولا وجماعات ، لينتصروا على الخوف والألم كما انتصر اسلافهم عليهما ، فشرفوا الجنس البشري كله ، ولا زالت ذكراهم تتناقلها الأجيال .

اما من أصوات ترتفع اليوم ونحن على مفترق طريق وعرة شائكة ، تبصر المترددين بحقائق الأخوة الاسلامية وواجباتهم وحقوقها ؟ وتبين مدى عظم الجرم وفداحة الذنب امام الله الذي يمحق كل من يقصر أو يتهاون في الدعوة إليها وعدم القيام بمقتضياتها ؟

إن إدراك معنى الاخوة الاسلامية هو النبضة الأولى في عملية احياء القلوب المجدبة ، والنفوس المضطربة ، من أجل استمرار الحياة ، وعندئذ يكون من يساهم في عملية احياء الاخوة الاسلامية سواء كان حاكما أم محكـوما ، قد وفى بامانة الشكر والعرفان بالجميل لله ، ولن ينسى إذا عاش في ظل نظام اسلامي انه مدين لهذا الدين بوجوده الروحي ووجوده المادي ، وسيذكـر ذلك عندما يعرض على الله يوم الحساب ولعله يكون قريبا ، وينجو بسابق ما قدمه للاسلام والمسلمين .

المدن الإسلامية طابعها العسكري وهدفها الروحي

للأستاذ / محمد الحسيني عبد العزيز

سار العرب منذ صدر دولتهم الفتية أيام الخلفاء الراشدين على نهج تعمير المدن في الأمصار الاسلامية التي فتحت أبوابها للعرب المسلمين ليقيموا فيها ويؤسسوا ولاية ذات نظام سياسي وتشريع اقتصادي وعمراني

واجتماعي يتخذ من مبادئ الاسلام في الحكم والادارة نهجا ودستورا واشترط أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ضرورة مطابقة مدن العرب مع طبيعة بيئتهم الأولى التي درجوا عليها وتعودوها .

تخطيط المدن

وكانت المعسكرات أو المدن التي انشئت كالبصرة والكوفة في العراق والفسطاط في مصر والقيروان في تونس (المغرب الأوسط) وغيرها مسورة محصنة لتستطيع الدولة عن طريقها فرض سيطرتها واحكام قبضتها على الولايات ومواجهة أي تهديد خارجي قد يقوم به الأعداء ، ولتصبح مراكز متقدمة تنطلق منها الجيوش العربية في مراحل الفتح التالية بعد أن بعدت الشقة بين حاضرة الدولة الاسلامية في المدينة المنورة وبين حواضر الولايات الاسلامية كما يتضح ذلك من رسالة الخليفة عمر بن الخطاب إلى واليه عتبة بن غزوان والي البصرة . « ارجو أن يكفيك الله ما حولها وأن يعينك عليها . »

المدن والخطط الحربية

وقد اصبحت الكوفة قاعدة لانطلاق الجيش العربي الاسلامي لفتح بلاد الفرس وادخالها إلى حظيرة الاسلام ودولته الصاعدة .

ويلاحظ في تخطيط المدن وتصميمها أن تلائم متطلبات العرب فقد شيدت المدن العربية (الكوفة والبصرة بالعراق والفسطاط بمصر والقيروان بتونس) على مشارف الصحراء في بيئة تشبه إلى حد بعيد طبيعة المناطق المفتوحة في البادية التي يحبها ويولع بها العرب والتي اعتادوا عليها لجفاف هوائها وسطحها المستوي الذي يناسب الطبيعة العربية ويضمن لهم سهولة السير فيها وتتيح لهم فرصة التفوق في العمليات الحربية التي كانت تعتمد أساسا على الكر والفر وعلى استخدام الحصان في القتال كعنصر أساسي معاون للجند العرب فالجندي لا بد أن يعتمد على شجاعته وعلى ما لديه من عدة تطبيقا لقوله عز وجل « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** .. »

كما أوصى عمر بن الخطاب قائده المثنى بن حارثة الشيباني ألا يقاتل الفرس إذا استجمعوا أمرهم في عقر دارهم ، ولكن عليه أن يلقاهم على حدود أرضهم ، عل أدنى حجر من أرض العرب (على الحدود) وأدنى قدرة من ارض العجم ، فان يظهر الله المسلمين عليهم فلهم وراءهم وان تكن الأخرى فاءوا إلى فئة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم .

وانظر إلى وصية عمر لقائده قبيل قتاله مع الفرس « واذا انتهيت إلى

القادسية ، والقادسيـة باب فارس والجاهلية وهي أجمع تلك الأبواب لمادتهم ولما يريدونه من تلك الأصل وهو منزل رغيب خصيب حصين ، دونه قناطر وأنهار ممتنعة فتكـون مسالحك على أنقابها ويكون الناس بين الحجر والمدن على حافات الحجر وحافات المدر والجراع بينهما ثم الزم مكانك فلا تبرحها فانهم اذا احسوك أنفصتهم ورموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدهم وحيرهم ، فان انتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الأمانـة رجـوت أن تنصروا عليهم ، ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبدا الا ان يجتمعوا وليست معهم قلوبهم ، وان تكن الأخرى كان الحجر في أدباركم فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى ادنى حجر من أرضكم ، ثم كنتم عليها أجرا وبها أعلم ، وكانوا عنها أجبـن وبهـا أجمل ، حتى يأتي الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة . »

ونجحت خطة الخليفة عمر وانتصر سعد على قائد الفرس رستم وقتله وكتب الى عمر يقول« أما بعد فان الله نصرنا على أهل فارس ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد ..

ونجح عمرو بن العاص قائد العرب أن يستدرج الروم من حصن بابليون الى الخـارج بعيـدا عن الحصن ليقاتلهـم وجهـا لوجـه في الأرض الصحراوية وكان القائد العربي قد أعد كمينين في الصحراء وبدأ هو يقاتل على راس القوة الرئيسية التي تهاجم من الامام بينما تختبئ قوات خارجة بن حذافة خلف تلال المقطم وتختبئ القوة الثالثة في قريـة أم دنين ، واعتقد الـروم أنهـا فرصة ليقضوا على القوة العربيـة التـي يرأسها عمرو بن العاص وما لبث ابن حذافة ان خرج برجاله وهجم على مؤخرة الروم فلما تحولوا نحو الغرب فاجأهم الكمين الثالث المختبئ في قرية أم دنين ونجحت خطة عمـرو الحربية التي اثبتت براعة ومهارة .

الهجرة العربية الى الأمصار

فتحت المدن التـي أنشئـت في الولايات أبوابها وصدرها لاستقبال العرب من أسر الجنود وهكذا توافدت بطون من القبائل بابنائها ونسائها الى البلاد المفتوحة (تقتصر مهمـة الجند على القتال)

وقد ضمت أحياء مدينة الفسطاط خططا من قبائل متعددة ومن اهم خططها

أ ـ خطة اهل الراية من قبائل قريش وخزاعة والانصار

ب ـ خطة تجيب التي سكنت شرقي الفسطاط

جـ ـ خطة مهرة الاولى على جبل يشكر ، وخطة مهرة الثانية جنوب شرق اهل الراية .

ثم امتزج العرب بأهل البلاد في

مصر وكذلك في الكوفة والبصرة بالعراق وفي القيروان بتونس وبمرور الزمن لم تقتصر المدينة على الجنود بل اتسعت وزاد عمرانها وشارك الفاتحون واهل البلاد في سكنى البلاد واختلط الجميع بالمصاهرة والامتزاج وبعدها غدت المدن عامرة مزدهرة بالعرب وغيرهم مما كان له أثر كبير في التقدم الفكري والعلمي

المسجد ومكانته الروحية في المدينة

شيد عمرو بن العاص في قلب الفسطاط مسجده ليكون مركز الجماعة الديني يقيم فيه المسلمون شعائرهم الدينية ويستمعون الى شرح الائمة من الصحابة وكبار التابعين الذين ذهبوا الى الامصار ليعلموا الناس أمور دينهم ويشرحوا لهم الآيات الكريمة ونصوصها ، وعلى نفس المثال قام المسلمون في البصرة ببناء مسجد لهم للجماعة وكذلك الحال في الكوفة وغيرها .

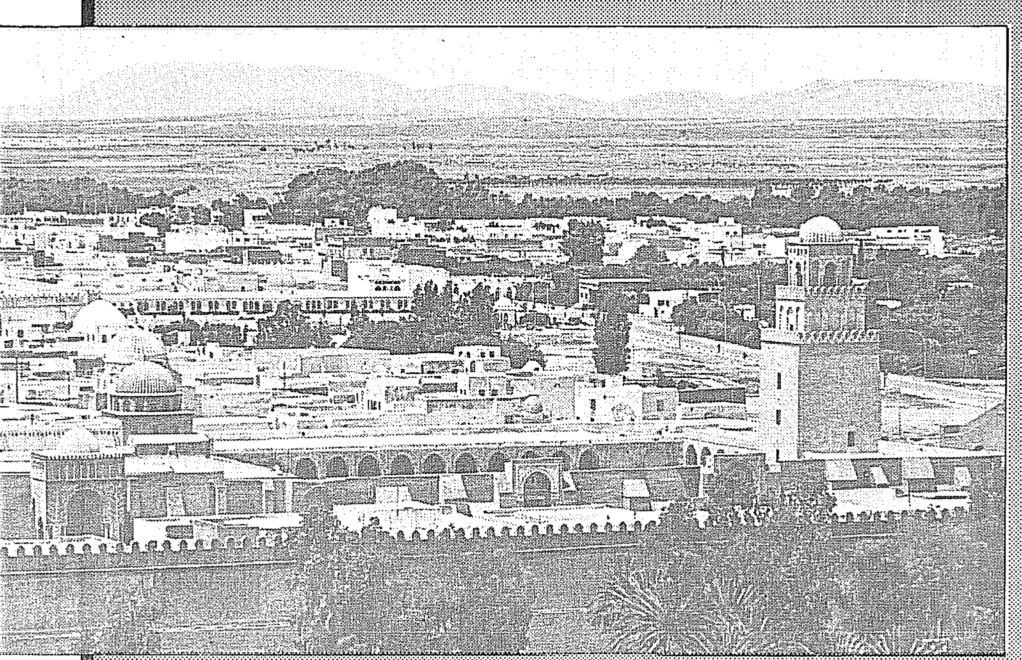
وفي المساجد كانت تتلى أوامر الخليفة ويعلن فيه للجهاد وتقام الندوات الدينية والسياسية وتعقد المناقشات العلمية والفكرية ويعقد القاضي مجلسه للحكم والفصل بين المتنازعين طبقا للنصوص الشرعية .

وهكذا كانت المساجد مراكز تهفو اليها قلوب المؤمنين وتصفو اليها النفوس حبا وقربا الى الله السميع المجيب ففيه تؤدى الفريضة احد اركان الاسلام وينادى فيه للجهاد الذي يدعو إليه كتاب الله ويقضي بالأحكام القرآنية التي لا يأتيها الباطل فهي آيات السماء لاصلاح اهل الارض .

أسوار المدن وتحصيناتها

وكانت مدن الاسلام الاولى ذات مواقع استراتيجية من حيث الموقع في الصحراء التي يتسنى للعرب فيها فرصة النصر عن طريق عملياتها الحربية من الكر والفر فلما تبدل الزمن اقتضى الأمر بناء تحصينات وأسوار للمدن الجديدة في العصر العباسي كما حدث في بغداد وكما حدث بالنسبة للمهدية في المغرب والقاهرة في مصر .

وأسوار بغداد صممت لتحمي المدينة من أي غزو خارجي فكان يحيطها سوران السور الأول خارجي منخفض عن السور الداخلي وارتفاع السور الاول ثلاثين ذراعا وليس له ابراج أما السور الداخلي فعرضه من اسفل خمسون ذراعا ويتناقص عند القمة الى عشرين ذراعا وسبب انخفاض السور الخارجي عن الداخلي هو خطة عسكرية تجعل المهاجمين تحت رحمة المدافعين ، هذا فضلا عن المداخل المنكسرة في الابواب التي تعرض العدو للقتل عندما يحاول اجتياز المدخل وينعطف يسارا فينكشف ذراعه الأيمن وتلاصق ذراعه اليسرى التي تحمل الدرع



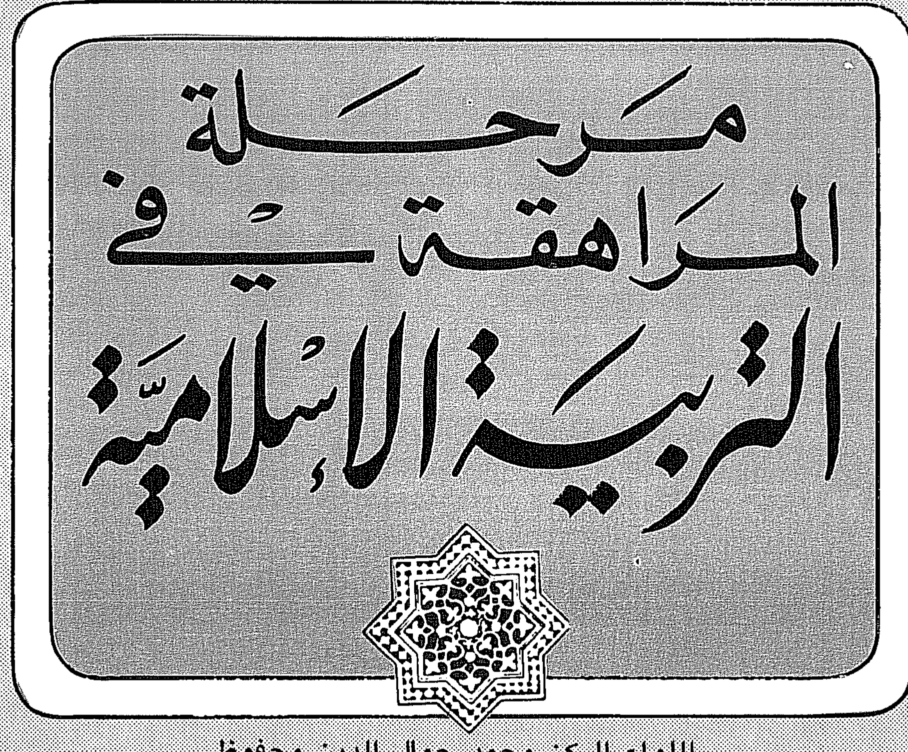
مدينة القيروان

الجدار فيصاب بسهام المدافعين.

ولم يقتصر الأمر على الاسوار بل كان يحيط بالمدينة خارج الاسوار خندق يملأ بالمياه لحمايتها وفوق الخندق جسور اربع كل منها عند احد ابواب المدينة الاربعة (باب خراسان وباب البصرة وباب الكوفة وباب الشام).

وبالنسبة للقاهرة المعزية اقيمت حولها أول الأمر أسوار بنيت من الطين ثم استبدلت بعد تجديدها بالحجارة في عهد بدر الجمالي الذي استدعي ايام الخليفة المستنصر وكان سور القاهرة مزودا بالابراج وبالمداخل التي يصب منها الزيت المغلي على المهاجمين بالاضافة الى الفتحات التي تقذف منها السهام على المهاجمين.

هذه صورة موجزة عن المدن الاسلامية بتخطيطها وطريقة بنائها وموقعها الاستراتيجي الذي يتفق مع الطبيعة العربية ثم حصنت بالأسوار لحمايتها وشيد في مركزها المسجد المكان الروحي الذي يجتمع فيه المؤمنون لأداء الفريضة ودراسة أمور الدين والعلم الذي جعل المدينة الاسلامية تجمع بين الاستراتيجية العسكرية في التصميم وبين الهدف الديني والعلمي الذي يوفر لأهل المدينة الحياة الفكرية والدينية التي يريدها لها بناة المدينة من الخلفاء لتصبح مركزا للمعرفة ومنبعا للحضارة الاسلامية.



اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ

أتاحت لي ظروف خدمتي أن أتولى قيادة معهد عسكري يلحق به الطلاب وهم في سن الثالثة عشرة او الرابعة عشرة في المتوسط، ويقضون فيه ثلاثة أعوام مقيمين إقامة داخلية ولا يعودون الى بيوتهم الا في عطلة نهاية الاسبوع وفي نهاية كل عام دراسي .. فكانت تلك فرصة فريدة لكي اقترب بالملاحظة والدرس من مرحلة من أخطر مراحل عمر الانسان هي مرحلة المراهقة وقد خرجت من ذلك بحصيلة من المعرفة والتجربة لعل اهمها ان منهج الاسلام في التربية السلوكية هو على وجه التأكيد افضل مناهج التربية على الاطلاق . وتلك نتيجة لا اشك في انها تثلج صدر كل مسلم غيور على دينه في هذا العصر الذي تتعرض فيه أمتنا لمحاولات قطعها عن اصول دينها وفرض التبعية عليها في كل مجالات الحياة بدعوى المدنية والتطور .

وإني حين أعرض هذه الدراسة في إيجاز لأدعو كل المسؤولين عن تربية شباب هذه الأمة أن يلتمسوا من تعاليم الاسلام ما يضيء لهم الطريق الى اداء مهمتهم السامية على خير وجه ، فيصنعون شبابا تعز بهم الامة وتسود ، وينطبق عليهم وصف الفتية الذين ذكر الله شأنهم في سورة الكهف تقديرا لصلابتهم في الحق واستمساكهم بالعقيدة والمبدأ حيث قال تعالى :

(إنهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى) .الكهف /١٣

معنى المراهقة ولماذا هي اخطر مراحل العمر؟

إن المعنى العلمي للفظ المراهقة هو « التدرج نحو النضج البدني والجنسي والعقلي والانفعالي » ، والمراهقة بمعنى آخر هي المعبر بين « الطفولة »و« النضج » واذا كان الوضع هو « ولادة » الطفل ، فان المراهقة هي « ولادة » الرجل او المرأة .. واذا كانت ولادة الطفل تستغرق ساعات ، فان ولادة الرجل تستغرق سنين .

وهكذا فالمراهقة ميلاد جديد للرجولة بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، وتتفق الدراسات النفسية في أن الفترة بين سن العاشرة وسن العشرين هي الوقت الذي تحدث فيه « اليقظة الدينية » في الاغلب ، فلقد اثبت العالم « كووجس » بعد دراسة ١٧٨٤ حالة ان العمر الذي تحدث فيه ظاهرة التحول الديني الحق هو سن السادسة عشرة ، وقام العالم « استانلي هول » بدراسة اكثر من اربعة آلاف حالة ، وانتهى الى ما انتهى اليه سابقه .. وفي مرحلة المراهقة بالذات ، يتعرض الشباب ـ اكثر من أية مرحلة اخرى من مراحل عمره ـ للانحراف ليس فقط في اتجاهاته الدينية بل في اتجاهاته الفكرية والسلوكية ايضا ، فنرى منهم من يقع بسهولة في براثن المفسدين والمضللين ودعاة الاستعمار الفكري الذين يسعون الى تحطيم عقائد الشباب ، وزعزعة ايمانهم ، وتقويض دعائم بنيانهم العقلي والنفسي والاجتماعي .

والواقع ان الدراسات النفسية والاجتماعية تفسر لنا تلك الظاهرة بكل وضوح ، ولعل اهم ما نلفت اليه النظر في هذا المجال هو ان أعداء الدين والأمة والحضارة الاسلامية يبنون مخططاتهم بكل احكام على تلك الدراسات النفسية والاجتماعية :

● فهم اولا على علم تام بخصائص وسمات مراحل النمو والنضج في حياة الانسان ، ومنها يدركون ان مرحلة المراهقة هي أنسب تلك المراحل لتحقيق أغراضهم .

● وهم ثانيا على علم تام بالاتجاهات النفسية ويعرفون كيف تتكون ومتى ..

● وهم ثالثا على علم تام وخبرة واسعة بأساليب الدعاية والاعلام والحرب النفسية ومختلف وسائل التأثير على العقول والعواطف والاتجاهات .

ولذلك نراهم ينفثون سمومهم الفكرية بدعوى الحرية والتحرر والاستقلال في الرأي ، تلك المعاني التي تصادف هوى لدى المراهق على الاخص وتتفق تماما مع « حاجاته النفسية » لتأكيد ذاته ، فنراه ـ لأن نضجه العقلي والنفسي لم يكتمل بعد ـ يستجيب لها بسرعة كما قال الشاعر :

إنما تنجح المقالة في المرء   اذا صادفت هوى في الفؤاد

السبيل الى التربية القويمة للمراهق

وتقتضي التربية القويمة للمراهق دراسة واعية لخصائص مرحلة المراهقة وسماتها الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية ، والتعرف على أسباب مشكلات المراهق الانفعالية لكي يصبح المربي على بينة من الطابع العام لميوله وغرائزه ودوافع سلوكه ، فهذا هو المدخل العلمي لاختيار اسلوب التربية المناسب الذي يعاون المراهق كما يعاون ابويه والقائمين على تربيته على عبور تلك المرحلة الحرجة بسلام ، ولقد اوصى عقبة بن ابي سفيان مؤدب ولده فقال : « كن لهم كالطبيب الرفيق الذي لا يعجل بالدواء ، حتى يعرف الداء » .

واذا عرفنا ان مرحلة المراهقة هي مرحلة التكوين الحقيقي للاتجاهات النفسية أدركنا ان المراهق لو ترك وشأنه في تلك المرحلة الحرجة والخطيرة ، فسوف يكون وحيدا في مهب الرياح والعواصف الهوجاء التي تستغل ما هو واقع فيه من فراغ فكري وديني فتملأ قلبه ونفسه بالمعتقدات الفاسدة والافكار الضالة التي لا يكاد عقله الناشيء يتلقاها حتى يتلقفها كما قال الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ـــ فصادف قلبا خاليا فتمكنا

التحديات التي تواجه المربين والدعاة

واهم ما يتعين على المربين والدعاة ان يضعوه في اعتبارهم وهم يخططون لتلك المهمة العظمى هو ان يدركوا بكل الوعي والفهم انهم لا يواجهون فقط تحدي خصائص المراهقة بقوة غرائزها وعنادها والميل الى مقاومة توجيه الاباء والمربين والنزعة الاستقلالية والميل الى المناقشة والجدل وخاصة في مسائل الدين الى حد الشك ، بل عليهم ان يدركوا انهم يواجهون ايضا تحديا آخر هو جهد اعداء الدين والأمة لمحاولة جذب المراهق بعيدا عن الدين والقيم والاخلاق الفاضلة مستخدمين من أساليب التشويق ما يسحر ألباب تلك البراعم البشرية الغضة ، ويزين لها طريق الغواية والانحراف . وعملا بمبدأ « الوقاية خير من االعلاج » فانه يتحتم على الآباء والمربين والدعاة ان يدركوا ان تلك المرحلة من العمر هي الاوان المناسب لجهدهم الواعي المكثف والعمل الموصول للتربية الدينية والخلقية وتكوين الاتجاهات القويمة لدى شبابنا ووقايتهم من الانحراف بكل أشكاله .

ولعل هذا هو بعض ما يفهم من قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « الزموا اولادكم واحسنوا أدبهم » رواه ابن ماجه فان من شب على شيء شاب عليه ، ونفس المراهق تتأثر بالخير كما تتأثر بالشر ، وتنطبع فيها الاخلاق الحسنة كما تنطبع فيها الاخلاق السيئة ، فاذا وجد في هذه المرحلة الحرجة من يحكم

تربيته ، ويحسن تأديبه ، ويسلك به سبيل الاستقامة وطريق الأدب والكمال ، شب حسن الاخلاق طيب النفس متعلقا بآداب الفضيلة ، متمسكا بحبل الهدى والرشد ، مترفعا عن الرذائل والخطايا ويعتصم بالله **(ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم)** . آل عمران/١٠١

واذا كانت الدراسات النفسية والاجتماعية لا تخفي كما قدمنا على اعداء الدين والامة والحضارة الاسلامية ، فنراهم يتصيدون الشباب في هذه السن بالذات بتخطيط محكم مدروس لتحقيق اغراضهم ، فان على المربين والمصلحين الغيورين على دينهم وامتهم وعلى شبابها عدة المستقبل ـ من باب اولى ـ ان يكونوا مستعدين بالخطط الوقائية الرشيدة التي تحمي شبابنا وعقائدنا وتفوت على الاعداء غرضهم ، فذلك من الزم الواجبات التي لا يصح اصلا التهاون فيها لشدة خطرها وعظم مسؤوليتها قال تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) . التحريم/٦

منهج الاسلام

ولقد رسم الاسلام الطريق الصحيح لبناء الانسان صحيح النفس والعقل والجسم ، بحيث يصبح لبنة قوية متماسكة وعنصرا ايجابيا صالحا في مجتمعه الكبير ، كما رسم الطريق الصحيح لبناء المجتمع الانساني الفاضل الذي يشكل البيئة الصالحة لبناء الانسان بالتنشئة السليمة والتربية القويمة ، ويتيح له اظهار طاقاته المدخرة فيه .

لقد وضع هذا المنهج التربوي الشامل موضع التطبيق منذ اربعة عشر قرنا وأثبت نجاحه التام في المراحل التي كان تطبيقه فيها سليما ومحكما ، وظهرت آثار هذا النجاح في قوة بناء المجتمع الاسلامي من جهة ، وفي ازدهاره وتقدمه من جهة اخرى ، وأثبتت التجارب ان المسلمين لم يقصروا عن بلوغ هذا النجاح في مراحل من تاريخهم الا لاهمالهم بعض الجوانب الاساسية من هذا النظام في اساليب حياتهم وتربية شبابهم .

خصائص المراهقة

ومن المفيد ان نتناول خصائص مرحلة المراهقة بالتحليل باعتبارها التحدي الاول الذي يواجه المربين والدعاة ، وقد رأينا ان يكون تحليلنا موضحا لما بين بداية المراهقة ونهايتها من فوارق ، يلزم ان نكون جميعا على علم بها لاهميتها . وقد اتفق علماء النفس على ان المراهقة المبكرة تمتد من سن الثالثة عشرة الى السادسة

عشرة وان المراهقة المتأخرة تمتد من السابعة عشر الى الحادية والعشرين ، وسوف نتناول كلا منهما من حيث الخصائص الجسمية والعقلية والثقافية والنفسية والاجتماعية بايجاز .

اولا ـ المراهقة المبكرة (١٣ ـ ١٦ سنة)

١ ـ السمات الجسمية

● نمو جسمي سريع لا يتناسب مع معدل نمو القلب والدورة الدموية .
● نمو عضلي وعظمي سريع لكن النمو العظمي يكون اسرع من العضلي . فتطول الذراعان مثلا دون أن تنمو عضلاتهما نموا مناسبا ، ويسبب ذلك ميلا نحو الخمول والكسل والتراخي وعدم دقة الحركات .
● في نهاية المرحلة تكتمل مرحلة البلوغ وغالبا ما يبدأ التغير في الصوت بين نغمات حادة دقيقة وبين نغمات ضخمة خشنة تؤدي غالبا الى الاحساس بالخجل .
● زيادة نشاط الغدد النخامية والتناسلية مما يحدث تغيرا في شكل الاعضاء التناسلية يصاحبه تيقظ الاهتمامات الجنسية ، ومزاولة العادة السرية في اغلب الحالات .
● يبدو الاهتمام الشديد بالجسم مع القلق للتغيرات المفاجئة في النمو الجسمي
● زيادة الشهية للطعام ، والرغبة في الراحة والنوم .
● تقترب حالة المراهق الصحية العا مة من حالة المرض مع تعرضه للاصابة بفقر الدم (الانيميا) وتقل مقاومته للامراض .

٢ ـ السمات العقلية والثقافية

● تبدأ الفروق الفردية في النواحي العقلية تتضح وتبدأ قدرات واستعدادات المراهق في الظهور .
● يصبح المراهق قادرا على تركيز الانتباه في المحاضرات والاحاديث الطويلة ، وخاصة اذا اتفقت مع ميوله ورغباته .
● يبدأ شغفه بالعلوم وخاصة تلك المتصلة بالبحر والجو ، وكذا يبدأ ميله الى الرحلات والتجوال بهدف اكتساب المعارف الجديدة وزيادة خبراته .
● يبدأ في البحث في مسائل الدين والعقائد التي كان من قبل يتقبلها عن طريق الانطباع او التقليد .

٣ ـ السمات النفسية والاجتماعية

● يبدأ المراهق في التخلص من الانانية (التي تعد من خصائص مرحلة الطفولة)

وينمو لديه الاحساس بالرابطة والولاء للجماعة ، ويصل هذا الولاء احيانا كثيرة الى حد التعصب الاعمى .
● يتصف المراهق بالخجل نتيجة للتغيرات المفاجئة ، ويميل الى التردد لعدم ثقته في نفسه ، وعدم فهمه لطبيعة تلك التغيرات ومداها .
● ينزع الى التذمر والى الانسحاب من سلطة الابوين الى سلطة الجماعة ، وقد يصل به ذلك الى حد الثورة والتمرد .
● يميل الى اختيار اصدقائه بنفسه ، ويرفض ان تفرض الاسرة عليه الاصدقاء .
● تبدأ مرحلة من الاضطراب الانفعالي ، ومن الحساسية الشديدة للنقد ، ويزيد لديه الاعتزاز بالنفس .
● يهتم المراهق بمظهره ويميل الى لفت الانظار اليه (مثل لبس الملابس الملونة) .
● يتميز النمو الوجداني بحب العظماء والزعماء ويتخذ منهم مثله العليا .
● يميل الى مشاركة الكبار العابهم وتقليدهم ، ويتقلب في تصرفاته بين سلوك الكبار والصغار .
● تبدو انفعالاته عنيفة مع عجزه عن التحكم فيها ويثور لاتفه الاسباب .
● بعض المراهقين يتعرضون لليأس والحزن والآلام النفسية بسبب تقاليد المجتمع التي تحول بينهم وبين تحقيق رغباتهم ، وقد يؤدي بهم ذلك الى التفكير في الانتحار .
● تتكون لدى المراهق بعض العواطف الشخصية نتيجة لنمو الذات .

ثانيا المراهقة المتأخرة (١٧ ـ ٢١)

١ ـ السمات الجسمية

● يحدث استقرار في النمو الجسمي من حيث الحجم والوزن ، يصاحبه بعض النمو في العضلات والصدر والكتفين ، ويصل المراهق الى النضج البدني تقريبا ويتحسن التوافق العضلي العصبي (كالسيطرة على الحركات والتحكم فيها) .
● يميل المراهق الى الحركة والنشاط بأكثر مما يملك من طاقة ، فهو مثلا يرهق نفسه بالتمرينات البدنية ، حتى يقوي عضلاته ، دون النظر الى حدود قدرته وطاقته .
● يسعى الى اكتساب الرشاقة بالتدرب على انواع الرياضة الفردية التي تؤدي اليها .
● تنضج لدى المراهق نزعات الرجولة ، ويصل الى النضج الجنسي .

٢ ـ السمات العقلية والثقافية

● يكتمل نضج القدرات العقلية المختلفة وتنضج الفروق الفردية .

● يتميز المراهق بالطابع الخيالي ، ويتجه الى الفنون الجميلة ، والقراءة التي تساعد على صقل خياله .
● تنطلق احلام اليقظة كوسيلة لارضاء النفس وكمتنفس لطموحه وآماله (سوف نتناولها فيما بعد) .
● يميل المراهق الى دراسة الاجهزة وفك اجزائها وتركيبها .
● يفضل المراهق التذكر المبني على الفهم ويكره اسلوب الحفظ .
● يبدأ اهتمامه بالتخصص العلمي او المهني ويزيد تفكيره في امر العمل والمستقبل .
● يهتم ببحث قضايا الدين والفلسفة ، وبالكشف عن الاسباب والمسببات مما قد يصل الى مستوى الشك .
● تزيد رغبته في المناقشة والجدل .
● قراءاته المفضلة قصص المغامرات والمخترعات والقصص الغرامية والقصص البوليسية والغامضة ، والصحف والمجلات مع الميل الى اخبار الرياضة والجريمة .

٣ - السمات النفسية والاجتماعية

● يتحول المراهق من الاعتماد على الغير الى الاعتماد على النفس .
● يميل الى النقد والى تغيير الاوضاع ويبدي مقترحات عملية للاصلاح .
● يميل الى مقاومة السلطة والاحتجاج والغضب والتمرد والثورة ضد الاسرة والمدرسة .
● تزيد رغبته في مشاركة افراد الجماعة من اصدقائه ، وتبادل الحديث معهم خاصة ما يتعلق بأخبار الرياضة والجنس والملبس ، ويزيد شعوره بالمسؤولية نحو الجماعة .
● يزيد ميله نحو اختيار الأصدقاء بنفسه ، ويتأثر بهم من الناحية الخلقية ، مع الرغبة في التحرر والانطلاق .
● يميل افراد كل جنس الى الجنس الآخر ، ويزيد الاهتمام بالسلوك في مواجهة الجنس الآخر .
● يزيد اهتمام المراهق بالمظهر والتأنق في الملبس وخاصة ما يلفت النظر منه .
● يزيد ميله الى اكتشاف البيئة والمخاطرة والمغامرة والتجول والارتحال والى الحفلات الجماعية والالعاب المشتركة (وخاصة تلك التي يشترك فيها الجنسان) .
● تتجه عواطفه نحو المعاني والاشياء الجميلة .
● يميل الى الزعامة والقيادة .

هذا عرض موجز لخصائص المراهقة الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية في بدايتها وعند نهايتها ومنه تستبين أبعاد اول التحديات التي تواجه المربين والدعاة ، ويبقى ان نتناول ثاني هذه التحديات وهو مشكلات المراهقين الانفعالية واسبابها ..

مشكلات المراهق الانفعالية

ومن الزم الامور للآباء والمربين والدعاة أن يتفهموا الاسباب الكامنة وراء مشكلات المراهق الانفعالية ، فان الجهل بهذه الاسباب او اهمال النظر اليها يؤدي الى عواقب وخيمة لعل من ابرزها حدوث « التصادم » بين المراهق وبين القائمين على تربيته او توجيهه ، وهو الامر الذي يجب تفاديه والحرص على منعه بكل اصرار .

١ ـ العجز عن التكيف مع البيئة

وأول اسباب حساسية المراهق الانفعالية واضطرابه الانفعالي هو عدم قدرته على التلاؤم مع البيئة التي يعيش فيها ، اذ يدرك المراهق عندما تتقدم به السن قليلا ان الطريقة التي يعامل بها لا تتناسب مع ما وصل اليه من نضج وما طرأ عليه من تغير .

● فالبيئة الخارجية التي تتمثل في الاسرة والمدرسة والمجتمع لا تعترف بما طرأ عليه من نضج او لا تقيم له وزنا ، ولا تقرر رجولته وحقوقه كفرد له ذات مستقلة .

● ويفسر المراهق كل مساعدة يقدمها له ابواه على انها تدخل في شؤونه فيعترض على ذلك ، ويظهر اعتراضه في صور عدة كالعناد والسلبية وعدم الاستقرار أو اللجوء الى بيئات اخرى يجد عندها متنفسا للتعبير عن حريته المكبوتة .

٢ ـ مطالبته بسلوك ينم عن النضج

ومما يتسبب في اضطراب المراهق الانفعالي انه في الوقت الذي لا يعترف فيه ابواه بما وصل اليه من نضج ، يراهم ينتظرون منه سلوكا ينم عن النضج ، الامر الذي يسبب له حيرة واضطرابا .. والسر في ذلك ان ما يطرأ عليه من نمو في الجسم « يخدع » ابويه فيجعلهما يتوقعان منه نضوجا في سلوكه الفعلي والاجتماعي . ولما كان النضج الجسمي في مرحلة المراهقة يتم بسرعة في عامين او ثلاثة ـ كما بينا ـ فان هذه الفترة تعد غير كافية لتحقيق نضج المراهقين من الناحية العقلية يقابل ما طرأ على اجسامهم من نمو سريع ، ونتيجة لذلك قد يقوم المراهق ببعض التصرفات

الصبيانية وهذا أمر طبيعي ، لكن الكبار لا يرحمونه فيستنكرون تلك التصرفات مما يشعره بخيبة الامل وعدم الامن .

اضف الى ذلك ان الاسرة تطالبه بتحمل بعض المسؤوليات التي لا تتفق مع قدراته ومستوى نموه ، فهو لم يعد في نظرها طفلا تجاب كل مطالبه دون تحمل للمسؤوليات ، وهكذا يجد نفسه مطالبا أمامها بأن يعتمد على نفسه في وقت تعجز فيه قدراته عن تحقيق هذا المطلب .

٣ ـ شعوره بعدم الاستقلال والتحرر

ويلاحظ المراهق ان هناك قيودا تفرضها عليه الاسرة والمدرسة وتحول بينه وبين ما يتطلع اليه من استغلال وتحرر ، لذلك نراه يعتبر كل شيء في المنزل او المدرسة مصدر ضيق له ويثور على كل ما يوجه اليه من نصح ويعتبر هذا النصح اعتراضا على حريته واستقلاله ، فيميل دائما الى التمرد وتحدي الاراء والاوضاع القائمة .

٤ ـ العجز المالي

ومن بين الاسباب التي تعمل على اضطراب المراهق وعدم استقراره الانفعالي عجزه المالي الذي يقف دون تحقيق رغباته ، فقد يجد نفسه وسط جماعة من رفاقه ينفقون عن سعة وهو في الوقت ذاته عاجز عن مجاراتهم او المشاركة في مسراتهم ، وكل ذلك يسبب له الضيق والشعور بعدم الطمأنينة .

٥ ـ الدافع الجنسي

وليست العقبات المالية قاصرة على مشاركة رفاقه في مسراتهم ، بل انه فوق ذلك يشعر انه قد اكتمل من الناحية الجنسية ، وانه يريد ان يعبر عن تلك الدوافع الجامحة في نفسه بالزواج ، غير انه يصطدم بالواقع ، فالقصور في الموارد المادية يقف هو وغيره من العوامل الاخرى بينه وبين ما ينشد من استقلال ومن التعبير عن دوافعه الطبيعية ، وهنا تزيد حدة التوتر الانفعالي ، اللهم الا اذا وجد بديلا يعبر به عن الدافع الجنسي القوي ، ويكون الاحتلام من بين الوسائل الطبيعية للتعبير عن هذا الدافع ، وعلى الرغم من ان هذه عملية طبيعية ، الا انها تسبب ضيقا لدى الكثير من الفتيان المراهقين اذ يعتبرونها خطيئة ، ويزيد الطين بلة ان بعض الآباء لا يترفقون بأبنائهم نتيجة لسوء التقدير والفهم ، وهكذا يصبح الامر الطبيعي مصدرا للقلق والصراع العقلي ، قد يسبب في بعض الاحيان شقاء يستمر

مدى الحياة .

وما يقال عن الاحتلام يقال ايضا عن العادة السرية ، اذ يحدث الصراع العقلي بسبب ممارستها وخاصة اذا تمكنت من المراهق بدرجة زائدة عن الحد ، كما يزيد هذا الصراع اذا تعرض المراهق للوم او التقريع مما يضاعف شعوره بالخطيئة والخوف .

احلام اليقظة

اما احلام اليقظة فهي ظاهرة عقلية في حياة الانسان ، غير انها تكون واضحة في مرحلة المراهقة ، وهي وسيلة يعبر بها المراهقون عن ميولهم ورغباتهم عن طريق الخيال . وهي تنقسم الى طائفتين : الاولى احلام تدل على الشعور بالقوة والعظمة والسيادة ، كأن يتخيل المراهق نفسه بطلا قوي الجسم مفتول العضلات رأى فتاة تغرق في البحر ولا تجد فيمن حولها من يجسر على انقاذها فتأخذه الحمية ، فيقفز الى الماء معرضا نفسه للخطر وينقذها ، فهذا النوع من احلام اليقظة يجد فيه المراهق كثيرا من التعويض عما يشعر به من عجز في قدراته . اما الطائفة الثانية : من هذه الاحلام فتعبر عن الشعور بالنقص وهي ضرب من « حب التألم » (او ما يسمى بالماسوشية) ، وتلجأ الفتيات المراهقات الى هذا النوع من احلام اليقظة عادة في حالات القنوط واليأس الشديد فتتخيل الفتاة نفسها في مواقف تسبب لها الآلام والتعذيب ، وهي تجد في ذلك لونا من الراحة النفسية شأنها في ذلك شأن من يبكي عند مشاهدة مسرحية حزينة اذ يجد في البكاء راحة للنفس .

وما يعنينا في احلام اليقظة هو انها سلاح ذو حدين ، فكما انها تحفز همة المراهق وتدفعه الى العمل لتحقيق ما يفكر فيه في عالم الخيال ، وتكون وسيلة لتوجيه قدراته على الابتكار والابداع وتنميتها ، الا انها في الوقت نفسه تعتبر مضيعة لوقته الذي يمكن ان يستغله فيما ينمي ميوله من عمل ونشاط . ثم ان بعض المراهقين ـ وهنا موطن الخطر ـ يجدون اشباعا لحاجاتهم في خيالهم ، ومن ثم لا يبذلون الا جهدا قليلا لتحقيق النجاح الواقعي في حياتهم .

الاتجاهات النفسية

وقد ثبت علميا ان مرحلة المراهقة هي المرحلة التي تتكون فيها الاتجاهات النفسية بصورة حقيقية لها اثرها وفعاليتها .

ويعرفها علماء النفس بانها هي « ميل عام مكتسب وثابت نسبيا يؤثر في دوافع الفرد ويوجه سلوكه » ، كالميل الى اشياء او موضوعات معينة تجعل الفرد يقبل عليها ويحبها او يرحب بها او يعرض عنها او يرفضها ، « واتجاه التدين » من امثلة الاتجاهات النفسية .

وبمعنى آخر فان الاتجاهات النفسية تمثل مجموعة المعتقدات والمشاعر والميول السلوكية التي يحملها الفرد تجاه موضوع معين ، وبذلك فان السلوك الاجتماعي للانسان في كافة مظاهره واشكاله يتأثر ويتحدد بمجموعة اتجاهاته .

ويرى علماء النفس ان الاتجاه النفسي يتكون من عناصر ثلاثة هي :

العنصر الفكري او العقيدة ـ العنصر العاطفي او المشاعر ـ الميل للتصرف والسلوك بشكل معين .

ومن اهم ما ينبغي ان يعرفه المربون والدعاة هو كيف تتكون الاتجاهات النفسية ، والواقع ان هناك طرقا كثيرة لتكوينها نذكر منها ما يلي :

١ ـ التقليد والمحاكاة او تقبل المعايير الاجتماعية وغيرها دون نقد او مناقشة ويكون ذلك عن طريق الايحاء ، وتتجلى هذه الطريقة في مرحلة الطفولة بدرجة كبيرة ، فالطفل يكتسب اغلب اتجاهاته (ومنها اتجاه التدين كما ذكرنا) عن طريق الاسرة التي نشأ فيها هكذا تتضح اهمية الدور الذي تؤديه الاسرة في تنشئة الانسان وتكوين شخصيته .

٢ ـ الانفعالات « الحادة » ولها اثر قوي في تكوين الاتجاهات ، فاسلوب التربية الخاطىء (الذي يقوم على العنف مثلا) قد يؤدي الى تعريض المراهقين لخبرات انفعالية حادة تحوله عن اتجاه التدين .

٣ ـ وتتكون الاتجاهات وتتشكل طبقا « للمعلومات » التي تتوفر لدى الفرد عن الموضوعات المختلفة (كالدين مثلا) .

٤ ـ وتتكون ايضا في اثناء محاولة الفرد اشباع حاجاته المختلفة .

٥ ـ وتتأثر اتجاهات الفرد بطبيعة الجماعات التي يتفاعل معها مثل الاسرة وجماعات الاصدقاء وجماعة العمل .

ومن ذلك يتضح ان الطريق الصحيح لتكوين الاتجاهات النفسية نحو موضوعات معينة كالتربية الدينية لا يتم اساسا من خلال النصح والارشاد وانما يجب ان يتغلغل في حياة المراهق من الناحية العملية اي من خلال الممارسة الفعلية والخبرة الذاتية والتفاعل الاجتماعي في البيئة المنزلية والمدرسة وغيرها وفي اثناء الرحلات والانشطة المختلفة حيث يمارس المراهق ما يستهدف تحقيقه من اتجاهات .

ولما كانت الرغبة في الشيء من اهم الدوافع اليه ، فان « الترغيب » يعد من افضل اساليب خلق الاتجاهات ، كما ان القدوة الطيبة ذات اثر كبير في هذا المجال .

التربية الإسلامية

وبعد ان استعرضنا اهم خصائص المراهقة وسماتها ومشكلات المراهق

الانفعالية واسبابها ، ثم الاتجاهات النفسية وكيف تتكون ، نستطيع ان نتناول الآن بعض عناصر التربية الاسلامية لتربية المراهق التي استرشدنا بها وطبقناها عمليا في المعهد العسكري الذي توليت قيادته ـ كما سبق ان ذكرت ـ فأتت ثمارها المرجوة مع الطلاب (الذين هم في سن المراهقة) سواء من حيث بناء الشخصية السوية او التحصيل العلمي ، وحقق المعهد من النتائج ما كان مضرب الامثال والحمد لله .

١ ـ التكليف بالوسع

يوجه الاسلام الى ان تكون معاملة المراهق قائمة على سياسة واعية رشيدة تقدر طبيعة المرحلة وما يناسبها في المعاملة بحيث لا تكلف المراهق فوق ما يطيق . والواقع ان الاسلام عني بمبدأ « التكليف بالوسع » كما يفهم من قوله تعالى : (**لا يكلف الله نفسا الا وسعها**) . البقرة/٢٨٦ .

من اجل ذلك لا يطلب الأب مثلا من ابنه المراهق ان تأتي تصرفاته متسمة بالنضج الذي يتوقع من الكبار فيعرضه للمشكلات الانفعالية كما بينا ، لأن الذي يطالبه به امر يتجاوز قدراته الحقيقية ، كذلك يوجه هذا المبدأ الى ان نعترف للمراهق بأن مشاعره طبيعية ، فلا نواجهها بالاستنكار او التقريع او اللوم ، بل نهيىء له الفرصة من جانبنا للتعبير عن هذه المشاعر مع قيامنا في الوقت نفسه بتوجيهه برفق واناة .

٢ ـ الرفق والحب

ويوجه الاسلام الى المعاملة بالرفق والحب ، والبعد عن العنف بكل اشكاله ، لأن العنف يزيد من مقاومة المراهق وعناده ، ويوقعه فريسة للاضطرابات النفسية التي قد تؤدي الى تقويض بنيانه النفسي كلية . عن السيدة عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا عائشة ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على سواه » رواه مسلم وعنها ايضا انه قال : « ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه » . رواه مسلم . وعنها ايضا رضي الله عنها قالت : جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اتقبلون الصبيان ؟ فما نقبلهم .. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « او املك لك ان نزع الله من قلبك الرحمة ؟ » رواه الشيخان .

وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال : « ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم » رواه مسلم .. وقد دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه احد عماله فوجده مستلقيا على ظهره وصبيانه يلعبون حوله ، فأنكر عليه ذلك ،

فقال عمر : كيف انت مع اهلك ؟ قال : اذا دخلت ، سكت الناطق ، فقال له عمر : اعتزل عملنا ، فانك لا ترفق باهلك وولدك ، فكيف ترفق بامة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ .

٣ ـ تنمية الضمير الديني

لقد ثبت لنا ان الضمير الديني من اقوى العوامل التي تساعد المراهق على مواجهة نوازع المراهقة واضطراباتها الانفعالية ، فقد عرفنا ان المراهق ينزع في هذه المرحلة الى المناقشة والجدل وبخاصة في المسائل الدينية التي كان من قبل يقبلها عن طريق المحاكاة ، ويتفق ذلك زمنيا مع بلوغه سن التكليف الذي تصبح فيه التكاليف الشرعية واجبا يثاب على ادائها ويحاسب على تركها . فالطريق الصحيح الذي يتبعه المربي الحكيم هو « ان يتحاشى الصدام بين ما يطلبه المراهق بطبعه النفسي وبين ما يطلبه الدين » . وخير وسيلة لذلك تنمية الضمير الديني ، لانه هو الذي يحقق للمراهق احساسه بذاتيته واستقلاله وشخصيته ، فيندفع الى اداء واجباته على اكمل وجه معتمدا على قوة ذاتية لا على قوة خارجية . ولا مراء في ان الايمان الصادق العميق يبني ضمير المسلم ويجعله وثيق الصلة بما يمليه عليه ايمانه لا يشغله عن ذلك شاغل ، ويصوره لنا الرسول الكريم في العبادة بقوله : « ان تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » رواه البخاري ثم بقوله صلوات الله وسلامه عليه : « اياك اياك ان يراك حيث نهاك » رواه احمد ومما يدل على عناية الاسلام بتربية الضمير الديني ، انه لم يجعل نتيجة الخوف امرا سلبيا وهو النجاة من العقوبة ، بل جعل للخوف فوق النجاة والسلامة جزاء ايجابيا هو الثواب الجزيل والاجر العظيم .. قال تعالى : (**واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هي المأوى**) . النازعات/ ٤٠ ، ٤١ وقوله سبحانه : (**ولمن خاف مقام ربه جنتان**) .الرحمن/ ٤٦ .

فاذا عود الشباب نفسه من بداية مرحلة احساسه بذاته ان يراقب الله تعالى عند كل عمل يعمله ، موقنا ان الله تعالى مطلع على جميع اعماله ومعتقدا انه تعالى يجازي من اطاعه برضوانه واحسانه ، وانه ينزل غضبه ومقته على من خالفه وعصاه ، اذا عود نفسه على ذلك ، سهل عليه ان يفعل ما امره الله به ويجتنب ما نهاه عنه ، فاذا سولت له نفسه ان يأتي معصية ردها وزجرها ، وذكرها بعزة الله وجلاله وانه تعالى قادر على الانتقام منه ومطلع عليه لا تخفى عليه خافية : (**ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم**) . المجادلة/ ٧ فالضمير الصافي او القلب السليم هو النور الذي يهدي الانسان في مسالك الحياة ويملأ النفس اطمئنانا ورضى ، فاذا ظفرنا بتربيته وايقاظه في الشباب فقد اقمنا اقوى دعائم التربية الناجحة والقويمة لهم . يقول الله

تعالى : (**يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من اتى الله بقلب سليم**) . الشعراء/٨٨ ، ٨٩ .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب » . رواه البخاري . ومن انفع الاساليب التربوية التي اتبعناها لتنمية الضمير الديني تعويد المراهق وتدريبه على ممارسة « النقد الذاتي » ، فالطالب الذي كان يرتكب خطأ ما ، كنا نرده الى نفسه ، ونطلب منه ان ينقد نفسه بنفسه ، ثم نناقشه فيما يصل اليه .. وكنا نربي المراهق وهو يقوم بالنقد الذاتي ، ان يزن اعماله بميزان الاخلاق الاسلامية ، ثم يقرر ما ينوي عمله لاصلاح نفسه وتنمية شخصيته نحو الكمال المنشود ، وقد ثبت لنا بالتجربة العملية ان هذا الاسلوب (النقد الذاتي) يحقق مزايا عدة نذكر منها :

- تنمية الضمير السليم لدى المراهق .
- غرس الشجاعة الادبية في نفسه .
- حرص المراهق على السلوك السليم وتحاشي ارتكاب الاخطاء .
- تقبله للنصح والتوجيه بصدر ارحب (لأن نقده لنفسه قبل ان يلقى المربي يهيئه لقبول التوجيه ، ويمنع الى حد كبير ظهور المقاومة للنصح التي هي طبع نفسي للمراهق) .
- تقبله للعقاب المناسب اذا ما وقع عليه بصورة موضوعية وبأسلوب لا يؤدي الى مضاعفات نفسية .

ولقد خلصنا من تجربتنا الى انه اذا كان النقد الذاتي امرا حيويا ونافعا في حياة الانسان عامة ، فهو في مرحلة المراهقة امر اشد حيوية واكثر نفعا . ذلك لان شخصية المراهق تتسم بالرغبة في تأكيد الذات وفي مقاومة السلطة الى الحد الذي يجعل المراهق يتمرد على نصح الابوين اذ يرى فيه تدخلا في شؤونه ، واعتراضا على حريته واستقلاله .

من اجل ذلك كان اعتمادنا في تقويم سلوك المراهق على تعويده وتدريبه على النقد الذاتي بميزان الاخلاق الاسلامية ، محققا لرغبته في تأكيد ذاته ، واعترافا منا بشخصيته وبقدرته على التمييز بين الخطأ والصواب بهدى تفكيره .

فنحن بذلك لا نصادر شخصية المراهق ، ولا نصادمها ، ولا نفرض عليها التوجيه فرضا ، ولا نولد لديه قوى المقاومة ، ولا نوقعه فريسة للاضطرابات او المشكلات الانفعالية .

٤ ـ العمل مع المراهق ومصاحبته

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الزموا اولادكم واحسنوا ادبهم » رواه

ابن ماجة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

وهذا الحديث الشريف يوجه الاباء الى مصاحبة اولادهم ومراقبتهم وتأديبهم احسن الادب ، وقد وصل علماء النفس الى هذا المبدأ وهم يعدونه من افضل اساليب بناء شخصية المراهق وتربيته، فيقول واحد منهم « ان الحياة مع ولدك المراهق ليس معناها ان تحيا من اجله ، فان الحياة من اجله وحدها معناها التضحية له ، ولكن اجعل حياتك مع ولدك (يريد ان يفرق بين معنى الحياة معه والحياة له) ومعنى ذلك ان يدرك كل منكما الآخر ، وان تقف الى جواره في لحظات الصراع ولا تتخلى عنه ، وان تمنحه المزيد من الحنان في لحظات الهلع والهياج غير العادية ، وان تمتعه بلحظات السعادة والهدوء والسلام » .

ولقد يضيق صدور بعض الآباء من سلوك ابنائهم المراهقين فينهالون عليهم باللوم والتسفيه والتجريح او العقاب البدني ، وهذا ما ينهى عنه الدين الذي يأمر الآباء بأن يتقوا الله في افلاذ اكبادهم ، وأن يقوموا على تربيتهم بحسن الأدب والخلق الطيب وبالوقوف الى جانبهم في تلك الفترة الحرجة ليأخذوا بايديهم حتى يعبروها بسلام ، وقد قال بعض الحكماء : « لا عب ولدك سبعا ، وادبه سبعا ، وصاحبه سبعا ، ثم اترك حبله على غاربه (كتفه) . » وفي ذلك تأكيد لمصاحبة الأب لابنه (والام لابنتها) مصاحبة الصديق الناصح الامين في اخطر مراحل عمره وهي المراهقة ، وهو تأكيد ايضا لمعنى « الزموا اولادكم » في الحديث الشريف .

فالهوة الضخمة بين اخلاقيات الكبار والصغار ـ كما يقول احد علماء النفس ـ تكشف عن انعدام التفاهم او الصداقة بين الآباء والأبناء ، وعن أن الآباء عاجزون عن مساعدة أبنائهم والأخذ بايديهم .. فالمراهق يعتبر نفسه قادرا على تصريف شؤونه ، وابواه لا يقرانه على ذلك ، ويعبران عن آرائهما بطريقة متزمتة منفرة فيفقد المراهق ثقته بهما ، ويتخذ طريقه في السر كما يشاء . وبعض الآباء ينشغلون في عملهم لدرجة تحجبهم عن ابنائهم ، وبذلك لا يساهمون في رعاية ابنائهم في مرحلة هم فيها احوج ما يكونون الى مصاحبتهم والحياة « معهم » .

٥ ـ الاقناع والحلم وسعة الصدر

ويدعو الاسلام الى الاقناع والحلم وسعة الصدر وترك المجاهرة والتوبيخ لتوليد الدافع والرغبة لدى المراهق للسلوك الصحيح . فلقد عرف الشباب من قديم برقة الدين ، واحتمل ذلك منه ، الا ترى الحديث الشريف كيف عد الشاب الذي نشأ في عبادة الله من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله ؟ وما ذلك الا لندرة هذا النمط في الشباب وخروجه على المعتاد من جنسه .

ومن اجل هذا كان الشباب في كل المجتمعات وفي كل العصور دائما موضع الملاحظة بالنظر الى ظروفه النفسية والعقلية في فورة النضج التي اشرنا اليها حتى قال الشاعر :

فان يك عامر قد قال جهلا ... فان مطية الجهل الشباب

وقد روى أبو امامة ان غلاما شابا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله اتأذن لي في الزنا ؟ فصاح الناس به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قربوه ، ادن . فدنا حتى جلس بين يديه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اتحبه لامك ؟ قال : لا ، جعلني الله فداءك ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم ، اتحبه لابنتك ؟ قال : لا ، جعلني الله فداءك ، كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ، اتحبه لاختك ؟ وزاد ابن عوف انه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحدة لا ، جعلني الله فداءك .. فوضع الرسول صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال : اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصن فرجه ، فلم يكن شيء ابغض اليه منه « يعني الزنا » رواه احمد .

فهذه هي الحكمة في الدعوة وبها تجب القدوة . قال تعالى : (**قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم**) . آل عمران/ ٣١ .

وانا لا نكون متبعين له صلوات الله وسلامه عليه حتى نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر على سنته وطريقته في اللطف وتحري الاقناع بالرفق واللين ، ومن اوتي حظه من الرفق فقد اوتي حظه من خير الدنيا والآخرة ، والقرآن الكريم يرشد الى التلطف في القول والرفق في المعاملة مع تحري الاقناع ، قال تعالى : (**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن**) .النحل/ ١٢٥ .

ان حرية الانسان حق طبيعي وحيوي ، وحقيقة بديهية في الاسلام ، وقد اقتضت حكمة الخالق سبحانه وتعالى بان يكون للانسان الحرية في التفكير ، لان تعطيل حريته او مصادرتها يتناقض مع مصلحته في الحياة ومع معنى العبادة التي خلقه لاجلها ، ومع التكاليف التي امره بها ولا سيما في اتباع مكارم الاخلاق واجتناب مساوئها . قال تعالى : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**) .البقرة ٢٥٦ .

وقال جل شأنه مخاطبا نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم : (**افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**)يونس/ ٩٩ وقال سبحانه : (**قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل**) . يونس/ ١٠٨ .

والامر الجدير بالتأمل حقا والذي لا يصح ان يخفى علينا هو ان دعاة الالحاد والتحلل من القيم والتقاليد ، ينفثون سمومهم الفكرية بدعوى الحرية والتحرر والاستقلال في الرأي ، وهي معان تصادف هوى لدى المراهقين على وجه

الخصوص ، وتتفق تماما مع حاجاتهم النفسية لتأكيد ذواتهم فنراهم ـ لان نضجهم العقلي والنفسي لم يكتمل بعد ـ يستجيبون لها بسرعة .
فيجدر بالأباء والمصلحين والدعاة ان يجعلوا اسلوبهم في التربية الدينية منسجما ومؤكدا لمعنى حرية الانسان التي قال الله تعالى فيها : (**وهديناه النجدين**) . البلد/ ١٠ وقال : (**انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا**) .الانسان/ ٣ .

وعليهم بالحلم وسعة الصدر وهم يناقشون الشباب فيما يعرض لهم من قضايا ذهنية تتعلق بالحياة او الموت ، والجبر والاختيار والفناء والخلود ، والمادة والروح ، والبعث والجزاء ، وبالرسالات السماوية وشرائعها ، والتطور البشري ومقتضياته والنظم الاجتماعية والسياسية وفلسفتها الى غير ذلك .

ان كمال العلم في الحلم ، ولين الكلام مفتاح القلوب ، فيستطيع المربي ان يعالج امراض النفوس وهو هادىء النفس مطمئن القلب ، لا يستفزه الغضب ، ولا يستثيره الحمق ، وحسبنا في هذا قول الله تعالى لامام الداعين المربين صلوات الله وسلامه عليه : (**ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك**) .آل عمران/ ١٥٩ فالداعي او المربي الذي يضيق صدره بأسئلة الشباب ومناقشاتهم « الساخنة » سوف يدفعهم الى الانصراف من حوله ويضيع عليهم فرصة الهداية بانوار دينهم ، ويعرضهم للوقوع في براثن اعداء الدين والمثل والاخلاق .

وقد ثبت لدينا بالتجربة العملية أن التربية الصحيحة للمراهق هي التي تقوم على الاعتراف بشخصيته الجديدة النامية ، وعلى معاونته على تحقيق ما يتمناه لنفسه بأسلوب تربوي رفيق ورشيد ، اما اذا حيل بينه وبين رغبته في تحقيق ذاته ، فسوف يقع فريسة لليأس والقنوط والحزن والآلام النفسية بسبب ما يلاقيه من احباط ، وقد تنشأ عن هذا الاحباط انفعالات متضاربة ، وعواطف جامحة تدفع بعض المراهقين الى التفكير في الانتحار . وثبت لنا ايضا ان التربية الصحيحة للمراهقين هي التي لا تقابل الثورة بالثورة ، بل تتطلب من الوالدين والمربين ان يهيئوا جوا من الثقة بينهم وبين ابنائهم وان يكون رائدهم الاقناع والا يوقعوهم في عقدة القنوط بالتقريع واللوم اذا ما اتفق لاحدهم ان اسرف على نفسه ، وعليهم ان يتبعوا نهج القرآن في الترغيب والترهيب فيفتحون بذلك للمخطىء باب الأمل والتوبة . قال تعالى : (**قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا**) . الزمر/ ٥٣ وقال سبحانه : (**كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم**) .الانعام/ ٥٤

٦ ـ الترغيب والترهيب

ولو تأملنا اسلوب القرآن في الترغيب والترهيب ، لادركنا عظمة ما بين ايدينا من

منهج هو خير المناهج على الاطلاق في التربية ، قال تعالى : (**ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا . وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا أليما**) . الاسراء ٩ ، ١٠ .

ففي هذه الآية الكريمة بيان لهداية القرآن الكريم بالترغيب والترهيب ، فالترغيب ، بوعد الطائعين الحافظين لحدود الله تعالى بعظم الخير ، وتبشيرهم بحسن المثوى ، والترهيب بوعيد المخالفين الذين تعدوا حدود الله ، وانذارهم بشديد العذاب وسوء العاقبة ، ثم ان الوعد بالخير يعم نعم الدنيا والآخرة وسعادتهما ، والوعيد كذلك يشمل نقمهما اوشقاءهما .. فبالوعد ، ساق الطائعين الى الجد في الطاعة ، وبالوعيد ، اوقف العاصين عند حدود الادب .

وقال تعالى ترغيبا في جنس الطاعات : (**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا**) .النور/٥٥

وقال جل شأنه ترغيبا في صالح العمل : (**من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون**) .النحل/٩٧ وقال جل شأنه ترغيبا في التقوى : (**يا أيها الذين أمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم**) .الانفال/ ٢٩ وقال ترغيبا في التمسك بالدين : (**ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) . الاحقاف/١٣ (**ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا**) . مريم/٩٦ (أي يحبهم الله ويحببهم الى خلقه) وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم : « اذا أحب الله عبدا يقول لجبريل عليه السلام : اني احب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء : ان الله احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ، ثم توضع له المحبة في الارض » تلك امثلة مما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة في الترغيب في جنس الطاعات او انواعها او الاخلاق الفاضلة ، سقناها لبيان الاسلوب وسحره الجذاب الذي يولد الدافع النفسي الى الطاعة ، ولنقرأ قول الله تبارك وتعالى ترغيبا في الصدقة : (**من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون**) .البقرة/٢٤٥ وقوله سبحانه : (**مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم**) . البقرة/ ٢٦١ .

اما عن الترهيب الذي جمع القرآن بينه وبين الترغيب لما جبلت عليه النفس البشرية من الرجاء والخوف فان الله تعالى حذر عباده من معصيته بما اعلمهم به من نواميس ربوبيته ، واقامه من سطوات قهره وجبروته ووحدانيته وجعل النفوس المدنسة بالعقائد الفاسدة والاخلاق المذمومة محل سخطه وموضع انتقامه في

الآخرة والاولى ، وهو في كل حال حاكم عادل (**ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون**) . يونس/ ٤٤ قال تعالى : (**ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين**) . النساء/ ١٤ وقال عليه الصلاة والسلام عن عقوق الوالدين : « الا انبئكم بأكبر الكبائر ، الا أنبئكم بأكبر الكبائر ، ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . فقال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين » متفق عليه .

ومن اساليب الترهيب ان يقرر المربي في اذهان الشباب ان تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب ، وان كل ما يصيب العبد من المصائب والبلايا فهو بسبب جناياته التي صدرت منه . فالشباب ـ ونضجه العقلي لم يكتمل بعد ـ قد يتساهل في امر في الآخرة ويستخفه ، ويخاف من عقوبة الله في الدنيا اكثر ، وخاصة انه يخطو خطواته الاولى نحو بناء مستقبله ، فينبغي ان يخوف بعقوبة الله في الدنيا وبأن الذنوب يعجل شؤمها في الدنيا غالبا ، قال تعالى : (**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**) . الروم/ ٤١ وقال جل شأنه : (**ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**) . الاعراف/ ٩٦ . .

وروى الحاكم باسناد صحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » .

٧ ـ دور المسجد

ولست بحاجة الى التنويه بدور المسجد في التربية فان من الامور الحيوية في عصرنا ان يعود المسجد الى سابق عهده مركزا للاشعاع الديني ، ومنتدى للثقافة والتوجيه الروحي ، وان تكون له جاذبيته في نفوس الشباب ، وان توجه دروسه وعظاته نحو تزويدهم بالفضائل الدينية التي تطهر قلوبهم ، وحل مشكلاتهم العاطفية والعقلية ، وتثبيت قلوبهم بالايمان والعقيدة ، وان يجدوا الاجابة الصحيحة الشافية عما يشغلهم من قضايا حياتهم ، ويمكن ان يلحق بمبنى المساجد الرئيسية مؤسسات اجتماعية مختلفة كالمدرسة والمسرح والنادي وقاعة المحاضرات وبعض الانشطة الرياضية والاجتماعية والثقافية .

٨ ـ رعاية اليتيم

اما اليتيم ـ وهو من فقد اباه ولم يبلغ مبلغ الرجال ـ فله شأن اكبر واظهر في الدلالة على عناية الاسلام بتربية النشء ، وتوفير المناخ الصالح لتلك التربية ،

فيقول الله عز وجل : (**ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فاخوانكم**) . البقرة/ ٢٢٠ فالآية الكريمة توجه الوصي على اليتامى الى الاصلاح لهم بالتربية والتهذيب والى حفظ اموالهم وتنميتها ، فهم اخوانه في الدين ، ومن حق الاخ ان يخالط اخاه على الوجه اللائق الذي فيه صلاحه .. كما يوضح القرآن واجب الوصي في المحافظة على مال اليتيم ويحذره من استغلاله ، فيقول تعالى : (**ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده**) .الانعام/ ١٥٢ .

وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على رعاية اليتيم فقال :

● « انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » رواه البخاري ومسلم (واشار بأصبعيه السبابة والوسطى ليدل على انهما قرينان او صنوان) .

● « خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه » رواه ابن ماجه .

هذا الى قول الله لرسوله بعد ان ذكره بفضله عليه حالة يتمه (**فأما اليتيم فلا تقهر**) .الضحى/ ٩ وقد قال الامام محمد عبده رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : لو علم الناس ما في اهمال تربية الايتام من الفساد في الأمة ، لقدروا عناية الله بأمرهم حق قدرها ، ولبذلوا من سعيهم ومن مالهم في اصلاح حال الايتام كل ما استطاعوا ، ولو احس كل واحد بأن الموت قريب منه ، وانه هدف ليناله ، لا يدري متى يأخذه عن ولده ، فيتركه اما غنيا يأكل ماله الاوصياء ، او فقيرا يستذله الادنياء ، لتسابقوا الى تقديم امر اليتيم .

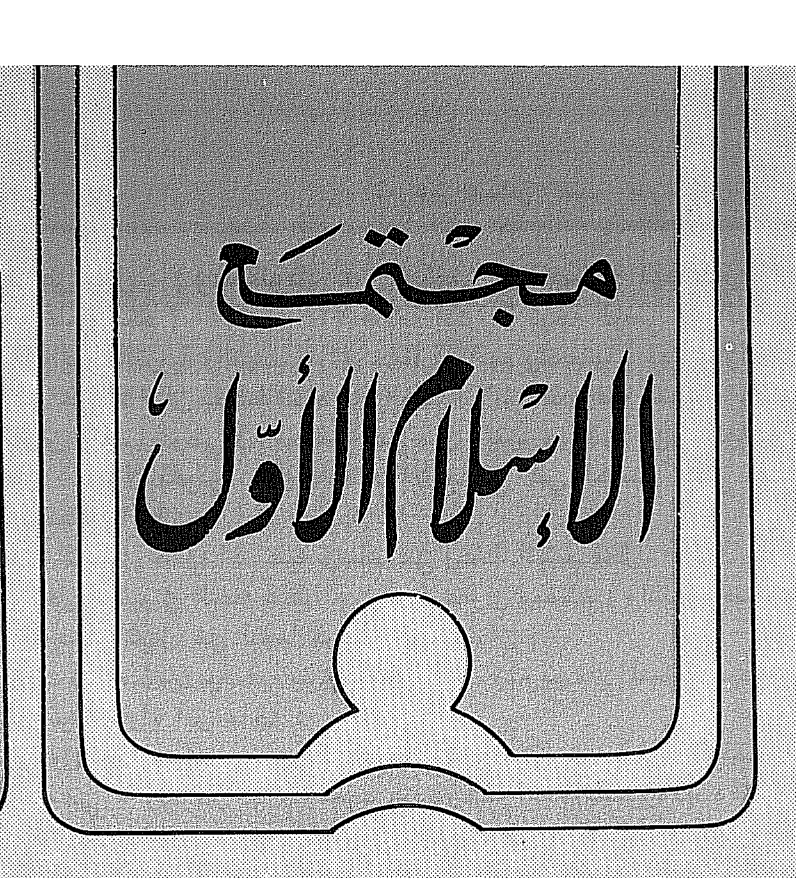
٩ ـ المناخ الديني في البيت والمدرسة

ومن اهم عوامل النجاح في التربية القويمة توفر المناخ والروح الديني ممثلا في صلاح الوالدين والكبار من الاسرة والمربين وقيامهم بفرائض الدين وبعدهم عن المنكرات والآثام ، والتزامهم حدود الفضيلة والأدب ، وتوفيرهم الطمأنينة والرعاية والحنان للصغار ، وتعهدهم بالتعليم وتلقينهم مبادىء الدين في القالب المناسب لنموهم وغرس بذور الاعتقاد والايمان في نفوسهم .

ومن الثابت عمليا ان الطفل الذي ينشأ في بيت متدين يبدأ حياته محصنا من كثير من الامراض السلوكية والفكرية ، ويتميز في مرحلة المراهقة بمجاهدة النفس ، وعدم الاستسلام لشهواتها ونوازعها الضارة .

***

وبعد فسوف يسأل الآباء والمربون عما فعلوا لتربية الابناء ، وهو ما يفهم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ ام ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » . رواه ابن حبان



عندما نقلب صحائف التاريخ ، نجد المجتمعات الانسانية قد تعاقبت عليها عصور شتى من القوة والضعف والهزيمة والنصر والايمان والكفر والتقدم والانحطاط ، وذلك ناموس عام يحكم كل الأمم على مر العصور وكر الدهور . كما يقول الله جل شأنه : **(وتلك الأيام نداولها بين الناس)** آل عمران/١٤٠

أو كما يقول القائل :

هي الحياة كما شاهدتها دول

من سره زمن ساءته أزمان

بيد أننا لو أرسلنا نظرة حصيفة متعقلة متأنية : لتكشفت لنا حقيقة طالما غابت عن الأذهان الشاردة والأفهام القاصرة وهي : أن الله تعالى يعامل الناس وفق قانون إلهي ملزم شامل بلا محاباة أو مجاملة . وهذا القانون هو ما أفصح عنه القرآن في بيان شاف :

(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال) الرعد/١١ .

إن تاريخ البشرية على مسرح الحياة مؤسف ، وصلتها بالله رب العالمين تحكي طابع الجحود والنكران لخالق السموات وفاطر الأرضين ،، فلقد ظلت آمادا متلاحقة متواصلة ، تصافح الشرك وتواكب مسيرته ، بل إنها دقت له في أرضها أطنابا ، شيد عليها قلاعه ، ومكن بها حصونه ، وأصبحت دساتيره الهمجية ــ وهي من صنع الشيطان وسبكه ــ مهيمنة مسيطرة ، لها الغلبة والنفاذ ، في دنيا اعتركت فيها الأهواء الرخيصة ، واصطرعت الرغائب الحمقاء ، حتى طفحت بكل ما هو خسيس محقور .



(قال فبما أغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) الاعراف/١٦ و١٧ .

إن الانسانية منذ أن عصى آدم ربه — بعد أن وسوس إليه الشيطان — وهي تجني ثماراً مرة ، وتعاني من الويلات والشرور ، ما جعل كاهلها ينوء ، وظهرها يكاد ينقصم ، في تطاحن مسعور ، وتنابذ بالعداء ، واهدار للقيم ، ومحو للفضائل . والأمر يزيد استفحالا وضراوة ، عندما تتبدى الدنيا لهؤلاء المخدوعين الأغرار ، في تزاويقها الخبيثة الماكرة ، وصورها الفاتنة الخالبة ، فاذا بهم يصبحون ضحايا اللذات ، وصرعى الشهوات . وإن ربك لا يظلم الناس شيئا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون ، فعندما تتمرد الأمة على ربها ، وتشيح بوجهها عن شرعه ، وتسلم قيادها للشيطان ، وتعيث في الأرض فسادا . عندما تتقطع الروابط بين السماء والأرض ، ويظلم قلب الانسان من حقيقة الايمان ، وتنهار المبادىء ، وتتحطم مقاييس الاخلاق ، وينطلق كل عابث الى غايته ، تسوقه رغبة دنيئة ، ويحفزه هوى ماجن . عندما يشمخ الباطل بأنفه ، وتنتفخ أوداجه ، ويرتدي غير ثيابه ، وينتفش ريشه ، ويتصور أن له قدرة على صرع الحق ،وتبديد نوره ، وسحق طلائعه . عندما يتلقى الدعاة والمصلحون — في كل عصر وجيل — الصفعات تكال لهم من أقوامهم ،

ويتجرعـــون كؤوس السخريـــة والنكال ، ويذوقون مرارة التعذيـب والتشريد ـ بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله . عندما يستعصي الداء ، ويعز الدواء ، وينقطع الرجاء ، ويتبدد كل أمل في الشفاء ، ويتسع الخرق على الراقع ، عند ذلك كله لن يكون . إلا الكي . وهو آخر الادواء (**وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد . إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له النــــاس وذلك يوم مشهود**) هود/١٠٢ و ١٠٣

حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) يوسف/ ١١٠ .

إن الرومـــان والفـــرس ، ظلـــوا يحكمون العالم فتـــرات سحيقـــة ، وكانت لهم حضارات باذخة ، وقوة مؤثلة ، وأنشطة متدفقة . ثم بدأت الفتن الناعمة تتراقص لهم ، وعوامل الترف تمزق كيانهم ، فذابوا في فجور آثم عربيد ، وصفــرت أيديهـــم من المثاليات الرفيعة ، وضحلت قلوبهم من العقائد السليمة ، وتصوروا ــ كذباً وغرورا ــ أن الدنيا قد دانت لهـــم ، وأصبحـت طوع بنانهـــم ، ففرضـــوا على الشعـــوب سيطـــرة غاشمـــة ، وساموهـــا الخســـف والاضطهاد ، وما زالوا في ضلالهم سادرين ، وفي غيهم متخبطين ، حتى جاءهم أمر الله ، وكان للمقادير منهم موقـــف عنيـــد ، فدكت معاقلهـــم ، وأطاحت بكبريائهم ، ومرغتهـــم في أوحال الذلة والهـــوان والصغـــار ، وجعلتهم أثرا بعد عين ، فصـــاروا خبرا يتلى ، وقصة تحكى وتروى : (**حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهـــارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغـــن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون**) يونس / ٢٤ .

إن طلائـــع البعـــث المحمـــدي الزاحفة ، ومواكبـــه الظافـــرة ، قد تقدمت الى هذا الاسد الـــذي شاخ وترهلت قواه ، فأجلته عن مكانه ، وأقصتـــه عن عرشه ،ووجهـــت الى صدره رماحا مسددة نافذة ، اردته صريعا مجدلا تحت سنابك الحق ، ثم طاردت فلوله المدحورة حتى تواروا في آفاق المجهول الغامض ، واكتنفتهم أستار النسيان البعيد . لقد برز إلى الوجود هذا المجتمع ، الذي شاءت إرادة الله أن يحمل إلى الناس شريعة السماء الأخيرة في قاموس الرسالات الالهية ، وأن يكون نبيه الجليل ، صلوات الله وسلامـــه عليـــه ربـــان السفينة الماهر ، وحـــاوى القافلـــة النجيب ، والرائد الذي لا يغش ولا يكذب .

ترى كم أعطى محمد للحيـــاة ؟ وكيف ساس هذا المجتمع وصقلـــه وربي فيه مشاعر وأحاسيس غدت أسطورة في دنيا الحقائق ، وحقيقة في عالم الأساطير ؟؟ إن الحياة عنـــد محمد ميدان عمل ، ومعترك جهاد ، ومدرسة تغرس فيها بذور الايمـــان بالله ، والحـــب له ، والطاعـــة من

أجله . فهي ليست ألغازا مبهمة ، ولا أسرارا مستعصية ، يتهيبها الانسان ، ثم يروح عنها في شرود وخمول ، كما صنع ويصنع أولئك المتشائمون الانطوائيون .

... وهي كذلك لم تخلق عبثا ، ولم يجعلها ربك مسرحا للفوضى ، تمارس فيها اللذات ، وترتكب المحرمات ، ويصبح الانسان فيها كالحيوان لا هم له الا الأكل والشرب والسفاد .

تعالى ربنا أن يخلق دنيانا على صورة كهذه مهينة مقززة ، تغشاها الهمجية وتحكمها شريعة الغاب : **(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم)** المؤمنون/ ١١٥ و١١٦ لقد فتح محمد للحياة قلبه ، ونفخ فيها من روحه العالية المتوثبة ، فأحيا مواتها ، وأعطاها من وقته ما أصلح به فسادها ، وقوم معوجها ، ولكأني أنظرها وقد تحولت بين يدي محمد : إلى محراب للعبادة والعمل والنشاط والسعي الدءوب . وما بالك برجل يجعل كل خوالجه وأنفاسه وروحاته وغدواته وصلاته وعبادته ، بل حياته كلها لله ، يرصدها في سبيل طاعته ، ويحبسها على رضاه : **(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)** الانعام/١٦٢و١٦٣ . لقد رفع محمد راية التوحيد عالية خفاقة ، ووطىء بحقيقة الايمان أنوف الكبراء وغطرستهم ، ويدد أحلامهم الخاوية ، وكشف القناع عن أكاذيبهم ، فاذا هم يبدون أمام الناس بواقعهم الكليل : **(لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا)** الفرقان/٣ . إن مجتمع الاسلام الاول في أزهى عصوره ، ما كان يعرف التواكل أو الضعف ، أو الخنوع والعجز ، وإنما كان ينشط للمكرمات ، ويمضي للأمجاد واثق الخطى ، مؤيدا بعزم لا يلين ، ومسددا بتوفيق الله القوي المتين ، ولقد كان أفراده النابهون يدركون أن زعامة العالم وريادته قد آلت إليهم ،وكانوا يدركون كذلك أن لواء المسيرة قد رشحتهم الاقدار — عن جدارة واستحقاق — ليحملوه ، ويقودوا البشرية جمعاء في ظلاله ، وقد تم لهم ذلك منذ أن قال الله يخاطبهم في إعزاز وتكريم : **(كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** آل عمران/١١٠ .

ومن ثم كانت هذه الانطلاقة الرائدة ، والقفزة المجيدة لاتباع محمد عليه الصلاة والسلام ، وتحول مجتمعهم الى طاقات من العمل والسعي والنشاط والحركة والابداع في سبيل الله ورسوله لقد آمن القوم : أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده ، وأنه عز وجل يمكن منها من خافه واتقاه ، ويجعلها هبة لمن يسخرها في طاعته وإمضاء كلمته ، إنه يطوعها لمن يرسون قوانين العدالة ، ويشيدون صروح الاخلاق ،

ويحرسون القيم ويذودون عن ساحة الفضائل ، ويحمون بيضة المقدسات ، ويذبون عن الشرف وكرامة الانسان .

أما الطغاة الفجرة الذين لا خلاق لهم ، ومن يفقدون الحياة معناها الراقي الممتاز ، ويتطاولون على عباد الله ، وينصبون أنفسهم أربابا وآلهة ، أما المستهترون الهائمون على وجوههم وراء كل لذة ، واللاهثون ركضا لاقتناص كل شهوة ، والمفلسون في عالم المبادىء ، ومن لا رصيد لهم في موازين الخير ، أما من يتنكرون للعقائد ، ويتجهمون للشرائع ، ويصمون آذانهم عن صوت السماء ، ويعبدون هواهم من دون الله ، تمردا عليه وجحودا لرسالاته . أما هؤلاء جميعا : فان الله سيزوي الأرض عنهم ، ويجعلها تهتز تحت أقدامهم ، ومهما ساحوا فيها وانداحوا ، واغترفوا من نعيمها ، وعبوا من شهواتها ومغرياتها .. فان امر الله آت لا ريب فيه : (**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون . إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين**) الأنبياء/١٠٥ و ١٠٦ .

(**لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد . متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد**) آل عمران/١٩٦ و ١٩٧ .

إن أبناء الاسلام في مجتمع التوحيد : قاموا بحق الخلافة عن الله في أرضه خير قيام وأبره ، فأصلحوها بعد ما عم الفساد وطم ، وشمل القاصي والداني ، ونفضوا عن الانسان أوضار قرون خلت ، وأعادوا إليه أعتباره الذاتي ، وردوا إليه كرامته المهدورة . فاذا به كائن حضاري له ميلاد جديد ومكان مرموق . إنهم ما كانوا يعرفون التحيز أو التسلط ، أو العنجهية الخرقاء ، وعندما كانوا ينساحون في الأرض ، ما كانوا يحملون معهم الخراب والدمار ، كما يفعل اليوم دعاة الحضارات الكاذبة والمدنيات المفلسة في كل بقعة يطأونها ، وإنما العلم يسير في ركابهم ، والنور ينبعث من صدورهم ، وتقوى الله عز وجل تفيض من حناياهم ، ومقاومة الظلم تتحرك بها جوارحهم ، فحيثما حلوا صدعوا بكلمة الحق ، لا يرهبون بطشا ، ولا يهابون سلطانا ، ولا يخشون سطوة أحد مهما كان . فانهم سمعوا من نبيهم الجليل : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » رواه مسلم . إنهم قوم أيجابيون يتحركون بالحياة ، وينهضون بها ، ويصقلونها بقيمهم الحية ، ومبادئهم النظيفة ، ويجعلون لها معنى نبيلا تتقدم به وتزدهر ، وقد كانت قبلهم خلوا من هذا كله ، ضياعا وتمزقا وشرودا وسقوطا مهينا في حمأة الرذيلة . إن الله جلت قدرته ، عندما أراد بالانسانية خيرا ، أوفد اليها هذا الجمع الكريم من تلامذة ، محمد بن عبد الله ، وقد رباهم نبيهم على الطهر ، ونشأهم على الحب والود ، وأرضعهم من لبان المروءة والشجاعة ، وغذاهم بما يفتق

عقولهم ، ويجلو بصائرهم ويحفزهم الى السبق ، ويثير عندهم الشوق الى محامد الامور : **(يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)** يونس/٥٧ و ٥٨ .

إن التمكين في الأرض لا يكون وليد مصادفة عمياء ، كما أنه لا يدرك بالتمني والاحلام الوردية المعسولة ، إنه نتيجة الصبر والجلد ومصارعة الاهواء ومكابدة الاهوال واقتحام الخطوب ثم مواجهة الظلم والقضاء عليه في أوكاره :

لا تحسبن المجد زقا وقينة
فما المجد الا السيف والفتكة البكر

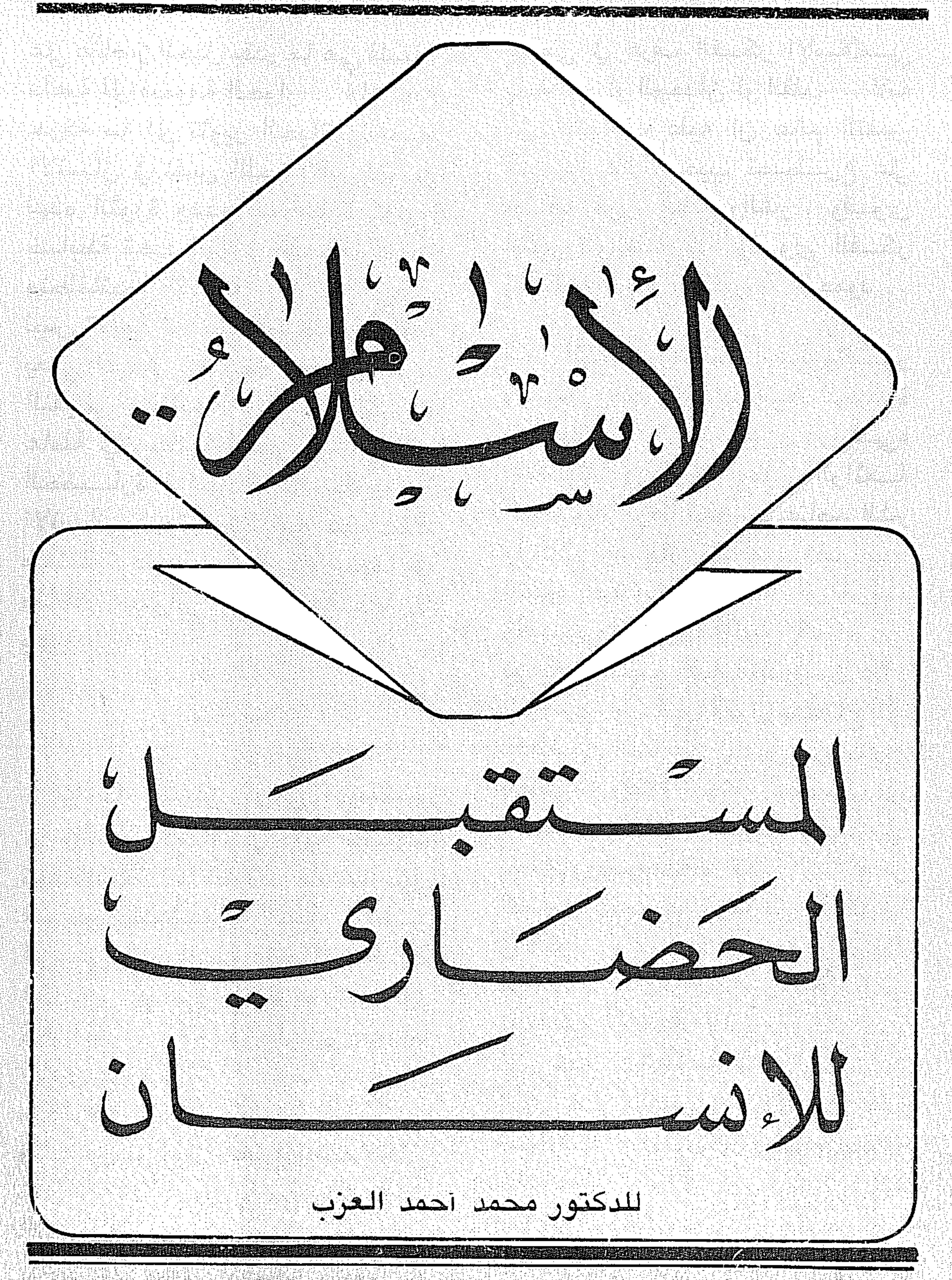
والله تعالى عندما أعطى التمكين لاصحاب محمد واتباعه ، وهيأ لهم أسبابه ، وسخر لهم نواميسه ، فقد كان يعلم أنهم أهل لهذا ، قضاء عزيمة ، وقوة إرادة ، وصفاء نفس ، وطهارة قلب ، فليس الأمر محاباة أو مجاملة . إنه مكنهم ، لأنه – جل وعلا – رآهم أولى الأمم بالتمكين والتفوق والسيادة . ومن العبث أن يدخل الانسان حلبة السباق وهو يوقن أنه سيخسر الرهان . إن هذا النوع ، من النزق الطائش ، والاندفاع المقوت :

يا باري القوس بريا ليس يحسنه
لاتظلم القوس أعط القوس باريها

وعندما يلقي الله مقاليد الأمور على آمة ، ويجعلها في وضع القيادة والرئاسة ، ويهيىء لها منزلة محترمة بين العالمين . فلا بد من دفع ضريبة على هذه النعمة الكبرى ، لا بد من أخذ العهد والميثاق عليها ، أن تقوم بما عهد به اليها خير قيام ، وان تؤديه على الوجه الأكمل ، وان تنهض بحمل المسئولية في مثابرة وتفان ، وبر ومرحمة ، لتسود شريعة الله وتعلو كلمته ، ويعيش الناس على موائد فضله ، فيعرفوا النعمة ويقوموا بشكرها . إنها ان لم تفعل ذلك ، فقد خانت الأمانة ، وأصبحت غير أهل لتكريم الله ، وليس هناك من حرج في سلب السلطان عنها ، ونزع السيادة من بين يديها ، حيث أصبحت غير جديرة بها ولا مأمونة عليها .وعندما خاس بنو إسرائيل بعهد الله ، ونقضوا ذمته ، وقد كانت الأقدار منحتهم أسباب القوة وسطوة النفوذ وبواعث الغلبة ، بل إنهم فضلوا على العالمين . **(ولقد أتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين)** الجاثية/١٦ . عندما قلبوا لشريعة السماء ظهر المجن ، وصعروا وجوههم ، وأبطرتهم النعمة ، فجحدوها وعبثوا بها ، وتسلطت عليهم النعرة النكراء ، وسرت في أوصالهم أكذوبة التفوق العنصري ، وتغلغلت في أعماقهم النزعة المادية الشرسة ، فأزهقوا الارواح ، وسفكوا الدماء ، بل امتدت أيدي الاجرام منهم إلى الانبياء قتلا وتعذيبا . حينئذ ، وبعد ان بلغ السيل

الزبى ، وجاوز الظالمون المدى ، وخان بنو أسرائيل الأمانة ، وناءوا بحملها . كان لا بد للأقدار أن تقف منهم موقفا حاسما ، فتستأصل شأفتهم ، وتنكس أعلامهم ، وتدمدم عليهم بذنبهم ، وتذيقهم الذلة والهوان والصغار والتشريد ، على أيدي عباد لله أولى بأس شديد : (**وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا**) الاسراء/٤ و ٥ . هكذا يكون الجزاء العادل ، والعقاب الرادع ، لكل من انحرف بالأمانة عن صراطها السوي ، وسار بها في غير دروبها ، فأوردته المهالك ، وجشمته المزالق . على ان المسلمين عندما وقع عليهم الاختيار ليحملوا اللواء ، ويتزعموا البشرية ويسودوها ، كانوا فاقهين لهذا المعنى الراشد ، مدركين لمتطلباته ، فمضوا في الطريق الجريء ، ينفذون ما نيط بهم ، ويضطلعون بالدور المسند اليهم ، ويضيئون للعالم الحائر المضطرب المفزع مصابيح الهداية ومشاعل المعرفة . بل إنهم هيأوا للانسانية جوا طهورا ، ازدهرت فيه القيم وانتعشت ، ومنحوها طاقات وثابة من الحركة والحياة ، في ظلال من العدالة الوارفة ، وتحت ألوية من الاستقامة العابدة .

قال تعالى : (**الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**) الحج/٤١ . إن صمام الأمن في المجتمعات ، وبواعث القرار فيها ، تزيد وتربو عندما تكون الصلة بالله متينة ، والطاعة له عز وجل مبذولة ، والصلة بالله والطاعة له والرغبة فيه تحجز صاحبها عن السقوط ، وتباعد بينه وبين الغرور . وضل قوم حسبوا أن الدنيا تواتيهم وهم بعيدون عن ربهم ، معرضون عن شرعه ، ينابذونه بالعداء ، ويظهرون له الصد والتكذيب . (**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون . أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون . أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون . أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون**) الأعراف/٩٦ ــ ٩٩ . ما أجمل القيم التي توجه مسار المجتمع إذا تفجرت ينابيعها من هداية الله ، وكانت موصولة الأسباب بوحي السماء . إنها تغدو الحارس الأمين الذي يحفظه من العثار ويصونه من المزالق ، ويقيمه على الطريق آمنا مطمئنا . وتلك بعينها القيم التي حكمت مجتمع التوحيد في مدرسة النبوة ، وصبغت اتجاهاته ، وجعلت منه مثالا فريدا ومعجزا بين أمم الأرض قاطبة : (**والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم**) النور/٤٦ .



- ١ -

اذا كانت الحركة الاسلامية تمثل دعوة هائلة الى الثورة والحضارة ، فانها في الوقت نفسه تمثل د... كابحة ضد الفوضى والانفلا... وليست هذه الوضعية مصادرة تقضي

على عناصر الجدل بقدر ما هي فلسفة داعية الى ديمومة الحوار .. فان تدع حركة ما الى تثوير الحياة وتحضير الانسان في نفس اللحظة التى تضع لهذه الثورة وهذه الحضارة كوابح ضابطة تحدد للثورة وللحضارة معا منطلقاتهما النظيفة ، فان هذا يعني ليس تجميد النقيض بنقيضه ، وانما يعني اشعال قضية الجدل بين النقيض والنقيض ، فتبقى الثورة عاملة في مجالها الحيوي ، وتبقى الحضارة فاعلة في مناخها الأنساني ، وتبقى كوابح هذه وتلك مستنفرة دائما لوضع كل منهما في مناطه الصوابي المعقول الذي لا يجور !!

ـ ٢ ـ

واحياء مناطق الوعي الأيماني وفلسفة الاسلام في حربه الضارية ضد الفوضى والانفلات ناهضة على أساسين متكاملين : احياء مناطق الوعي الايماني داخل مملكة الذات .. وتعميق الالتزام السلوكي الضابط لحركة هذه الذات في وجودها المادي في الحياة .. وهما أساسان متكاملان لأنهما لا يرتطمان أبدا ، ولابد من توافق الايقاع بينهما حتى تظل الحياة الانسانية سائرة في طريق التعادل الوجودي الذي لا يطغي فيه جانب على جانب فيصيبه بالدمار أو حتى بمجرد الضمور .

داخل مملكة الذات يتم في اطار ما يسمى في عرف الفكر الأسلامي بالضمير أو الوجدان أو القلب .. لأنه من المتعارف عليه أن عالم النفس البشرية عالم رحيب تصطرع على جنباته قوى الخير والشر ، وقوى النور والظلام ، وقوى الفكر والبطش ، وقوى الحركة والجمود ..

فاذا انتصرت عناصر الخير والنور والفكر والحركة فقد أتيح للحياة الأنسانية أن تتحسس مواطىء أقدامها على طريق الحياة الرائعة السديدة .. واذا انتصرت عناصر الشر والظلام والبطش والجمود فقد تحدد اتجاه الحياة الأنسانية الى الزواء والجدب والأفول .. وليس الحكم على نوعية ما تجنح اليه النفس من عالم الخصب أو عالم الأفول بمحتاج الى مقاييس وافدة على النفس من خارج النفس ، ولكنه محتاج فحسب الى الأصاخة الفاهمة لصوت الطبيعة في نقائه ووضوحه ، فان استشعر الأنسان لفعل ما نوعا من التجاوب والأشراق والحب كان فعلا راشدا مسددا .. واذا استشعر لفعل آخر نوعا من التضاد والغيم والكراهية كان فعلا هابطا وبيلا .. وقد سلط النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الحقيقة النفسية الغائرة ضوءا كاشفا في كلماته الملهمة : « اذا ساءتك سيئتك ، وسرتك حسنتك ، فأنت مؤمن » رواه احمد .. أي انك تصل الى حقيقة الشخصية المؤمنة حين يضيء داخلك بلمسة هذا الوعي الأيماني الشفاف الذي يهفو الى الخير

ويتنافر مع الشر .. ولعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يستهدي حكمة القرآن في هذا الصدد : (**لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة**) القيامة/ ١ ، ٢ لأن النفس اللوامة هي النفس القابضة على ضميرها الحي ، العارجة الى المعنى من خلال لقائها به أو نفارها منه .

ـ ٣ ـ

والفوضى ليست مجرد الاباق والشرود والخبط وغير أولئك من معاني التمرد والجموح .. ولكنها قد تكون نوعا من التسيب الأخلاقي ، والانهيار النفسي ، والتميع السلوكي .. أي ان الفوضى قد تكون معنى من معاني الأيجاب القادر على التحطيم والتخريب ، وقد تكون معنى من معاني السلب غير القادر الا على التمزق والانحلال .. وقد ضوأ الأسلام هذين المعنيين بالترشيد مرة وبالتقبيح مرة اخرى : (**يأيتها النفس المطمئنة . ارجعي الى ربك راضية مرضية . فأدخلي في عبادي وادخلي جنتي**) ، الفجر /٢٧ ـ ٣٠ (**وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا**)النساء /٩ ، (**عليكم بالصدق ، فأن الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ،**

وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، واياكم والكذب ، فان الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجور يهدي الى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا) رواه البخاري ومسلم والترمذي (**البر ما سكنت اليه النفس واطمأن اليه القلب ، والاثم ما لم تسكن اليه النفس ولم يطمئن اليه القلب**) رواه احمد (**انما أنا بشر ، وانه تختصمون الى ، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها**) رواه احمد .

والاسلام حين يضويء معاني الخير النفسي ومعاني الشر النفسي انما يفعل ذلك لتكون حركة الضمير حيال كل منهما قائمة على وعي كامل بمقابح هذا ومفاتن ذاك .. ولتظل حركة الضمير هذه عاملة في مجال تقييم الخير والشر على ضوء من وعيها الأيماني بمطلق الخيرية في أحدهما ومطلق الشرية في أحدهما الآخر !!

ـ ٤ ـ

والانفلات كذلك ليس مجرد التحلل من قيد القيمة ، ولكنه قد يكون تحديا للآخرين أو تعديا على الآخرين ، ومنطق الأسلام في مجابهة هذا الانفلات ينبعث من مطلق التزام انسانه حيال الآخر بلا حدود ، فهو

مسئول عن ضلاله ورشده ، وهو مسئول عن بنائه وهدمه ، وهو مسئول عن تطوره وجموده ، وهو مسئول عن وفرته وجوعه ، أي انه مسئول عن تأمين الآخر ضد الضياع والأهدار ، فاذا كان ذلك كذلك ، فان قضية التحدي له أو التعدي عليه تكون تجاوزا ليس لمنطق الالتزام فحسب ، وانما لمنطق فهم القضية الأيمانية بكاملها ، والخروج من دوائر الطاعة الى دوائر العصيان .

ولا يطعن في صحة هذه المقولات أن الانسان المسلم مطالب بقتال الآخرين الذين يتصدون بالكفر للأيمان بكل ما يعنيه القتال من حصار ومخاشنة وازهاق ، فان الفعل المسلم في هذا الصدد ينطلق أساسا من الخيرية المقصودة للآخر بتطويعه لقيم الأيمان التي يصير بها ما هو وما ينبغي أن يكون ، لا أن يترك لضلاله فيحرف انسانيته عن طبيعتها ويصير بهذا التشويه غير ما هو وغير ما ينبغي أن يكون .. ومن هنا يكون السيف المرفوع في وجهه عاصما له من التدلي الى دونية فاجعة ينزل بها عن انسانيته الى مهابط التشويه !!

ـ ٥ ـ

واذا كان احياء مناطق الوعي الأيماني داخل ممالك الذات قضية أساسية في توجيه الفكر الديني في الأسلام ، فان هذا الأحياء لا يتوجه الى فراغ تجريدي ، ولكنه يتوجه الى الواقع المادي الذي يباشره الأنسان في سعيه الكادح على الأرض ، وفي علاقاته المتشابكة التى تنتظمها حركة الاجتماع الأنساني ، حتى يكون لقاء المسلم بالواقع المادي لقاء تصعيد وترشيد ، تعمل القيمة فيه عملها الدائب على ربط المادة بالروح ، والأرض بالسماء ، والأنسان بالله .. فاذا تحققت هذه الفرضية المقصودة للدين ، كانت الحياة نوعا من الحلول الفاضل على الأرض ، ونوعا آخر من النزوع الأفضل الى السماء .

يؤكد هذه الفرضية أن تقييم الأسلام للضمير يبدأ من تحديده كنوع من العلاقة الحميمة بين الأنسان والله ، ويستطرد ليصيره نوعا من العلاقة الحميمة بين الأنسان والاجتماع ، بكل ما يعنيه الاجتماع من جوانب سياسية ، واقتصادية ، وعلمية ، وأخلاقية ، وسلوكية .. وبهذا يصير الضمير من الوجهة الأسلامية ـ اذا جاز أن يقال ـ ضميرا دينيا ، وضميرا اجتماعيا ، وضميرا سياسيا ، وضميرا اقتصاديا ، وضميرا علميا ، وضميرا أخلاقيا ، وضميرا سلوكيا .. وان كان في النهاية ليس سوى ضمير واحد هو الضمير المسلم بكل ما يشعه هذا الضمير المسلم من زوايا ضوئية في منادح الدين والاجتماع والسياسة والاقتصاد والعلم والأخلاق والسلوك .

ان الضمير الديني يتمثل في استشعار الحضور الألهى في الكون الذاتي للانسان والكون الموضوعي

للحياة وما بعد الحياة .. وفي استشعار معنى صدور الوجود الأنساني عن الله ووجوب فنائه في الله .. وفي استشعار حقيقة الخلافة لله في الأرض ، والمخلوقية على مثال الله وصورته ، وضرورة الارتفاع بالفعل الأنساني اللائق صدوره عن مخلوق هذه وضعيته الخلقية والوجودية !!

ويتمثل الضمير الاجتماعي في خيرية العلاقات الحياتية ونظافتها ، ونأيها نايا كاملا عن انحدارات الغش والكذب والافتيات والقبح والترخص والانحراف والقسوة والتشويه والأنانية والحقد وضمور المشاعر البيضاء !!

ويتمثل الضمير السياسي في عدالة الحكم ، ونزاهة القضاء ، وأمانة الشعار ، والوعي بهموم الأمة ، والطموح الى مزيد من انتصار الراية المسلمة ، والعمل البصير في مجال العلاقات الدولية من خلال رؤية اسلامية جسورة !!

ويتمثل الضمير الاقتصادي في سياسة المال ، واعلاء معنى التبادل ، واشاعة العدل في التوزيع ، وتوفير الحاجة الضرورية ، وتأمين العجز ، وتوظيف الطاقة في خدمة الجماهير !!

ويتمثل الضمير العلمي في أمانة الكلمة ، ونظافة القصد ، ومد جسور الحركة العلمية للأجيال ، وانماء روح البحث المجرد والملتزم ، ونشدان عالم جديد يشيع فيه الفكر وتختفي فيه الخرافة !!

ويتمثل الضمير الأخلاقي في اشعاع معاني الحب والطهارة والالتزام والرحمة والدماثة والموادعة والتكافل والود والترفع والجمال !!

ويتمثل الضمير السلوكي في استشفاف هذه المعاني جميعها واسقاطها على الواقع المادي المعاش ، وتحريكها من مجرد كونها قيما جمالية رائعة الى حقيقة كونها سلوكا انسانيا ممارسا بين الجموع !!

— ٦ —

وللاسلام في حفاظه على قيم الضمير ببعديها : (الأيماني والسلوكي) فلسفته الخاصة التى يقيمها على مستويات متعددة تفضي في النهاية الى تكامل شامل يشكل نظرية واضحة التخوم والقسمات ، ويجعل من العالم كله مجالا لفعل هذه القيم : فالمساحة الزمانية اطار هذا الفعل .. والمساحة المكانية مجال حركة هذا الفعل .. والمساحة النفسية احتمال تغاير هذا الفعل .. والمساحة السلوكية مناط تحقق هذا الفعل . وكل أولئك يفضي بعضه الى بعض في تناغم هادىء وأيقاع وثير .

ولعل حديث النبي صلى الله عليه وسلم : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » رواه احمد والترمذي والحاكم .. يوجز أو يجسد هذه الفلسفة الأسلامية الشاملة في أروع أتساقها .. فالمسلم مطالب بيقظة الضمير (التقوى) حيثما كان

في الزمان : أي في الزمـن الماضي والحاضر والمستقبل .. وحيثما كان في المكان : أي حالا أو مقيما أو حاضرا أو باديا أو متخفيا أو سافرا وحيث ما كان الاحساس النفسي أي في حالة الغيم والأشراق والقناعـة والتمرد .. وحيثما كان في السلوك : أي قاصدا أو جانحا أو حائرا بين نوازع القصد والجنوح .. والمسلـم مطالب بمواجهة الطبيعة وقهرها على ارادة الخير وتعقب كل سيئة بحسنة تمحو ظلامهـا المادي والمعنـوي ، وليست مواجهة الطبيعة هنا محاولة لكسر أصولها في النفس ، فان هذا المنزع فوق كونه قسوة بلا تبرير يبدو مصادما لطبائع الأشياء ، ولكنهـا مواجهة رفيقة حانية تتسلل الى اطواء الطبيعة في حكمة ووعي باقرارها على نازع القصاص أول الأمر : (**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**) .. ثم بمحاولـة قيادة هذه الطبيعة الى أفق أعلى من أفق القصاص وهو أفق الأحسان : (**ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**) .. والمسلم مطالب بالسلوك المثالي الذي هو المعطي النهائي لكل قيم الحق والخير والجمال ، والسلـوك المثالي يعمل بالأيجاب والسلب معا ، هو يعمل بالأيجاب حين يدعـو الى احتذائه كنموذج ، وهو يعمل بالسلب حين يشع من ذاته على الآخرين ، وهكذا كان كل الأنبياء والرسل ، كانوا يقيمون من أنفسهم نماذج حية للسلوك المثالي ، وكانوا يشعون على من حولهم من طبيعة سلوكهم الفاضل ضوء الحركة وعبير الالتزام .

واذن ففلسفة الأسلام في حفاظه على قيم الضمير ببعديها : الأيماني والسلوكي ، تعمل على مستوى الأطار الزماني والمجال المكاني والاحتمال النفسي والنمط السلوكي ، فتتغطـى بكل هذا الشمـول كل الظاهـــرة الأنسانية في ترددها بـين كل هذه التضـــاريس الهائلـــة الأبعـــاد والأعماق !!

٧

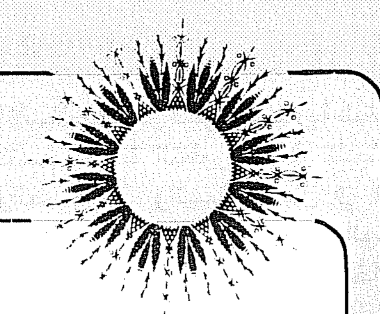
وحين نتساءل : لماذا يبذل الأسلام كل هذه المعانـاة ضد الانفـــلات والفوضى ، تجبهنا على الفور حقيقة أن الحياة لا يمكن أن تطرد على قانون الصواب اذا هي تخلت عن منهج العدل والالتزام ، والعدل هو استواء العلاقة بـين الأشيـاء والاحيـاء ، والالتزام هو وضع أمواج الحـركة الماديـة والروحيـة للانســان بـين شواطيء الأرقى والأنفع .. أي ان (الوسطية) هي منطق الصواب في منهـج الأسـلام ، وحيـــث تكون الوسطيـة يكون الزمـان الكونـي للانسان موجها الى العمل والجمام ، والى التأمل والكدح ، والى الفـرح والتفكر .. وحيث تكون الوسطيـة تكون الطاقة الأنسانية موجهة الى المادة والروح ، والى الذات والجمع ، والى القبض والانبساط .. وحيـث تكون الوسطية يكون الفهم الراشد موجهـا لاحتـواء قضايـا الديـن

والدنيا ، فالصلاة عبادة ونمط تربوي ، والصوم أمانة وتثقيف اجتماعي ، والزكاة تطهير وحركة اصلاحية ، والحج فريضة ووعي بواقع الشعوب .. ولكن الوسطية لا تعني التذبذب العائم المتردد على هوامش الأشياء ، بل هي تعني المحور الذي يحرك كل الأشياء في اتجاهها الصوابي غير فاقد قدرته على دفع هذه الحركة بلا ملال .. ان كون الاسلام وسطا لا يعني أنه متردد بين الاشتراكية والرأسمالية كما يقال دائما بغباء رهيب ، لأن الأسلام فلسفة عامة تصدر عن منطق الهى شامل يقف من الكون والحياة والطبيعة والأنسان موقف المحور المحرك ـ وهذا معنى الوسطية الأسلامية ـ لا موقف الحائر المتردد بين هذه وتلك من المقولات الوضعية القابلة دائما للسقوط .. والقرآن يحدد هذا المعنى بما لا يقبل الخلاف : **(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)** البقرة/ ١٤٣ ، ان الوسطية هنا مفهومة في ضوء وضعية المسلم من حيث كونه شاهدا على الناس ، والشهادة تعني أنه نموذج يقترب منه الآخرون ويبتعدون فيشهد أن هذا قريب من المستوى المطلوب وأن هذا بعيد منه ، لأنه الوسط المكين الشاهد على الناس !!

ـ ٨ ـ

نخلص من ذلك كله الى أن الحركة الأسلامية تمثل دعوة حضارية شاملة تتسم بقيادة التطور في كل البيئات والعصور .. وأنها تعمل في هذا المجال من خلال بعث مناطق الوعي الأيماني داخل ممالك الذات وخارج ممالك الذات .. وأنها من هذا المنطلق تشكل تحديا شاملا لمنطق الانفلات والفوضى .. وأن توجهها مسدد منذ البدء الى واقع الجدل الحياتي وليس الى فراغ التجريد .. وأن قيمة الضمير تبدأ من تحديده كنوع من العلاقة بين الأنسان والله وتستطرد لتصير نوعا من العلاقة بين الأنسان والاجتماع .. وأن فلسفة الأسلام في حفاظه على قيم الضمير تعمل في مستويات الزمان والمكان والنفس والسلوك .. وأن بذل الأسلام في هذا الصدد ينبع من قاعدة أن قانون الحياة مرتبط بمنهج الالتزام والعدل المسمى في الأسلام بقانون الوسطية الفاعلة .

وهكذا تبدو فلسفة الأسلام في هذا المجال فلسفة شمولية متكاملة ، تضيء جوانب الظاهرة الدينية والحياتية والأنسانية ، وترسل من شعاعها الهادي ـ على تعاقب الأجيال والأعصار ـ أروع قيم الحق والخير والجمال ، وستظل دائما قادرة على الأشعاع والتأصيل ووضع الأنسان المسلم في قيادة التطور الحضاري ، ان هو فهم عن اسلامه ، وحاول أن يجعل من مقولاته واقعا متحركا يمشي على الأرض ويعايش حركة الملايين !!



قرن جديد

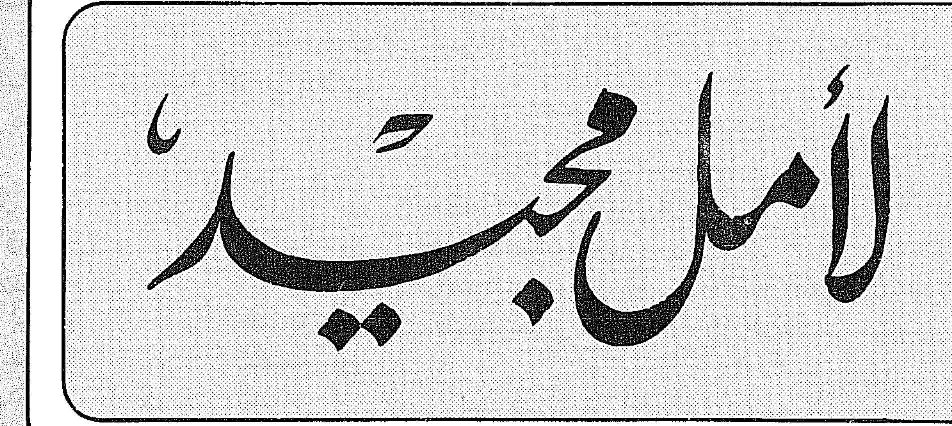
يظلنا ـ نحن المسلمين ـ قرن جديد ـ ينبثق معه من ضمير الحر أمل وليد ، أمل يتجاوز الحدود والقيود والسدود ، مخلفا وراءه قرنا مضى بما حوى من دموع وشموع ، وأتراح وأفراح ، ونكسات ونهضات .

ومن المعلوم أن « القرن » وحدة زمنية ليست بالهينة ـ لا في حياة الأفراد ولا في حياة الأمم . وعظمة الأمة حقيقة تتجلى في حسن تقديرها واستغلالها لكل من الزمن والامكانات التي تملكها ، كما تتجلى في نجاحها في خلق المواءمة والانسجام بين هذين الطرفين : الزمن ، والامكانات .

لكننا بتتبعنا لتاريخ أمتنا الاسلامية ، ندرك أنها قد منيت بمعوقات رهيبة ، عملت في شراسة على عدم تلاقي هذين الطرفين في حياتها الطويلة ـ وبخاصة بعد عصور النهضة الاولى . مرت بها ظروف قاسية شديدة الفتك بوحدة هذه الأمة ، فكم فرقت من شمل ،

وكم بددت من طاقة ، حتى أسدلت على الماضي المشرق سدف الظلام وستائر النسيان .

للدكتور / محمد كمال ابراهيم جعفر



ولولا رحمة ربك لطويت وبادت هذه الأمة كما باد غيرها من الأمم التي أنسيت ماضيها ، وفصلت عن جذورها فذوت ثم صارت حطاما تذروه الرياح .

اجل : ان رحمة الله قريب من المحسنين ، الذين كان يجود بهم الزمان بين الحين والحين ، ليذكروا الناس ، ويوقظوا الوسنان ، ويستردوا الآبق ، ويؤدبوا المتمرد ويبعثوا غافي الضمائر ، ويطهروا خبيث السرائر ، ويوقظوا الشعور بالذات العليا العزيزة المستمدة من عزة سيدها ـ عز سلطانه وجل شأنه .

إن هذه النفوس النبيلة هي التي حملت هموم أمتها ، وهي التي كانت دائما الضوء المنبثق في غياهب الظلمات التي خيمت على كثير من الأفراد والجماعات ، كما كانت المنبع المثر للحياة واليقظة والصحو والنهوض . وقد علمنا القرآن أن نتأمل الماضي لندرك العبرة التي تنفعنا في الحاضر والمستقبل ، سواء كان هذا الماضي يتصل بنا أم بغيرنا من بني الانسان . وهذه هي عالمية الاسلام في رحابة أفقه وسعة نظرته أليست هبة « الواسع العليم » ؟

ان الصيحات المنطلقة الآن من كل مكان منذرة بالدمار والبوار ، ما لم تقع معجزة تصد الغاشم ، وتضبط المنفلت ، لترينا مدى حاجة العالم – ونحن أولى فريق – الى رشد الاسلام ورحابة صدره ، وسمو أخلاقه ، حتى يرشد العلم ويسخر من أجل الانسان بما هو انسان لا الانسان بما هو وحش كاسر يبطش ويعربد .

إن رشد الاسلام خير من اسس الوفاق المطبق حاليا بين الكبار الذين يملكون وسائل الدمار ، تلك الأسس التي لم تنبع من نفس الطهر والنبل والسمو الذي يمكن ان تنبع من مراعاة أدب الله في خلق الله .

ولقد أظلنا الآن القرن الخامس عشر الهجري فهل نأمل أن ندع مسائل الخلاف ونبدأ صفحة جديدة ناصعة البياض ، ألم يأن لنا بعد أن ندخر طاقاتنا المبددة في هذه الخلافات والسلبيات ، لنتقدم ونستأنف حركتنا العلمية الأصيلة التي بدأها الأجداد ، وأخمدها الأحفاد بطول الرقاد .؟؟

على كل مسلم بصير أن يدرك أن عليه أن يؤدي دوره المنوط به فيما يحسن ويجيد الا فيما يثير جدلا عقيما او يلد فكرا سقيما .

على المفكرين ان يسلطوا الضوء على حقائق المنهج القرآني الواعي الى دراسة الكون واكتشاف اسراره ، واقتناص الحكمة والمنفعة اينما كانت . عليهم ان يؤكدوا للمسلم المعاصر ان النظرة العلمية المستقاة من القرآن الكريم تؤكدها وتشهد بصدقها ويقينها النظرة العلمية الحديثة الى العالم بعد طول مسار ومعاناة .

اذ لم يعد العلم يرى الطبيعة شيئا قارا ثابتا جامداً متماسكاً ، وانما أمكنه الآن ان يفسر كل شيء في ضوء الحركة والتنقل والصيرورة والتغير والتجديد ، وهي نفس الحقيقة التي أعلنها القرآن قبل ذلك بقرون طويلة .

لقد امرنا في القرآن بالحركة والسير والاستكشاف ، ووصفت لنا الظواهر الطبيعية في هذا الكتاب الكريم بالحركة الدؤوب ، التي لا تهدأ ولا تنقطع ، بل ان الحركة شملت سائر خلق الله من جن وانس وحيوان ونبات وجماد ، فالشمس والأنهار تجري ، والقمر منازل والكواكب والأفلاك تسري : **(وكل في فلك يسبحون)** يس / ٤٠ والملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، والأرض تهتز وتربو عند اصابة الماء ، بل إن **الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء** . وعلى رأس كل ذلك تقف هذه الحقيقة الكبرى المتعلقة بالخالق عز وجل . اذ هو : **(يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) الحج / ٦١ و :**

(كل يوم هو في شأن) الرحمن / ٢٩ .

وفي ضوء ما سبق هل يجمل بنا ان نظل جامدين عاكفين على اصنام الظن والوهم والخلاف العقيم ؟ هلا سمحنا لنسائم الاعجاز الالهي في آثار ملكه وملكوته لتهب علينا فتجدد شبابنا وتحيي هممنا ؟؟!!!

اننا اذا كنا نطالب بالحركة فانما نطلبها الى الامام ، ولا نطلبها مجرد حركة حتى وان تكن دائرية تبدأ من حيث تنتهي لتبدأ من جديد ، دون تقدم او تجدد او ازدهار .

اننا نريدها حركة مستضيئة بهدى الله الممثل في قرآنه وسنة نبيه ، ومنتفعة بثمرات المواهب الانسانية التي ليست الا نفحات المحسن ، وتفضل الخالق الكريم .

فلتنطلق الطاقات الاسلامية ـ المادي منها والروحي ـ ولنعلم ان المادة سلم طبيعي الى ما وراءها ، وما وراءها هو القطب الجاذب الذي يرشد الفطر السليمة ، وتجعلها تصعد المعراج بالهام التطلع والتشوف والبحث .

ولسنا بهذا ماديين ، لأننا لا نعتقد ان المادة هي نهاية المطاف في حياة الانسان وفي نظام العالم ، ولسنا كذلك أعداء المادة ، ولا من المزرين بها ، وكيف نزري بها وهي من صنع الذي أتقن كل شيء ، فموقفنا معتدل ملتزم حكيم .

علينا في هذا القرن الوليد ان نتوخى اسس الاتفاق لسد الطريق امام المتآمرين والحاقدين ، فلا نشجع نشر المؤلفات الغاصة بالجدل والمناظرات الدينية التاريخية ، فان الاستعمار كان يفعل ذلك ، تنفيذا لخطة علمية تضمن له دوام الخلاف وتأجج الصراع بين المسلمين .

إن ديننا دين توحيد في كل شيء : توحيد الخالق سبحانه وتوحيد النفس الانسانية بتحقيق التوازن بين حقوقها وواجباتها ، وتوحيد النظرة الى الكون والانسان ، فكيف نرضى ان تظل الصراعات والخلافات تعكر هذا الجو الاسلامي الصحيح ؟؟ .

فلنبدأ لقاءاتنا خالصة لوجه الله ، ولتكن لقاءات على اسس مشتركة واقعية في كافة المجالات والقطاعات ، ولنسخر الطاقات التي نملكها في تحسين واقعنا بخطط مدروسة ونيات صافية وايجابية واعية ، ولتعكف كل مجموعة متخصصة في مجال معين على تقديم أحسن ما تتوصل اليه لتجعله متاحا لهذه الامة التي اضرع الى الله بشأنها ان يهيئ لها من امرها رشدا ، وان يجعل هذا القرن قرن احسان واجادة وتقدم وازدهار للامة الاسلامية وان يحقق فيه للعالم ما يذكره بفضل هذه الأمة التي ما أرسل نبيها الا رحمة للعالمين .

وامتثالا لهذا المبدأ الحكيم ، نلقي نظرة خاطفة على ماضينا القريب ، لندرك بوضوح أن أخطر سلاح قضى على وحدة أمتنا ونال من كيانها ، لم يكن في الواقع من خارجها ، أو من أعدائها . صحيح ان هناك أعداء كثيرين حاكوا المؤامرات ونفذوا الخطط التي تدمر هذه الأمة ، ولكن هؤلاء الأعداء لم يتمكنوا حقيقة منها الا بعد ان أعملت فيها الأسلحة الداخلية الناتجة من فقدان الوعي والتربية والبصر حتى تفرقت بددا .

ودون إسراف في الرمز والاشارة نقول ان افتك سلاح نال من وحدة هذه الأمة وتماسكها هو سلاح الفكر والنظر حيث صرف الى غير ما أريد له ، وما كان ينتظر منه .

فمما لا جدال فيه أن الفكر والنظر أثمن ما وهب الله الانسان ، ولكنهما سلاح ذو حدين ، قد يحمي صاحبه ، وقد يفتك به في نفس الوقت ، فهو وسيلة حياة وموت ورفع وخفض وتدهور وتقدم وعقم وثراء . وذلك يترتب على نوعية الفكر وطريقة استعماله والافادة منه ، كما يتأسس على المنهج المتبع في استخدام هذا الفكر ، وفي تطبيق ذلك النظر .

واذا كان الأمر كذلك ، فاننا نرى أن الامة الاسلامية قد كتب عليها أن تحبس داخل اسوار من الفكر العقيم ، والقوالب الجامدة التي كبلت العقول وحصرتها في دائرة ضيقة هي حصاد الفرق الاسلامية المختلفة .

ان هذه الفرق الاسلامية قد جندت كل طاقاتها ، ليعمل عقلها عمل الرحاة التي لا تجرش إلا نوعا واحدا ، وصنفا فريدا بعيد الصلة عن الحياة والأحياء . ان معظمها قد حرث في الماء وفي الخيال ، ولم يحرث في الغبراء حتى نجني الثمار . لقد أوغلت في الخلافات والصراعات والمجادلات حول ما نهينا عن الخوض فيه ، وتقاعست عن العمل فيما أمرنا أن نفكر فيه .

لقد اوصانا رائدنا وقدوتنا ــ صلوات الله وسلامه عليه ، بأن نفكر في خلق الله ولا نفكر في ذاته فنهلك . ومع ذلك فقد استبحنا حمى الذات والصفات ، واوسعناها بحثا وجدلا وتأويلا وتأملا يدفعنا حب الغلبة وإفحام الخصم ، فتلون تفكيرنا بما لا ينبغي إزاء قدس الذات ، ولا غرو أن يعلق أحد علمائنا على من يزعم أنه ينزه الله بالدليل فيقول : إماطة العيب ــ حيث لا عيب ــ عيب .

ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل تعداه إلى تبادل الاتهامات والوسم بالكفر والالحاد والزندقة بين أهل القبلة الواحدة والاله الواحد ، مما عمق الخلاف وأحاله الى حرب ضروس .

وفرح الأعداء للفرصة السانحة

لتأريث الصراع ، لينصرف المسلمون عن الاشتغال بالكون والطبيعة ، وينحصروا في هذه الدائرة المغلقة من التفكير المجرد حول الغيبيات والمجردات والسمعيات .

هذا على الرغم مما توحي به العقلية القرآنية العلمية .

ان هذه العقلية قد ندت عنهم ، فلم يروا الا هذه الساحة التي غصت بالأوهام والظنون ــ ساحة ما وراء الطبيعة مع أنها الساحة التي أضاءها الدين وبدد شبهاتها بطريقة حاسمة ، رحمة بالانسان وتوفيرا لجهوده وطاقاته لينتفع بها في الساحة التي يأنس اليها ويقوى عليها ــ ساحة الطبيعة بما تضم من ظواهر ومرائي .

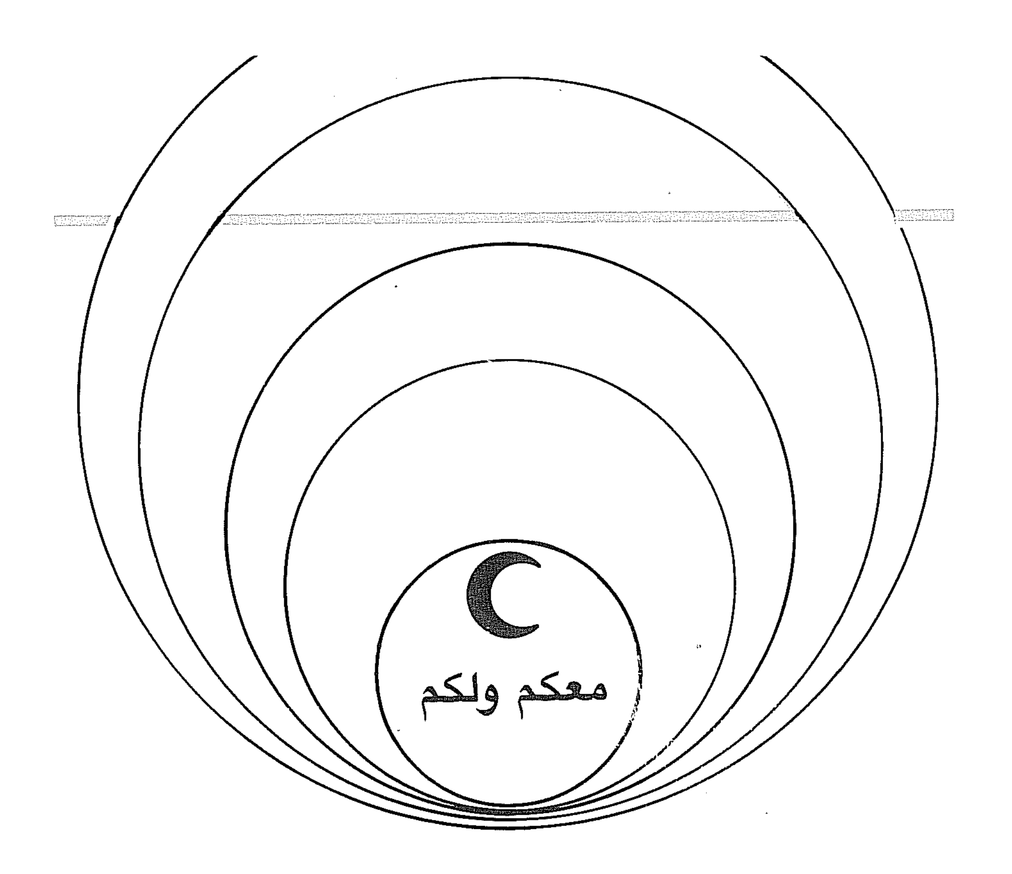
لقد نسينا أيها القارئ الكريم الدرس الذي تعلمه الأسلاف العظام من القرآن وجرينا خلف مناظرات ومجادلات وأوجه خلاف ، حول مشكلات ومسائل تجريدية لا تؤثر في دفع عجلة الحياة نحو التقدم وكشف الآيات والقوانين كما أراد الله .

إن أسلافنا تعلموا من القرآن أن هذا العالم مسخر للانسان ليحقق فيه ذاته عن طريق البحث والعمل ، كما أنه كذلك آية على الخالق ودليل على حقيقته الأبدية .

إن القرآن الكريم عني بالطبيعة عناية فائقة من حيث صلتها بالانسان الخليفة بالخالق المستخلف . فعلى الخليفة أن يدرك أن بحثه في الطبيعة ، وقراءته لأسرارها ومعرفته لنواميسها وكشفه لقوانينها إنما هو تنفيذ مخلص لمقتضيات الخلافة كما جعلها الله .

ومعنى ذلك ان ادراك اسرار الطبيعة والكشف عن قوانينها يمكن الانسان من السيطرة **عليها كتعبير عملي عن الخلافة . وهذه السيطرة لا تتم في الاسلام لمجرد التسلط وإحكام السيطرة والتحكم ، بل تتوجه لتحقيق غرض أنبل وأشرف . وهو تحرير حركة الحياة الروحية في رقيها وتساميها ، تحريرها من ذل العبودية والخضوع لغير الله . فهي سيطرة تتم مع الايمان بالخالق الاعلى الذي تعنو له الوجوه . وهذا الايمان الواعي هو الدرع الواقي من الاستعلاء والتجبر والبغي والفساد والطغيان .**

أرأيت ــ **أخي ــ كم خسرنا وخسر العالم عندما غفونا واغضينا عن النظر في الكون فحرمنا الدنيا ثمار علم يضبطه الايمان والخلق** ، وجعلناها الآن فريسة علم يعوزه الايمان والخلق أنه مارد لا تحرسه المبادئ والقيم الشريفة التي تؤكد إنسانية الانسان ، وتحرص على كرامته ، إنه الآن عربيد يتأهب بين الحين والآخر .



بمناسبة الاحتفال بيوم الهلال الأحمر الدولي الذي صادف يوم ١٩٨١/٥/٨ الماضي يسر مجلة الوعي الاسلامي أن تنشر هذه الكلمة التي وصلتنا من أمين عام جمعية الهلال الأحمر الكويتي .

تحتفل جمعية الهلال الأحمر الكويتي باليوم العالمي للهلال الأحمر الدولي والذي يصادف الثامن من مايو من كل عام والمتخذ له شعارا هذا العام « الهلال الاحمر معكم ولكم » تجديدا لنشاط هذه الحركة وتجسيدا لخدماتها الانسانية ، تلك الحركة التي اضاءت طريق الانسانية في وقت امتهنت فيه كرامة الانسان وتعرضت الانسانية لمحنة كبيرة .. فكانت هذه الحركة بمثابة النور الذي بدد الظلام في وقت ابتعد فيه الناس عن التمسك بدينهم ونسوا او تناسوا المباديء والقيم التي نادى بها الأنبياء والرسل .. لذلك لقيت هذه الحركة الانسانية كل التجاوب وانتشرت بين شعوب العالم وهي الأن متمثلة فيما يزيد على ١٢٥ جمعية وتضم ما يزيد على ٢٣٠ مليونا من المتطوعين .

ومما هو جدير بالذكر ان قيام جمعيات الأسعاف كان في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر في اوروبا في وقت سادت فيه الصراعات الدموية بين الشعوب ، وفي وقت تعرض فيه الانسان لشتى

الوان الالم والعـذاب وكان بأمس الحاجة الى من ينادي بتخفيف آلامه واحترام انسانيته وكرامته وحريتـه وحقه في الحياة الكريمة القائمة على العدل والمساواة .

ولمولد هذه الجمعيات قصة بطلها رجل يدعى هنري دونانت سويسري الجنسية هو مؤسس تلك الجمعيات ، وكانت حرفته التجارة وقد استقر به المقام في الجزائر حيث واجهته بعض الصعوبات في ممارسة تجارته ولذلك قرر التوجه ليشكو الى نابليون الثالث امبراطور فرنسا آنذاك ليجـد حلا لمشاكله في الجزائر وكان ذلك في عام ١٨٥٩ ، وفي الطريق الى فرنسا ساقه القدر ليشهد بطريق الصدفة معركة من اشرس المعارك التي قامت في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر في اوروبا وهي معركة (سولفرينو) في شمال ايطاليا والتي قامت بين الجيوش الايطالية وحلفائها الجيوش الفرنسيـة من جهـة والجيـوش النمساوية من جهة اخرى والتي راح ضحيتها ما يقارب الاثنين والاربعين الف قتيل وقد استرعى انتباه دونانت المشاهد الدامية التي خلفتهـا هذه المعركة .. الوف الجنود ينزفون وليس هناك من يحاول انقاذ حياتهـم ، والوف اخرون يموتون جوعا وعطشا وليس هناك من يحاول ان يقدم لهم الماء والغذاء .. وعندئذ قام هنري دونانت بدوره الانساني التاريخـي حيث قام بتوجيه نداء لأهالي القرى المجاورة ليقدمـوا كل عون ممـكن لضحايا المعركة وقام هو معهم بالعمل الجاد في ساحة المعركة من ضماد لجروح المصابين وعـلاج للمـرضى وتقديم الغذاء والماء والكساء .. الكل يعمل لخدمة الضحايا دون اية تفرقة أو تمييز بينهم سواء كانوا من بلدهم او من اعدائهم وهذه هي اهم القيم الانسانية التي تمكن دونانـت من غرسها في نفوس الناس التي هبت لمعاونة جرحى المعركة وانتهت المعركة ولكن دونانت لم يتوقف عن دعوته للمباديء الانسانية التي أوحتها له المآسي الدامية التي شاهدها وقـد شجعه على ذلك ما أحرزه من نجاح فيما قدمه من خدمات قيمة لضحايا الحرب ولذلك عكف على تأليف كتابه الشهير « ذكرى معركة سولفرينو » والذي صدر في جنيف عام ١٨٦٤م وقد نادى فيه بتحقيق امرين هامين يعتبران اساسا لهـذه الجمعيـات وهما :

١ ـ تأسيس جمعية اسعاف في كل دولـة لمساعـدة الجرحـى والمرضى والاسرى .

٢ ـ عقد اتفاق دولي تتعهد جميع الدول بموجبه بتوفير الحماية والعون لجرحى الحرب ولجمعيات الاسعاف والاغاثة .

ولقد لقيت دعوة دونانت استجابة دولية لما تضمنته من معان إنسانية نبيلة ، وقـد تحقـق إنشـاء هذه الجمعيات في مختلف دول العالـم للعنايـة بجرحـى وأسرى الحـرب بصورة خاصة بالاضافة الى تقديم الخدمات الانسانيـة والاجتماعيـة للانسان بصورة عامة .

وبالنسبة لعقد الاتفاقية الدولية فقد شكلت لجنة في سويسرا في عام ١٨٦٤م وقامت هذه اللجنة بوضع أول قانون لحماية الجرحى والمرضى من افراد القوات المسلحة وكان هذا القانون هو نواة اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ والتي وقعتها دول العالم أجمع .

ولقد ذكرنا فيما سبق ان هنري دونانت هو مؤسس تلك الجمعيات الدولية عام ١٨٦٤م وهذا يدعونا الى التساؤل هل كان هذا الرجل هو أول من نادى بهذه المبادىء الانسانية ؟ والجواب بكل تأكيد لا .. لأن الأديان السماوية قد سبقت الدعوة الى هذه المبادىء والقيم وكان اخرها الدين الاسلامي الحنيف الذي سبق دعوة هنري دونانت بأكثر من الف عام وقد كرم الاسلام الانسان وميزه على سائر المخلوقات بقوله تعالى : **(لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم)** التين/٤

والدين الاسلامي هو دين السلام وكانت نظرته للحرب هي لدفع العدوان وليس لمجرد الاقتتال ، قال تعالى :

(ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين) البقرة/١٩٠ ، ١٩١ .

ولقد كان الاسلام سباقا الى الحث على عون المسكين واليتيم والاسير ، قال تعالى : **(ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا)** الانسان/٨ .

وكان عليه الصلاة والسلام يحث على الاحسان الى الاسرى ومد يد المساعدة اليهم ويروي انه عندما اسر الصحابة ثمامة بن أثال الحنفي امرهم الرسول عليه الصلاة والسلام ان يحسنوا اليه ثم ذهب الى اهل بيته فأمرهم ان يجمعوا ما عندهم من طعام ليرسله الى الاسير ثمامة ، ثم امر ان تحلب ناقته ويرسل حليبها الى ثمامة .

كما يروي البخاري ان العباس بن عبد المطلب عندما اسر في بدر امر له الرسول عليه الصلاة والسلام بثياب تستره وتدفع عنه تقلبات الجو المختلفة ليلا ونهارا .

وقد كان احتجاز الاسرى يتم في المسجد ، والمسجد مكان طاهر نظيف تتوفر فيه كافة الوسائل الصحية والرعاية الاجتماعية ، وهكذا كانت رعاية الاسلام للاسرى .. وقد فاقت كل رعاية على مر العصور ، ولم يحدث في تاريخ المسلمين ان لقى اسيرهم الجوع او التعذيب او البرد او العطش أو الذلة او القهر او الغدر كما نسمع في أيامنا هذه .. لقد كان الاسلام يحترم انسانية الاسرى فلا يلقي بهم في الاقبية المعتمة او المعتقلات المظلمة ليموتوا جوعا وعطشا ومرضا ولا يعذبون بأي نوع من انواع العذاب التي نسمع عنها هذه الايام بما يأباه الضمير الانساني .

ويجدر بنا في هذه المناسبة ان نذكر وصية سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه لجيوش المسلمين المتجهة الى الشام بعد وفاة الرسول صلى الله

عليه وسلم « لا تقتلوا طفلا ولا شيخا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوا ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا » .

كما حث سيدنا عمر بن الخطاب جنود المسلمين اثناء دخولهم القدس على حماية الارواح والممتلكات والكنائس ومنح حرية العبادة للقاطنين في هذه البلاد مصداقا لقوله تعالى : **(لا اكراه في الدين)** البقرة/٢٥٦ ، وقوله تعالى : **(لكم دينكم ولي دين)** الكافرون/٦ .

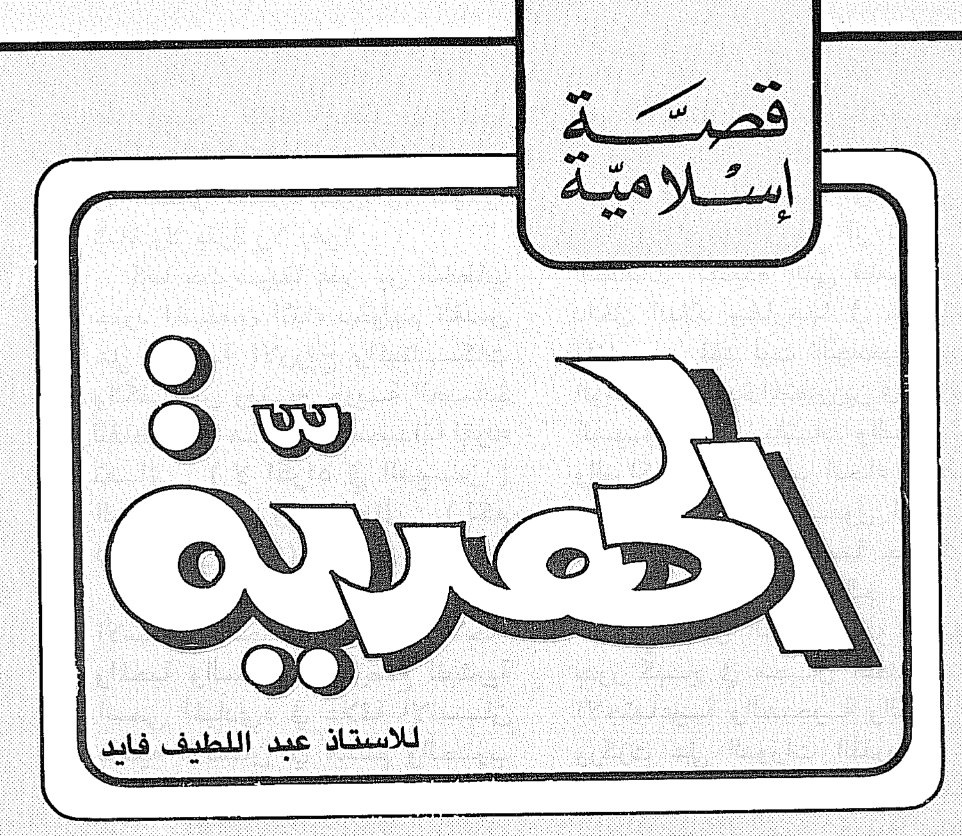
ومما تقدم يبين بجلاء ان الدين الاسلامي الحنيف هو دين الاخاء والمحبة والسلام وقد وضع للبشرية اسمى المبادىء في علاقة الانسان بأخيه الانسان في السلم والحرب وهذه المبادىء والقيم صالحة لكل زمان ومكان ولو ان شعوب العالم اتبعت تعاليم الاسلام لما تعرضت البشرية للدمار والخراب على مر الزمان .

وجمعية الهلال الاحمر الكويتي التي أسست عام ١٩٦٦ حملت من يوم تأسيسها لواء الخير والعمل الطيب والتعاون بين الانسان على ارض الكويت الطيبة واخيه الانسان في كل موقع ومكان ، فكانت هذه الجمعية انعكاسا لتطلع الكويت الى مشاركة الشعوب الاخرى في زرع الخير والمحبة والتعاون ، فهي جزء من سيرة انسانية عالمية تعمل جميع الجمعيات المنضمة اليها بتعاون وتكاتف لتمسح عن جبين الانسانية بعض متاعبها ، وتواسي بعض آلامها لتعم بسمة الحياة الكريمة كل الوجوه .

وفي هذه المناسبة تود جمعية الهلال الاحمر الكويتي ان تشير الى الخدمات العديدة التي قامت بها داخل البلاد وخارجها في مختلف المناسبات فقد لبت الجمعية نداء الواجب لمساعدة المتضررين في حوادث السيول والفيضانات والزلازل والبراكين في مختلف انحاء العالم وبصفة خاصة في الدول العربية والاسلامية الشقيقة مما جعلها في مقدمة الجمعيات في العالم .

ففي داخل البلاد قامت الجمعية بدور كبير في مجال الخدمات الاجتماعية والصحية والثقافية وركزت على الدورات التدريبية على الاسعافات الاولية والخدمات الاجتماعية والتي تخرج منها (٥٨٦) متطوعاً و (١٧٣) متطوعة بالاضافة الى الدورات التدريبية على اعمال الاسعافات الاولية لطلبة وطالبات جامعة الكويت وما قامت به الجمعية من خدمات في مراكز الاسعاف التي اقيمت على الشواطيء .

وفي موسم الحج والاندية الصيفية ، وطبع ونشر الكتيبات الخاصة بمبادىء الهلال الاحمر والاسعافات الاولية ، وفي مجال الخدمات الاجتماعية أقامت الجمعية العديد من الدورات على اعمال التفصيل والخياطة ، كما قامت بواجبها نحو المرضى والاطفال والعجزة والمحتاجين بصفة عامة .



لم يشهد مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم جمعا حافلا من الصحابة مثل ما شهد في هذا اليوم ، فبعد ان فرغ الجميع من صلاة العصر جلسوا امام النبي صفوفا يستمعون منه آخر ما نزل من آيات القرآن الكريم ، ويستعيدون مبادئ للاسلام يلتزمونها ، ويسيرون بها بين الناس هداة مرشدين ..

ومع هذا الاصيل توافد على المسجد عدد كبير من المسلمين ممن لم يدركوا صلاة العصر مع النبي ، أقبلوا يعوضون ما فاتهم من فضل الجماعة بحسن الاستماع الى اقواله ، وما سن الله من قواعد يسيرون عليها في دنياهم ، فتكون نورا على الطريق لهم ، ولمن يأتي بعدهم من الاجيال الى يوم الدين ؛ إن أخذوا بها لن يضلوا ، ولن يتخلف عنهم نصر مهما كان بعيد المنال .

وقبل ان تغرب شمس هذا اليوم كان المسجد قد ضاق بمن توافدوا عليه ، فافترشوا من حوله ، وأعطوا آذانهم لصوت النبي الذي ينساب كأنه الماء العذب يروي



الظامئين ..

وخلال وقفة في أحاديث النبي التي تناولت شئونا كثيرة مما يهم المسلمين ، أفسح الناس طريقا لقادم جديد ، وقد وضح من اهتمامهم به وهم يفسحون له ، أن له شأنا بينهم كبيراً ..

لقد كان هذا القادم هو « ابن اللتبية » رجل من الأزد استعمله النبي على جمع اموال الزكاة من

المسلمين لتودع في بيت المال ، ينفق منهـا على الفقـراء والمسـاكين ، ويستعين منها على استكمال حاجة الجيوش المحاربة في سبيل الله ، ثم ليشق للناس طريقا ، او يزرع لهم نخلا ، او يبتاع ابـلا يشربـون لبنها ، ويأكلون لحمها .. إلى غير ذلك مما يحقق للمسلمين الكفاية والمنعة ، ويوفر على الفقراء منهم سؤال الأغنياء ..

* * *

وكان ما جمعه « ابن اللتبية » من أموال الزكاة شيئاً كثيراً ، فقد اشتهر هذا الرجل بمعرفة اسرار الثروات ونمائها وهو يعرف جيدا هذه الأرض وكم أثمرت من خير ، وهذه التجارة وكم حققت من ربح ، فالانباء تصل اليه من كل مكان عن المطر الغزير ، وأين نزل وحقـق لمساحات من الأرض غلة اكثر من غيرها شحت عليهـا السمـاء ، ويتوافد الناس عليه من الاسواق يخبرونه عن التجارة كم كسبت وكم خسرت ..

ولقد استعمله النبي على جمع الزكاة بعد ان استيقن أنه يعرف حدود الله في أموال الناس .. فهو يعلم كم نصيب الزكاة في الزرع والثمر ، وكم نصيبها في الأبـل والغنم والشاه ، وكم نصيبها في الذهـب والفضـة ، وفي مال التجارة ..

ومن طول الممارسة برع الرجل في تقسيـم الأمـوال وفرزهـا ، واستخلاص العشـور وأنصـاف العشور وأرباعها ، حتى لا يضيع درهم واحد من حق بيت المال ، وحتى لا يغالطه شحيح بماله ، فينتقص درهما أو دينارا من هذا الحق الـذي فرضـه الله طهـرة للمال ، وزكاة له ، ونماء فيه ..

وضع الرجل بين يدي النبي ما جمع من هذا المال : هذه أكياس الذهب ، وأكياس الفضة من أموال مضت عليها سنة وبلغت نصاب الـزكاة .. وفي خارج المسجـد تكدست أكوام الثمـر والحنطـة والشعـير من زكاة ما أخرجـت الأراضي المثمرة .. وعلى جانب آخر وضعت في القيود إبل وغنم وماعز جمعها الرجل من التجار والأثرياء بحنكته في معرفة ما يجمعون ، وما يكسبون ..

وفرز النبي كل هذا المال الذي صنفه جامع الزكاة ، لا يختلـط فيها صنف بصنـف ، ولا ينسى الرجل ان يقول للنبي لقد اخذت كذا دينارا من الذهب من آل فلان ، وكذا درهما من الفضة من بني فلان .. امـا هذه الابـل السمينـة فقـد استحقت في تجارة جاءت من الشام او اليمن لهذا الصحابي أو ذاك .. ولم ينس كذلك أن يذكر له أن بني فلان كانت زكاتهم مائة أوقية من الذهب فزادوا مثلها ، وأن بني فلان أعطوه زيادة على ما فرض الله في أموالهم ألف دينار ، وأن بني فلان

زادوا خمسمائة فقط ، وأن بني فلان أعطوا الحق بلا زيادة عليه .. أما بنو فلان فقد وضعوا أمامي كل أكياسهم وقالوا : خذ منها ما شئت ، فالمال مال الله ، وأولى به أن ينفق في مصالح المسلمين ..

ويذكر الرجل للنبي غير ذلك مما يدل على دقة معرفته بأسرار عمله واستيعابه لكل جوانب وظيفته ، وهو على استعداد لتحقيق أية مظلمة لأحد من المسلمين يشكو فيها اعتسافا وقع به ، أو تزيدا حدث حين احتساب زكاة ماله ..

* * *

كانت البسمة لا تفارق وجه النبي ، وهو يرى ويحصي مع « ابن اللتبية » ما جمع من حقوق بيت المال .. لقد كان ما جمعه هذا الرجل شيئا كثيرا ، يدل على رخاء أفاضه الله على أمة صدقت برسالة خاتم الأنبياء ..

ثم أشار الرجل إلى جانب آخر من المال ، وقال للنبي : أما هذا فقد تلقيته هدايا من الناس ، وأنا أجمع حقوق بيت المال .. فهو لي .. أما ما مضى فهو لكم ..

وفجأة احتقن وجه النبي ، وارتسمت على ملامحه سمات الغضب .

وأدرك المسلمون من حوله سر هذا التغير الذي أسرع به إلى منبر المسجد وهو ينادي في صحابته أن اجتمعوا أيها المسلمون ..

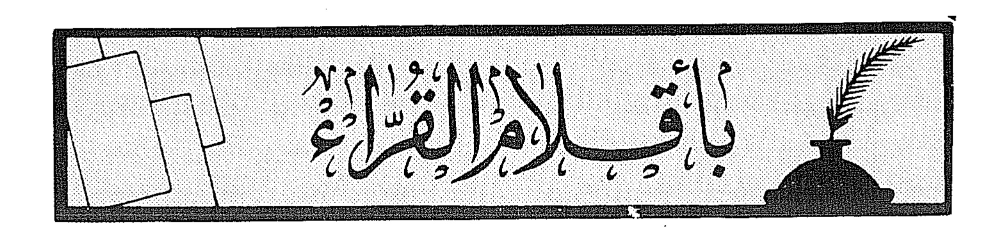
الأمر هام وخطير .. فهذا الجمع من الناس آمن بالنبي حين آمن ليس طلبا لثراء أو جاه ، أو طمعا في مال يستعملهم عليه صاحب الرسالة ، وإنما باعوا أنفسهم لله ولرسوله ولهذا الدين الجديد ، ينشرونه في الأرض بأموالهم وأرواحهم وعيالهم .. بل إن الذين هاجروا منهم من مكة إلى المدينة هاجروا بالدين وحده ، وتركوا أموالهم هناك نهبا للكافرين .. وأي استغلال لعمل أو انتفاع خاص بسببه هو على الحقيقة مناف لطبيعة هذه الرسالة ، ومبادئها ، وتعاليمها ..

وصعد النبي المنبر .. والمسلمون أمامه وقد احتشدوا ملتصقين حتى تجمعهم كلهم جدران المسجد فيتاح لهم السماع عن قرب لما سيقوله النبي ..

ومضت لحظة سكت فيها الجمع كأن على رءوسهم الطير ..

وتكلم النبي عن دستور الوظيفة في دولة المسلمين .. فحمد الله وأثنى عليه .. ثم قال : « اما بعد .. فاني أستعمل رجالا منكم في أمور مما ولاني الله ، فيأتي أحدكم فيقول هذا لكم ، وهذه هدايا أهديت إلى ، فهلا جلس في بيت أبيه ، أو بيت أمه ، فينظر أيهدى إليه أم لا ، ! .. والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته » .

ثم أمر بالهدايا جميعها .. فضمها إلى بيت المال .



جاءنا من الاخ خضر سليمان عبد السلام - من السودان مقال تحت عنوان

العين - ادلة وبراهين ورد على المنكرين

يقول فيه :

هذا الكون الفسيح الذي لا يعلم قدر اتساعه الا الله عز وجل وحده ملىء بالأسرار والعلوم والعجائب وكلما توغل البشر في معارفه وكشف اسراره يوما بعد يوم كلما وجدوا محيط العلوم واسعا عميقا الى ما لا نهاية مادية كانت ام غير مادية .. وهذه الاسرار التي تم اكتشافها ضئيلة جدا « **وما اوتيتم من العلم الا قليلا** » ونحن نؤمن بان كل المخترعات قديمها وجديدها كانت على نظام الأسباب والمسببات وجرت على سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير ، هناك مكتشفات مرئية محسوسة .. وهناك مكتشفات مؤثرة لا نراها رأى العين كالاشعة الكونية وغيرها ويحظى عالم المادة بايمان الناس اجمعين خلاف عالم الروح الذي آمن به البعض وكفر به البعض وتردد فيه الأكثرون في ريبهم كتأثيرات النفس الخبيثة « الاصابة بالعين » والسحر والتنويم المغناطيسي وعالم الملائكة والجن ولعل اكثر المجالات انتقادا وشكا ما نتناوله في مقالنا هذا وهو النفس الخبيثة « الاصابة بالعين » فمن المسلمين من يؤمن بها ومنهم من لا يؤمن بها ولعلنا بهذه السطور نبين الحقيقة والله الموفق :

ولقد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم - كما رواه البخاري - ان قال : العين حق ونهى عن الوشم . وذكرت عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم امرها ان تسترقي من العين . وعن ام سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة « يعني صفرة » فقال : استرقوا لها فان بها النظرة . وفي سنن أبي داوود : ان عائشة رضي الله عنها قالت ، « كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين » .

وركب سعد بن ابي وقاص يوما فنظرت اليه امرأة فقالت : ان اميركم هذا ليعلم

انه اهضم الكشحين ، فرجع الى منزله فسقط فبلغه ما قالت المرأة ، فأرسل اليها فغسلت له . قال الاصمعي : رأيت رجلا عيوناً سمع بقرة تحلب فأعجبه شخبها فقال : ايتهن هذه ؟ فقالوا : الفلانية لبقرة اخرى يورونها عنها ، فهلكتا جميعا .. المورى بها والمورى عنها .

يقول تعالى في سورة يوسف إخبارا عن يعقوب عليه السلام : « **وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغنى عنكم من الله من شي ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون** » .

قال القرطبي في « الجامع لاحكام القرآن » عند تفسير الآية الكريمة : لما عزموا على الخروج خشي عليهم العين فأمرهم الا يدخلوا مصر من باب واحد وكانت مصر لها اربعة ابواب وانما خاف عليهم العين كونهم احد عشر رجلا لرجل واحد وكان اهل جمال وكمال وبسطة ، قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم . واذا كان هذا معنى الآية فيكون فيها دليل على التحرز من العين والعين حق .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما فيقول : اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة ، وانكر الجبابي العين وهو مردود بما ذكرنا . أ هـ

وقد اكد قدرة بعض العيون على الايذاء الاستاذ المرحوم / محمد فريد وجدي في تفسيره للآية الكريمة فقال :

ان لعيون بعض الناس قدرة على الايذاء وهذا التأثير مظهر قوة نفسية عظيمة لا يجعلها مكروهة الا انصرافها الى الشر واما هي في ذاتها فقوة من اعجب القوى .

وقد اسهب الامام الشيخ ابن قيم الجوزية في كتابه الجامع « مدارج السالكين » في هذا الموضوع اسهاباً وافياً فيقول : ومنهم في نفسه على نفوس ذوات السموم والحمات كالحية والعقرب وغيرهما وهذا الضرب هو الذي يؤذي بعينه فيدخل الرجل القبر والجمل القدر ! والعين وحدها لم تفعل شيئا وانما النفس الخبيثة السمية تكيفت بكيفية غضبية مع شدة حسد واعجاب وقابلت المعين على غرة منه وغفلة وهو اعزل من سلاحه فلدغته كالحية التي تنظر الى موضع مكشوف من بدن الانسان فتنهشه فاما عطب واما اذى ولهذا لا يتوقف اذى العائن على الرؤية والمشاهدة بل اذا وصف له الشيء الغائب عنه وصل اليه اذاه والذنب لجهل المعين وغفلته وغرته عن حمل سلاحه في كل وقت فالعائن لا يؤثر في شاكي السلاح كالحية اذا قابلت درعاً سابغاً على جميع البدن ليس فيه موضع مكشوف فحق على

من اراد حفظ نفسه وحمايتها ان لا يزال متدرعا متحصنا لابسا اداة الحرب مواظبا على اوراد التعويذات والتحصينات النبوية التي في السنة والتي في القرآن .

والمؤسف ان الذين ينكرون هذا لا يدعمون انكارهم بالحجج والبراهين رغم جهلهم من الاسرار الكامنة في النفس البشرية وقد اثبت العلم الحديث بعض هذه الاسرار واجريت التجارب عليه وتيقن العلماء الماديون من بعضها كالتنويم المغناطيسي والاتصالات من بعد سحيق ولقد بدأ بعض الماديين يتراجعون ويجرون تجاربهم وينشرون ابحاثهم .

يقول ابن القيم الجوزيه رحمه الله في كتابه « زاد المعاد في هدى خير العباد » « فأبطلت طائفة ممن قل نصيبهم من السمع والعقل امر العين وقالوا : انما ذلك اوهام لاحقيقة لها وهؤلاء من اجهل الناس بالسمع والعقل ومن اغلظهم حجابا واكثفهم طباعا وابعدهم معرفة عن الارواح والنفوس وصفاتها وافعالها وتأثيراتها وعقلاء الامم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع امر العين ولا تنكره وان اختلفوا في سببه ووجهة تأثير العين فقالت طائفة ان العائن اذا تكيفت نفسه بالكيفية الرديئة انبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيتضرر قالوا : ولا يستنكر هذا كما لا يستنكر انبعاث قوة سمية من الافعى تتصل بالانسان فيهلك وهذا امر قد اشتهر عن نوع من الافاعي انها اذا وقع بصرها على الانسان هلك فكذلك العائن .

من هنا يتضح ان التحصن صباح مساء امر لازم للوقاية فمن التحصن : قراءة المعوذتين وفاتحة الكتاب وآية الكرسي والتعوذات النبوية نحو اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، ونحو اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ومنها اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون ومنها رقية جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم : باسم الله ارقيك من كل داء يؤذيك من شر كل نفس او عين الله يشفيك باسم الله ارقيك .

ان تأثير العين ربما يكون اطيافا مجهولة وفي عالم المادة اثبت العلم الحديث انه بواسطة الموجات الصوتية يمكن تفجير القنابل من مكان بعيد وتوجيه السفن الفضائية وتمكن المنوم المغناطيسي ان يؤثر عن طريق المحادثة التلفونية وقد تبين مما سبق ان أمر « العين » ثابت في الكتاب والسنة وهما المصدران الاساسيان للاسلام ورغم ما سبق فقد اوصى الاسلام بالتوكل على الله سبحانه وتعالى ولا طيرة و هامة وامر بالذكر المتواصل . لقد اردت من هذه السطور اثبات ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا ينفي ذلك احد دون حجة ولا برهان .

موقف الاسلام من أعدائه

وردتنا كلمة بعنوان : موقف الاسلام من أعدائه للأستاذ: أحمد محمد دحلوب نقتطف منها ما يلي :

قال الله تعالى (**ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا**) الاسراء/٩ .

كتاب الاسلام الخالد الذي لم يدخله تحريف ولا تبديل فهو نور، يقول الله تعالى (**فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا**) التغابن/٨ . (**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين**) المائدة/١٥ .

نزل الكتاب وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل اخراج الناس من الظلمات الى النور (**الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد**) ابراهيم/١ .

بالقرآن ارتقت أمة الاسلام وأخذت مكانها فوق قبة الفلك .. واعتصمت بحبل الله وتوحدت وأصبحت كالجبال الرواسي لا تؤثر عليها الرياح وزال ما بها من شقاق كان المسلم ينتقل من مكان الى مكان ويرتحل من بلد الى أخرى ويهبط ويصعد من أدنى البلاد الاسلامية الى أقصاها شرقا وغربا وكأنها بلد واحد بلا حدود أو مواقع ذلك لأن هذه الأرض التي يسير عليها أشرق فيها نور التوحيد . وارتفعت عليها راية الله ، ويوم أن حكمت الأمة بالقوانين الوضعية ، وصعرت خدها لكتاب ربها ، انغمست في فلول الدجى .

وان القلب ليبكي دما في هذه الآونة حينما يرى الفرقة ضاربة أطنابها بين شعوب الأمة الاسلامية في مشارق الأرض ومغاربها .

فهل آن الأوان للأمة الاسلامية أن تنفض عن نفسها عوامل الشقاق والفرقة وتنبه الى ما يحاك لها من الخطوب المدلهمة والمحن القاسية ، وهل آن الأوان لأن تستضيء الأمة الاسلامية بكتاب ربها .

والنتيجة الحتمية لتفرق المسلمين وقع العالم الاسلامي في براثن الاستعمار الذي عرف أن الاسلام هو سر قوة الشعوب الاسلامية .

وكم خسر المسلمون في أرتيريا وفي أفغانستان وفي بورما والفلبين التي سقط على أرضها آلاف المسلمين ضحايا الغدر والخيانة . هذه المحن التي نزلت بالمسلمين انما سببها البعد عن تعاليم الاسلام ومجاملة الأعداء والارتماء في أحضانهم . وقد نهانا الله عن طاعتهم والانقياد لباطلهم فقال تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة)



ماذا يريد الشباب من حكامهم

وصلتنا من الندوة العالمية للشبـاب الاسلامي الكلمة القيمة التي وجهها الأخ الدكتـور (أحمد عبدالقادر باحفظ الله) الأمين العام للندوة العالمية للشباب الاسلامي الى قادة العالم الاسلامي في مؤتمر القمة الاسلامي الثالث الذي انعقد في مكة والطائف في ربيع الأول ١٤٠١هـ وكان بودنا نشرها كاملة لكن ضيق المجال دفعنا إلى أن نقتطف منها الآتي :

يا أخوة الاسلام ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن لقاءكم الميمون هذا في أقدس بقعة وأطهر مكان في رحاب بيت الله الحرام يفتح أوسع أبواب الأمل أمام شباب الاسلام ... إن شباب الاسلام يتطلعون إليكم وأنتم في منازل الوحي ومهاد الايمان تخططون وتقررون مستقبل الأمة يملؤهم الرجاء في أن يحظوا بالمزيد من كريم العناية بهم ليظلوا كالعهد بهم حراس العقيدة في مواجهة تيارات الكفر والالحاد والاباحية .. ويتطلع شباب الاسلام إلى أن تتمثل رعايته في أوطانه بالآتي :

- ترجمة معاني القرآن الكريم إلى كل لغات العالم .
- ترجمة الأحاديث النبوية الشريفة إلى كل لغات العالم الاسلامي وأمهات لغات العالم .
- افتتاح معاهد لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .
- جعل العربية لغة ثانية تدرس في جميع الدول الاسلامية غير العربية .
- رعاية النابغين من أبناء المسلمين .
- انشاء النوادي الاسلامية المتعددة الأنشطة .
- إقامة بيوت للشباب المسلم في جميع أنحاء العالم .
- العناية باقامة المخيمات الشبابية الاسلامية .

● الاهتمام بالكتاب الاسلامي الجيد وترجمته الى لغات العالم الاسلامي وأمهات اللغات العالمية .
● العناية الفائقة بالوسائل المرئية والمسموعة رعاية للشباب المسلم وفق عقائد الاسلام .
● دعم المنظمات الشبابية الاسلامية من خلال منظمة المؤتمر الاسلامي وعبر المنظمات المتخصصة في شؤون الشباب المسلم .

وتناشد الكلمة قادة المسلمين :

يود شباب الاسلام في العالم أن يناشدكم إتاحة كل الفرص أمام شباب الاسلام للقيام بواجب الدعوة الاسلامية .. وأن تولوا الكثير من الرعاية لشباب الأقليات الاسلامية وأن تتخذوا قرارا بصبغ التعليم في جميع مراحله بالروح الاسلامية .. وأن تحشدوا كل الطاقات في سبيل عزة ورخاء الشعوب الاسلامية .

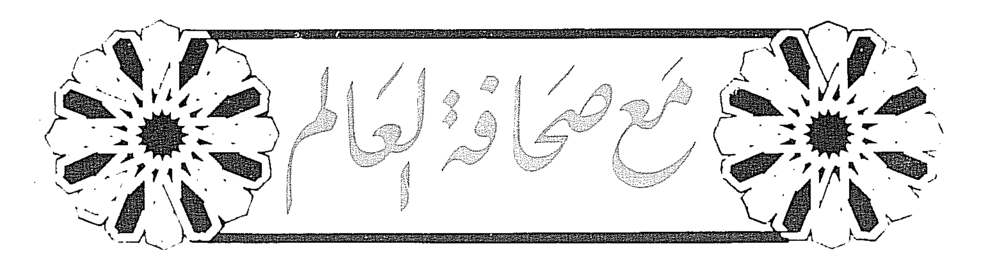
ردود سريعة

○ **الاخ المعتز بالله محمد البرنوجي المغرب** يأمل بتعريفه كيفية الاشتراك في المجلة وكيفية الحصول على الاعداد السابقة للمجلة ويرجو احالته على اهم المؤسسات والجامعات العلمية في الكويت لمتابعة الدراسة .

ـ لا توجد اشتراكات في المجلة ويمكنكم الحصول على اعداد المجلة بالاتصال بشركة الخليج لتوزيع الصحف (وعنوانها ص . ب ٤٢٠٥٧ الشويخ الكويت) اما بالنسبة لباقي السؤال فليس لدينا علم بامور الجامعات ويمكنك الاستفسار عن ذلك من القسم الثقافي في السفارة الكويتية في الرباط .

○ **الاخ شلهبوني جميل من المغرب** يأمل بان تتصدى المجلة باستمرار للمواضيع التي تعالج انحراف الشباب المسلم وانخراطه في الاحزاب غير الاسلامية الشرقية والغربية والتصدي لكل المحاولات التي تحاول النيل من الاسلام والمسلمين .
ـ لقد تصدت المجلة باستمرار في اعدادها السابقة لمثل هذه المواضيع وسنعمل دوما باذن الله على تحقيق ذلك .

○ **الاخ الاستاذ حامد ديدان محمد بريمة السودان** ، شكرا على موضوعك الذي ينم عن الم عميق بسبب الفساد المستشري في المجتمع وندعوك الى العمل مع اخوانك للوقوف سدا منيعا امام هذا الانحراف



جولة اسلامية واسعة قام بها مدير الشؤون الاسلامية بالوزارة في ١٤ مدينـة وولايـة اميركية

نشرت جريدة السياسة الكويتية في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨١/٥/٤ هذا الحديث الصحفي للسيد عبدالله العقيل مدير الشئـون الاسلاميـة بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية جاء فيه :

عاد مدير إدارة الشؤون الاسلامية عبدالله العقيل من الولايات المتحدة الاميركية بعد جولة استغرقت قرابة الشهر بتكليف من وزير الاوقـاف والشؤون الاسلامية احمـد سعـد الجاسر لحضـور مؤتمـر التربيـة الاسلامية بمدينة فيلادلفيا وقد شملت زيارة الشيخ العقيل ١٤ مدينة وولاية في اوسع جولة اسلامية يقوم بهـا مسؤول إسلامي في الولايات المتحدة حتى الان وذلك للاطمئنان عن احوال واوضاع المسلمين هناك ، وقد شملت هذه الزيـارة كلا من نيويـورك ونيوجرسي وجـرسي ونيـوا وليانـز وفلادلفيـا وشيكاغـو ومـلاواكي ، وديترويـت ، وسياتـل ، وسـان فرنسيسكو وديفز وسكرمنتو وفرزنو ولوس انجلوس .

هذا وتحدث العقيل في ندوة صحفية قال فيها ان زيارته لنيويورك شملت المركز الثقـافي الاسلامـي والمركز الاسلامي الاميركي وجمعية الطلبة المسلمين حيـث اجتمـع بمسـؤولي المراكز والجمعيات والقى عدة ندوات ومحاضرات كما اجتمع في نيوجرسي بمسؤولي جمعية الطلبة المسلمين ، وجمعية عباد الرحمـن ، وجمعيـة المركز الاسلامـي والقـى عدة محـاضرات تتعلـق بالدعـوة الاسلامية .

واضاف الشيخ العقيل بانه اجتمع في جرسي بالقائمين على جمعية الطلبة المسلمين ، والمركز الاسلامي ومسجد المؤمنين ، وتحدث في جموع المسلمين في كلمات القاها بمناسبة زيارته .

ثم انتقل بعد ذلك الى فيلادلفيا لحضور مؤتمر التربية الاسلامية حيث القى كلمة اشار فيها الى « اهتمام وزارة الاوقاف بمثل هذه المؤتمرات التي تريد من ورائها ترسيـخ المفاهيـم

الاسلامية ، والانطلاق في مناهج التربية وفق التصور الاسلامي الصحيح المستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم للتغلب على مشكلات الحياة وقضايا العصر والذي لا بد من خلال هذا التصور الاسلامي ان نقيم التوازن بين الروح والمادة لان الاسلام دين وسط يستهدف اسعاد البشرية واقامة بنيانها على المنهج القرآني الكريم بما يجعل الانسان يعيش في هذه الحياة شريفا كريما . وقال لقد بارك هذه التوجهات التي يضطلع بها المسلمون في الولايات المتحدة والتي تتواكب مع هذا المد الاسلامي والصحوة الاسلامية التي تنتظم العالم الاسلامي كله . مطالبة بعودة المسلمين الى دينهم والتزام شريعة الله في احكامهم ومعاملاتهم .

وكان قد حضر هذا المؤتمر وفد من الافتاء السعودي ومندوبون من جامعات المملكة العربية السعودية وجامعة الاسكندرية ومن الهند وباكستان ومن جامعة الشرق الاوسط في شيكاغو وعدد من الجامعات الاميركية .

وقال العقيل انه قام بمتابعة جولته بعد حضور المؤتمر فزار شيكاغو والتقى بالمسؤولين هناك عن مؤسسة المسجد في جنوب شيكاغو والتي يقطنها حوالي ٥٠ الف فلسطيني وبمسؤولي المركز الثقافي الاسلامي والمركز الاسلامي وسط شيكاغو وجماعة المسلمين البلاليين ، ومركز الجالية الاسلامية والجمعية الثقافية وجمعية الطلبة المسلمين حيث التقى بجموع المسلمين في خطب الجمعة ونداءات اخرى وكلمات اسلامية شرح فيها الوسائل التي يمكن بواسطتها تماسك المسلمين وتوجههم نحو دعوتهم الاسلامية .

وانتقل بعد ذلك الشيخ العقيل الى (مالاواكي) حيث زار المركز الاسلامي وجمعية الطلبة المسلمين ومسجد الجامعة هناك والقى عدة كلمات بالمسلمين .

اما في سياتل فقد قام بزيارة المدرسة الاسلامية وجمعية الطلبة المسلمين والقى كذلك عدة محاضرات اسلامية ، والتقى بمسؤولي المدرسة والجمعية ، كما التقى كذلك في سان فرانسيسكو برئيس المركز الاسلامي ومسؤولي جمعية الطلبة المسلمين والقى هناك كلمة دعا فيها الى الحفاظ على الخطوات التي حققتها الدعوة الاسلامية في الفترة الاخيرة .

وقام بعد ذلك بزيارة الى ديفز حيث زار هناك جمعية الطلبة المسلمين وحاضر هناك في سمو الدعوة الاسلامية .

وفي سكرمنتو قام بزيارة الى جمعية الطلبة المسلمين ومسجد الجامعة والقى خطبا متعددة حول الدعوة الاسلامية .

وانتقل الى فرزنو حيث زار المسجد وجمعية الطلبة المسلمين واختتم زيارته في لوس انجلس وقام هناك بزيارة المركز الاسلامي وجمعية الطلبة المسلمين .

ثم اجاب الشيخ العقيل على سؤال حول انطباعاته في هذه الزيارة

العريضة عن احوال المسلمين فقال :
● ان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تولي عنايتها للجاليات الاسلامية في كل انحاء العالم ومنها الولايات المتحدة الاميركية والتي يبلغ تعداد المسلمين فيها اكثر من مليوني نسمة التقيت تقريبا بممثليهم في هذه الجولة بمن فيهم من المسلمين الاميركيين ، وقال ان في ديترويت لوحدها تجد جالية عربية ضخمة معظمها من اليمن ويصل تعدادها الى قرابة ٦٠ الف مسلم ، وكذلك في شيكاغو حيث يوجد ما يقرب من ٥٠ الف ومعظمهم من بلاد الشام ومن فلسطين ويوجد في نيوجرسي ٢٠ الف مسلم من مصر هذا فضلا عن الجاليات الاسلامية غير العربية والتي توطنت في مختلف الولايات المتحدة مضافا اليها ما يقرب من ١٥٠ الف طالب مسلم يتلقون العلم هناك منهم ١٥ الف من السعودية و٨ آلاف من ليبيا و٣٠٠٠ من الكويت بالاضافة الى دول الخليج الاخرى والعراق والهند وباكستان وماليزيا وافغانستان وتركيا ، كما يوجد ٣٠٠٠ طبيب مسلم ومثلهم من المهندسين . وقال الشيخ العقيل انه من الغريب ان هذه الكفاءات العلمية النادرة احرى ان يستفاد منها في بلدانها بدل ان توظف هذه العقول في هذه البلاد .

واضاف ان هذه الزيارة تركت انطباعات سارة وتبشر بالخير خاصة وان شعورا بالقلق كان يخامرنا في العامين الماضيين خوفا على ابنائنا من الضياع ، ولكن النشاط الاسلامي الذي لمسناه كان له دور كبير في الحفاظ على ابنائنا ووضعهم في البيئة الاسلامية والمحيط الاسلامي الذي يحفظ عليهم دينهم ، بل ويجعلهم في عداد العاملين في حقل الدعوة الاسلامية مع تفوقهم العلمي .

وقال ان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية قامت بدراسة مشكلات المسلمين والقضايا التي تهمهم مشاركة الدول الاسلامية لحلها فضلا عن ان الوزارة لديها معلومات مسبقة عن كثير من هذه المراكز ، كما سبق لها تقديم المعونات للجهات المعتمدة التي لها نشاط اسلامي من خلال المساعدات المادية والثقافية التي تساهم بها دولة الكويت وشقيقاتها الدول العربية والاسلامية .

رياح المد الاسلامي تصل الى الاتحاد السوفييتي

عن نيويورك تايمز نقلت جريدة القبس الكويتية الصادرة بتاريخ ١٩٨١/٤/٢ الفقرة التالية :

الى أي مدى يمكن ان تؤثر الحركات الاسلامية على الاربعين مليون مسلم داخل الاتحاد السوفييتي ؟ هذا السؤال يشغل

اذهان المحللين الغربيين منذ الثورة الايرانية وغزو افغانستان ، وقد كان الموضوع الذي بحثه المؤتمر الذي عقدته مؤسسة كاريخي للسلام في نيويورك برئاسة ادوارد مورتيمر .

والخبراء الغربيون مختلفون فيما بينهم حول ما اذا كان سكان اوزبكستان واذربيجان وتاجكستان وكازاخستان وتركمانيا متأثرين فعلا بالنهضة الاسلامية او ان القوة المحركة في هذه المقاطعات هي القومية لا الدين .

ويحتج البعض بأنه لما كانت الغالبية العظمى من المسلمين السوفييت تمارس الشعائر الاسلامية في القضايا الاساسية كالميلاد والوفاة والزواج ، فان الهوية الاسلامية قد حلت محل الايديولوجية الماركسية البالية ، ويقول الاخرون ان هذه الشعوب تدرك هويتها العرقية اولا ثم تأتي الناحية الدينية ثانيا .

والشيء الذي لا جدال فيه هو ان السوفييت يدركون ان شيئا ما يحدث في الجنوب وهم متخوفون من النتائج . ويرى مرى فشباخ من مركز الاحصاء الاميركي ان نسبة الولادة بين المسلمين السوفييت تبلغ مرتين ونصفا مقدار نسبة الولادة في بقية الاتحاد السوفييتي ومن المحتمل ان يتفوق المسلمون عدديا على السوفييت في نهاية هذا القرن حين يكون ثلث عدد القوات المسلحة السوفيتية على الأقل من المسلمين ،

وكانت السلطات السوفيتية حتى الان تتساهل تجاه استمرار العادات والتقاليد الاسلامية في الجمهوريات الجنوبية ، كما أنها أقامت علاقات مع القادة الروحيين لما يسمى بالاسلام الرسمي . وقد سمحت موسكو للشخصيات الاسلامية الرسمية بالسفر إلى الشرق الأوسط ، لاظهار صورة الاتحاد السوفييتي بأنه صديق للعالم الاسلامي .

ومن ناحية أخرى ، فان الاسلام « غير الرسمي » قد تزايد ، وتجد السلطات السوفيتية صعوبة في التعامل معه . وهذا الاسلام غير الرسمي يتركز في المجالس الفردية التقليدية واتحادات المسلمين في أواسط آسيا ، وفي الجماعات الاسلامية السرية بما في ذلك أتباع الطائفة الصوفية .

والمسؤولون الشيوعيون في الجمهوريات الاسلامية يشجبون « جماعات الصوفية » و « الارهابيين » بشكل علني ، وهذا دليل واضح على مدى الخوف الذي يحس به المسؤولون تجاه قوة الجماعات الاسلامية المتزايدة .

والسوفييت يواجهون تحديا اسلاميا من جهة غير متوقعة وهي الصين ، فهناك نسبة كبرى من السكان المسلمين . وكانت بكين في الفترة الاخيرة قد اخذت تعمل بهدوء وفعالية لاظهار أنها صديقة للاسلام .

اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف
مآذن مسجد الرفاعي والسلطان حسن بالقاهرة

العالم الاسلامي

جمهورية السودان

○ تقع شرقي قارة أفريقيا وتشمل رقعة مترامية الأطراف ٩٦٧,٤٩١ ميل مربع يخترقها نهر النيل من الجنوب الى الشمال بفرعيه الأبيض والأزرق وروافده العديدة .

وكلمة سودان معناها الصحيح بلاد السود وأطلقت على البلاد التي في حوض النيل في القرن التاسع عشر عندما فتحها محمد علي باشا ١٨٢٠م وعرفت بالسودان المصري .

○ كانت الوثنية والمسيحية منتشرة بين سكان السودان وبعد أن أكمل المسلمون فتح شمال أفريقيا وبدأوا يؤمون أسواق السودان الكبرى التجارية بدأ الاسلام في الانتشار بين سكان السودان منذ القرن الرابع الهجري ، ولم يسد الاسلام في الشمال الا في القرن الثامن الهجري وكان القرنان الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديان هما اللذان شهدا أعظم ما أصاب الاسلام من تقدم في جنوب السودان وبفتح المصريين للسودان دخلت المؤثرات الأجنبية التي كانت سببا في ظهور الطرق الصوفية كالميرغنية والختمية التي أدخلها للسودان محمد عثمان الميرغني من أهل الطائف في أول القرن التاسع عشر وهناك الحركة المهدية التي انتشرت في السودان مع ظهور محمد أحمد في السودان والملقب بالمهدي ١٨٨١م .

○ يبلغ عدد سكان السودان ١٧,٣٢٤,٠٠٠ نسبة المسلمين منهم ٨٥٪ وهناك أقلية مسيحية في الجنوب وبعض القبائل الوثنية ، يعمل معظم السكان في الزراعة والرعي وبدأت البلاد في السير نحو التصنيع بعد الاستقلال ١٩٥٦م .

○ اللغة الرسمية السائدة هي العربية بين أهل الشمال المسلمين وهناك لهجات محلية غنية بالكلمات العربية وتنتمي لهجات قبائل السودان الى أرومة اللغات الأفريقية الزنجية ومن هذه اللهجات النوبية والتوربدوي وهي اللغة الحامية القديمة والتكري والغور والداجو

○ العاصمة الخرطوم ومن المدن الهامة أم درمان والأبيض ووادي مدني وكسلا وعطبره .

○ بعد خضوع مصر للاستعمار البريطاني ١٨٨١م فرض الانكليز سيطرتهم على السودان عن طريق المصريين وقد ثبت الحكم الثنائي المصري ـ الانكليزي في السودان ١٨٩٩م وظلت البلاد تحكم بموجبه حتى عام ١٩٥٦م حيث استقلت وقامت جمهورية السودان الحديثة .


جمهورية مصر العربية
الجمهورية العربية الليبية
السودان
صحراء النوبة
دنقلة
كريمة
الدبة
عطبرة
الدامر
أم درمان
الخرطوم
كسلا
خشم القربة
القطينة
الدويم
كوستي
رفاعة
ود مدني
الرصيرص
كردفان
الفاشر
دارفور
الأبيض
النهود
نيالا
جبل مره
بابنوسة
ملوت
كودك
ملكال
توبجه
بحر العرب
بحر الغزال
أويل
واو
رمبيك
شامبي
تونج
جونقلي
بور
منقلة
جوبا
مريدي
يامبيو
كابويتا
جبال كاتانجور
جمبيلا
إريترية
بورسودان
طوكر
أديس أبابا
جبال شوك
بحيرة تانا
بحيرة أباية
أفريقية الوسطى
زائير
أوغندة
كينية
بحيرة رودلف
مارسابت
كمبالا
بحيرة فكتورية
نيروبي
جمهورية السودان